# من فقدوا الله

# MisGod'ed*

* يستخدم الباحثون في مجال الأديان المقارنة مصطلح "الديانات الإبراهيمية" للإشارة إلى الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، وهي العقائد التوحيدية الثلاث التي تعتقد جميعاً أنها ترجع بأصولها إلى نبي الله إبراهيم. وفي الحقيقة إن هذا الاعتقاد غير صحيح وذلك لأن إبراهيم لم يتبع ثلاث ديانات، بل واحدة. ومن خلال هذا الكتاب سوف يتضح لنا أيُّ الديانات الثلاث كان دين إبراهيم الحنيف.

العنوان الأصلي للكتاب:

# MisGod'ed

A Roadmap of Guidance and Misguidance Within the Abrahamic Religions

DR. LAURENCE B. BROWN



التنضيد: أزهر ماجوثي، إحسان ديزاين
www.ihsaandesign.com



# من فقدوا الله

# MisGod'ed

## خارطة طريق في الهداية والضلال داخل الديانات الإبراهيمية


د. لورنس ب. براون

Dr. Laurence B. Brown

ترجمة

د. منذر عبسي





١٤٣٢ / ٢٠١١

# شكر وتقدير

**اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك .**

**احمد الله جلّ وعلا واشكره ، فهو صاحب الفضل والإحسان والنعم،**

**قال تعالى ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾. [سورة النحل، ٥٣]**

**وإنّ من نعم الله علي توفيقه لي  فى كتابة هذا الكتاب واختيار موضوعه ، فاللهم لك الحمد عدد خلقك  ورضا نفسك  وزنة عرشك ومداد كلماتك .**

**ثم اتقدم بخالص الشكر لكل الذين تكرموا بمد يد العون لى اثناء الترجمه للغة العربيه وهم :**

**زوجتى الكريمه السيده / سمر عبد اللطيف شنيّك: لمساعدتها فى تصحيح الأخطاء المطبعيه واللغويه والأخطاء النحويه .**

**د. محمد ابوملحه ( رئيس قسم اللغه العربيه وأدابها ، جامعة الملك خالد)  لمساعدته فى  التدقيق النهائى للأخطاء المطبعيه واللغويه والموافقه على المحتوى الإسلامى للكتاب .**

**د.  أسامه صلاح و د.  محمود نيازي : لتقديمهما بعض الإقتراحات ومراجعة الأخطاء المطبعيه واللغويه .**

إلى محبي الحقيقة،

وأصدقاء الاستقصاء الحر،..

لأولئك الذين يجرؤون، على الاعتراف جهارًا

بما يؤمنون بأنه الحق في وجه المؤسسات الكنسية

وضد التنديدات الأرثوذكسية

وفي وجه المسيحيين الفاترين الانتهازيين.

إليهم جميعًا نهدي هذا الكتاب.

إهداء من محرر كتاب:

تحقيق في آراء كتّاب القرون الثلاثة الأولى المسيحيين فيما يتعلق بشخص عيسى المسيح لمؤلفه: أ. ب. جلبرت ويكفيلد (١٨٢٤)

**An Enquiry into the Opinions of the Christian Writers of the Three First Centuries Concerning the Person of Jesus Christ**

**By Gilbert Wakefield, B.A (1824)**



# صلاة للقديس فرانسِس للسلام*

**يا رب .. اجعلني أداة لسلامك..**

**فأزرِع الحب حيث البغض،**

**والعفو حيث الإساءة،**

**واليقين حيث الشك،**

**والأمل حيث اليأس،**

**والنور حيث الظلمة،**

**والفرح حيث الكآبة.**

**يارب .. هبني أن أسعى لفهم الآخرين قبل أن أُفهم ..**

**وأن أبحث عن تعزية الآخرين قبل أن أُعزّى،**

**وأن أغمر الآخرين بالحب قبل أن أُحب،**

**ذلك أن في العطاء غنى،**

**وفي نسيان الذات اكتشاف لها،**

**وفي المسامحة المغفرة،**

**وفي الموت الحياة الأبدية ... آمين.**

*. لقد اخترت هذه الصلاة لجمالها وليس لمصدرها. وليس الهدف هنا المصادقة على المسيحية، بل لتبيان حقيقة أنه – رغم الخلافات الدينية بين البشر – ثمة مشاعر وجدانية مشتركة فيما بينهم.

بسم الله الرحمن الرحیم

# المحتويات

## ملاحظات في مصادر لنصوص الكتاب المقدس وترجماتها

جميع اقتباسات الكتاب المقدس الواردة في هذا الكتاب مأخوذة من نسخة الملك جيمس [يعقوب] الجديدة (ما لم تتم الإشارة إليه بغير ذلك). والسبب وراء اختيار هذه الطبعة من الكتاب المقدس لا علاقة له بدرجة دقتها من الناحية الدينية، وهو أمر خلافي، وإنما بسبب سعة انتشار هذا النص، فإصدار العام ١٦١١ من طبعة الملك جيمس هي ترجمة الكتاب المقدس التي تحتل المركز الأول من حيث عدد القراء في الدول الناطقة باللغة الإنجليزية. وقد انبثقت طبعة الملك جيمس الجديدة من جهود ترمي إلى جعل ترجمة العام ١٦١١ ميسرة أكثر للقراء المعاصرين، مُسقطة في سبيل ذلك كلمات قديمة مثل "thee" و"thou" [وهما صيغتا الفاعل والمفعول به لكلمة "you" (أنت) في اللغة الإنجليزية القديمة]. وللأسف، فإنه لم يُبذل جهد يذكر لتسوية الخلافات بين إصدار العام ١٦١١ من طبعة الملك جيمس والمخطوطة السينائية والمخطوطات الفاتيكانية التي تم اكتشافها في العام ١٨٠٠، التي تحتوي على أقدم مخطوطات العهد الجديد وأكثرها موثوقية منذ تم اكتشافها إلى يومنا هذا. وفضلاً عن ذلك، "فإن الغالبية العظمى من نُسخ الأناجيل اليونانية قد تم الكشف عنها، وأودعت المتاحف والأديرة وسجلات الكنائس منذ القرنين التاسع عشر والعشرين."[١] أما وقد أصبحت هذه النصوص متوافرة الآن

---

[١] Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. 1993.

فإن للمرء أن يتوقع أن يرى مدى تأثيرها في الترجمات الأحدث للكتاب المقدس. إلا أن هذه ليست هي الحال بالنسبة إلى طبعة الملك جيمس الجديدة التي تحتفظ بالآيات والنصوص التي تتضارب ومخطوطات العهد الجديد الأقدم وذات النصيب الأكبر من التبجيل. ولذلك، وفي حين أن هذا الكتاب يستشهد في الغالب بآيات طبعة الملك جيمس في سبيل إرضاء الطائفة البروتستانتية التي تشكل الغالبية المسيحية في الغرب، فإنه قد تم استعمال نسخة مكملة تتطلب قدرًا أكبر من الدقة الدرسية [الأكاديمية].

والطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة NRSV تسد هذه الفجوة، لأنها كسابقتها — النسخة المعتمدة المنقحة RSV — هي خلاصة تعاون مسكوني تتجلى في طبعاتها الثلاث المنفصلة، البروتستانتية، والروم الكاثوليكية، والأرثوذكسية الشرقية. والأهم من ذلك أن النسخة المعتمدة المنقحة الجديدة تعكس خلاصة أبحاث إنجيلية معاصرة لم تكن متوافرة حتى ذلك الوقت. والواقع أن الغبار كاد يُنْفَض عن مخطوطات البحر الميت عندما نُشرت ترجمة النسخة المعتمدة المنقحة للعهد القديم لأول مرة في العام ١٩٤٦. ولهذه الأسباب فإن النسخة المعتمدة المنقحة الجديدة قد حلت محل النسخة المعتمدة المنقحة، وهي تحظى بالنطاق الأوسع من القبول بين جميع ترجمات الكتاب المقدس.

---

*The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus.* HarperCollins Publishers. p. ٩.

مقتبسات "الببليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم World Bibliography of Translations of the Meanings of the Holy Qur'an" (التي سوف يرمز لها من الآن فصاعدًا اختصارًا بـ"TMQ") ، مأخوذة من ترجمة القرآن الكريم لعبد الله يوسف علي "القرآن الكريم: ترجمة وتفسير". وما لم يرد غير ذلك، وإذا ما دعت الضرورة لترجمة أكثر دقة، فسوف يتم الاستعانة بترجمات "صحيح الدولية" أو " ترجمة محمد الهلالي" أو "ترجمة محمد خان".

ونقول لأولئك الذين يشككون في استخدام ترجمات متعددة: إنه ما من لغة يمكن أن تُترجم بدقة تامة، وبالأخص لغة في غاية العمق كاللغة العربية. فكما صرح المستشرق والمترجم ألفرِد جِيللوم Alfred Guillaume: "القرآن إحدى الروائع العالمية التي لا يمكن ترجمتها دون الإخلال بها."[٢] وهذا الرأي نجد صداه عند أ. ج. آربري A.J.Arberry، المترجم ومؤلف كتاب **القرآن مُفسّرًا**: "لقد أقررتُ بقوة وجهة نظر المسلمين السنة ... فالقرآن لا يمكن ترجمته."[٣]

ومن هنا كانت الحاجة إلى ترجمات متعددة للقرآن، حيث إنه لا يمكن لترجمة معينة – أو مجموعة ترجمات حسب رأي بعضهم – أن تنقل المعنى الأصلي نقلاً وافيًا.

---

[٢] Guillaume, Alfred. 1990. *Islam*. Penguin Books, pp. 73-74

[٣] Arberry, A. J. 1996. *The Koran Interpreted*. A Touchstone book: Simon & Schuster, p. 24

# مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين، مقلب القلوب ومصرّفها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء. والصلاة والسلام على البشير النذير، الذي أرسله الله رحمة وهدى للعالمين. وبعد،

**من فقدوا الله** للدكتور لورنس ب. براون كتاب من أمتع الكتب التي قرأت وترجمت إلى اليوم، ولكنه من أصعبها كذلك. وهذا الكتاب هو أحد كتابين (الثاني بعنوان **من وجدوا الله**) صاغهما المؤلف بهدف تحليل الأسس المستقاة من النصوص المقدسة للديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، الهدف الرئيس منهما كما يقول "أن يعين القارئ على تحديد الحلقات السليمة من جملة سلاسل الوحي، وبالتالي التفريق مابين حقيقة الهداية الربانية وزيف الفساد البشري".

وأما المؤلف فهو الدكتور (عبد الله) لورنس براون، المختص في طب العيون وصاحب العديد من الأعمال العلمية والفكرية المؤلّفة، وقد كان لي شرف التعرف به من خلال كتابه هذا، ومن خلال المراسلات القائمة بيننا، وأسأل الله أن ألتقيه في المستقبل القريب وهو على خير مايرام من الصحة والعافية والعطاء.

والكتاب ليس كتابًا تقليديًا يحكي قصة إسلام ومسلمين، أو يتناول قضايا عابرة في الدين، بل معالجه لأمور لاهوتية تخص العقيدة والإيمان في

الديانات الثلاث. ولاشك أن الخوض في هذه المسائل مُضْنٍ وشائك وحساس، ولكنه لابد أن يقود في نهاية المطاف إلى طريق الحق لمن أنار الله بصيرته.

يبدأ الكتاب بالرثاء لما آل إليه حال العالم اليوم، وبخاصة الأجيال الصاعدة في العالم عمومًا وفي الغرب خاصة. ويقول الكاتب "لقد شهدت العقود الماضية تحولات طالت المجتمع برمته في أمور تتعلق بالقيم التي تقاس بها الحقيقة، وكذلك في الجودة". ثم يرنو إلى الماضي فيقول "لقد دأب أسلافنا على مناقشة موضوعات على قدر من العمق والأهمية، ومناقشة القضايا الحيوية مثل أخلاقيات السياسة والأعراف الاجتماعية وحدود العلوم العملية، وكذلك موضوعات القوانين والدين. وأما اليوم فإننا نجد أن أحاديث العصر تتمحور أكثر ماتتمحور حول العلاقات والمال والرياضة وحول أساليب الترفيه". ويعقد مقارنة بين الحاضر والماضي فيقول: "في حين كانت الأجيال السابقة تُمضي أمسياتها في جلساتٍ من الخطاب والتحليل والتبادل الفكري، نجد كيف يُسلم معظم مواطني اليوم أنفسهم لساعات خواء من غسيل الدماغ الإعلامي الذي يمتلك ناصيته سيد التنويم المغناطيسي، ألا وهو التلفاز".

وأما النتائج – كما يقول الدكتور براون – فيمكن إدراكها في كلّ جانب من جوانب الحياة العصرية، فأمور البيع أضحت تعتمد على طراز العرض أكثر مما تعتمد على التحليل الحقيقي. ولم يعد الفوز بالمناصب السياسية أو فقدها مبنيًا على أساس الخصال القيادية أو الوعي

الاجتماعي أو القدوة الحسنة، بل على أساس مظاهر الصور والمقاطع الصوتية. كما أن الأخبار، محلية كانت أم عالمية، "يتم تدويرها" بحيث ترضي الأجندات الاجتماعية والسياسية أكثر من أن تنقل الأحداث كما وقعت حقًا.

واليوم باتت الجماهير الغفيرة من البشر أقل اعتمادًا على الحقائق وأشد تأثّرًا بالحِيَل العاطفية، وإن كانت هذه الحيل زائفة. وهنا تبدأ رحلة الدكتور براون في الكشف عن الأسباب الحقيقية المباشرة منها وغير المباشرة التي أدّت إلى مانحن عليه الآن. إنه الطبيب الذي شخّص مرضًا فأصرّ – بدافع من إخلاصه لمهنته وفكره – على المضي فيه حتى النهاية في سبيل الكشف عن أسباب هذا المرض والسبيل الأنجع لمداواته. وهو بذلك ينهج نهج من يذكرهم في كتابه بأنهم كانوا عبر الزمن "رجالاً شرفاء رفضوا بناء معتقداتهم الدينية على أسس واهية"، والذين من شدة ظمئهم لمعرفة الحقيقة تجاوزوا وبجرأة كبيرة تيارات الثقافة التي كانوا قد درجوا عليها.

والكتاب إعادة تقويم للأسس التي بنيت عليها الديانة المسيحية، وهو تقويم لكاتب محترف متبحر بما في داخل هذا الدين وخارجه، وهذه الأسس هي جوهر تتعلق بالدين ابتداء من العقيدة وانتهاء بعودة السيد المسيح، مرورًا بالثالوث والحَمْل والولادة والصلب إلخ.

كما أن الكتاب إبحارة في الكتب السماوية وجولة بين دفّتيها، يقف الكاتب بخشوع وإجلال عند ما يعتقد أنه صادق فيها، ويفضح تطاول

الأيادي التي عاشت في حنايا بعضها الآخر حيث كان من شأنها تغيير اتجاهات مصائر أقوام وأمم ليس فقط في المجالات الدينية بل في جميع مناحي الحياة أيضًا.

إن العقائد الدينية المسيحية في العصر الحديث لا تفعل شيئًا سوى أنها تزيد من أزمة الإيمان والدين، وفق ماقاله محمد أسد في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق" عندما تنبّأ بأن الشكوك التي أثارتها العقيدة النِّيقية، وخاصة عن أفكار التجسيد والتثليث، لن تُبعد أصحاب الفكر عن كنائسهم وحسب، بل عن الإيمان الصحيح بالله تبعًا لذلك. وتقول كارين آرمسترونغ في كتابها **حول الله**: "إن اليهودية قد عانت بسبب انغلاقها على نفسها وتقهقرت كدين عندما عدّت بنيها "شعب الله،" في حين نجد أن المسيحية قد عانت من النقيض، أي من عالميتها، وذلك باستيعابها العديد من الثقافات والتقاليد داخل نفسها". أما الإسلام – وفق مايقول الدكتور براون – فقد وُضِع في الوسط كي يتحاشى كلا المأزقين الخطرين. إن الدكتور براون مؤمن مسلم يتحرّى الأسس التي قامت عليها الرسالات السماوية الثلاث.

إن عنوان الكتاب ليس مجرد وصفٍ لثلة ممن ضلّوا عن درب الهداية والنجاة، بل صرخة في آذان الأجيال كي تُعمِل العقل للتفكير بما يملى عليها من أساسيات الإيمان على اعتبار أن المعرفة تنمو مع الزمن. وفي الحقيقة فإن الكاتب يؤمن أنه من الخطأ الجسيم الانقياد بطاعة عمياء لأحكام الأقدمين، وأن تُؤَيّد آراءهم، وكأنها العقيدة ذاتها، إلا إذا كان

لدى المرء الاستعداد للقبول بالتوقف عن النمو وبالتالي الاهتراء وعدم التجدُّد.

إن هذا الكتاب ذو مغزى كبير جدًا، وقد كتب بشكل رائع ومشوق وبلغة جزلة (على غير ما يتوقعه المرء من طبيب)، بعد بحث وتفكير دقيقين. إنه كتاب مفعم بالحيوية للطريقة التي شعر بها لورنس براون، وهو يصطرع من الداخل بعد أن رأى ذاك الكم الهائل من العبث بالكتاب المقدس على مرّ العصور ... مقدّمًا بذلك موقفًا منطقيًا ذا أرضية صلبة لجميع المفكرين الذين يتطلبون بحثًا عقلانيًا وتفكيرًا عميقًا قبل الامتثال والخضوع لدعوة الآباء والقساوسة. والكتاب يحتوي مزايا من صدق تام وحس عام ومستوى دقيق من التحري الديني، وعرض العقيدة. ومرة أخرى يوضح المؤلف أنه لايستطيع الإيمان بدين ما لم يكن هذا الدين مقنعًا إقناعًا عقليًا وفكريًا وروحانيًا، وهذه أمور لا تتوافر إلا في دين واحد وهو الإسلام. إن الإسلام هو عقيدة الفرد الذي يفكر.

والكتاب جديد وجريء ذو منهجية علمية موثقة يعتمد على عدد كبير من المراجع العلمية والعملية في مختلف العقائد السماوية. وهو منهج تسلسلي منطقي يتناول فيه الأديان السماوية وفق تسلسل نزولها. ويخوض الكتاب في أهم مقدسات هذه الكتب وهو اسم الرب خالق الأديان جميعًا، ومنزل الكتب على رسله موضحًا لنا السبيل الأكمل لفهمه وتمجيده وطريقة التقرب إليه.

إن المنهجية والنتائج المستخلصة هاهنا قد بُنيت على أساس من البحث الدرسي رفيع المستوى، فضلاً عن كونها تتوافق والفطرة السليمة. وفيما يخص المنهجية، كان لابدّ من هزّ جذوع الأشجار التي تزعم العقائد المختلفة أنها استقت ثمار معرفتها الربانية منها، وذلك لكي نرى ما يمكن أن يتساقط منها.

باختصار، إنه كتاب فكري في التاريخ وفي اللاهوت، وكذلك في الشريعة. كما أنه كتاب يستفاد منه في النقد التحليلي، وفي الترجمة، وكذلك في الأدب. أزعم أنه مفيد أيما فائدة للقارئ العام والمتخصص على السواء، للدعاة ودارسي الحضارة والثقافة الإسلامية والغربية.

كلمة في الترجمة: المنهج الذي اتّبعته في ترجمة هذا الكتاب هو ترجمة المعنى بمعنى مع الإخلاص شبه التام للنص الأصل، ولا أدعي كمال الترجمة. بل هو إعادة ترجمة شاملة لنص سابق قام بها أحد الإخوة الأفاضل أو أشرف عليها، وقد أفدت من تلك الترجمة وبخاصة المقتبسات الدينية.

الكتاب يعبّر تعبيرًا علميًا محكمًا عن رأي المؤلف وفكره السامقَيْن وقد انحصر دوري تقريبًا في نقل هذا الفكر إلى اللغة الهدف. أسأل الله أن أكون وفِّقت في إيصال المطلوب للمتلقي، ولابد من الوقوف وقفة تقدير أمام نص صلب كهذا النص.

كلمة شكر: أتوجه أولاً بالشكر الجزيل للصديقين العزيزين الدكتور

أحمد محمد إسماعيل ظافر، والأستاذ بشار طه السيد من جامعة طيبة في المدينة المنورة، اللذين شرّفاني بزيارة إلى بيتي في حلب العام الماضي، وقد حملا إليّ هذا الكتاب (مع كتب أخرى للمؤلف) للمراجعة أولاً وبالتالي الترجمة من جديد. جزاهما الله كل خير إذ سهّلا لي سبيل التعرف على كتابات الدكتور براون وبالتالي عليه شخصيًا.

أتوجه ثانيًا بالشكر الجزيل للصديق الدكتور عبد الجليل بدا (مدرس اللغة العربية بكلية الآداب بجامعتي حلب العامة وإيبلا الخاصة) على قيامه بالمراجعة اللغوية للنص العربي وعلى تصويباته اللغوية. شكرًا لك يا أخي عبد الجليل وجزاك الله كل خير.

نسأل الله أن يثبّتنا على دينه وأن يتقبل منا صالح أعمالنا ويعفو عنّا إنه سميع الدعاء.

منذر عبسي

حلب: ١٥ تشرين أوّل/ نوفمبر ٢٠١١

**ملاحظة:** من التقاليد العريقة والراسخة بين المسلمين أن يتبعوا ذكر اسم النبي ببركة القول "صلى الله عليه وسلم/عليه السلام،" لما ورد في **سنن الترمذي**، "كتاب الدعوات"، من رواية علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: "البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليّ." ومع

الزمن فقد تبنى الكُتّاب هذا التقليد في كتاباتهم على الرغم من أن أقدم المخطوطات الموجودة تظهر أن هذا التقليد لم يكن متّبعًا على نحو صارم بين كتّاب القرنين الأول والثاني الهجريين. ومن أجل تجنب كل انقطاع في تسلسل الأفكار وانسيابها فإنني لم أتّبع هذا العرف التقليدي إلاّ في المرة الأولى التي ذكر فيها النبي خاصة والأنبياء عامة.

**المترجم**: د. منذر عادل عبسي

أستاذ مشارك في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة حلب (سوريا). حاصل على البكالوريوس في اللغة الإنكليزية وآدابها من جامعة اللاذقية، وعلى درجتي الماجستير في أدب عصر النهضة الأوروبي، والدكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة جلاسكو في بريطانيا في العام ١٩٩٢. درّس الأدب واللغة والترجمة في أكثر من جامعة عربية. يشغل حاليًا منصب عميد كلية اللغات والعلوم الإنسانية بجامعة إيبلا الخاصة (سوريا). له العديد من الكتب المترجمة والمقالات والقصائد.

# المقدمة



**قال: فضلاً ياصاحب الجلالة، ومن أين أبدأ؟**

**أجابه الملك بوقار: ابدأ من البداية واستمرّ حتى تبلغ النهاية، ثم قف.**

لويس كارّول Lewis Carroll: **مغامرات أليس في بلاد العجائب**

لقد شهدت العقود الماضية تحولات طالت المجتمع برمته في أمور تتعلق بالقيم والمعايير التي تقاس بها الحقيقة، وكذلك أمور في الجودة. فقد دأب أسلافنا – سواء في بيوتهم أو في أماكن عملهم، أو في مراكزهم الاجتماعية وقاعات البلديات – على مناقشة موضوعات على قدر من العمق والأهمية، ومناقشة القضايا الحيوية مثل أخلاقيات السياسة والأعراف الاجتماعية وحدود العلوم العملية، وكذلك موضوعات القوانين والدين. وإذا ما حوّلنا الأنظار صوب عالمنا الحديث نجد أن أحاديث العصر تتمحور أكثر ماتتمحور حول العلاقات والمال والرياضة وحول أساليب الترفيه. وفي حين كانت الأجيال السابقة تُمضي أمسياتها في جلساتٍ من الخطاب والتحليل والتبادل الفكري، نجد كيف يُسلم معظم مواطني اليوم

أنفسهم لساعات خواء من غسيل الدماغ الإعلامي التي يمتلك ناصيتها سيد التنويم المغناطيسي، ألا وهو التلفاز.

وأما النتائج فيمكن إدراكها في كلّ جانب من جوانب الحياة العصرية، فأمور البيع أضحت تعتمد على طراز العرض أكثر مما تعتمد على التحليل الحقيقي. ولم يعد الفوز بالمناصب السياسية أو فقدها مبنيًا على أساس الخصال القيادية أو الوعي الاجتماعي أو القدوة الحسنة، بل على أساس مظاهر الصور والمقاطع الصوتية. كما أن الأخبار، محلية كانت أم عالمية، يتم "تدويرها" بحيث ترضي الأجندات الاجتماعية والسياسية أكثر من أن تنقل الأحداث كما وقعت حقًا.

واليوم بات عامة البشر أقل اعتمادًا على الحقائق وأشد تأثّرًا بالحِيَل العاطفية، وإن كانت هذه الحيل زائفة. وليس من مجال يتبدى فيه هذا التأثر أكثر من المجال الدِّيني، حيث استحوذت وسائل الإعلام على معتقدات البلايين من الجماهير الغفيرة فأنستها كتبها المقدسة. فصورة نبي الله موسى ﷺ التي رسمها فيلم (**أمير مصر**) الإيحائي حلّت في ذاكرة الأجيال السابقة مكان الصورة الذهنية التي حفرها البطل تشارلتُن هِسْتُن Charlton Heston في فيلم (**الوصايا العشر**) للمخرج سِيسْل بِ. دُمِيْل Cecil B. DeMille. وعلى الرغم من ذلك فإن كلا الفيلمين يُقدّمان نسخة هوليوودية لـ "موسى" على أنها ذات مهارات خطابية حيوية، متجاهلَين ماكان عليه حال هذا النبي في هذا الجانب حين يخاطب الرب قائلاً له: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ

أَوَّلِ أَمْسِ، وَلاَ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ» (سفر الخروج ٤: ١٠). كما أن تمثيل عيسى عليه السلام في الأفلام الأخيرة شَوّهت وعلى نحو مماثل المخيّلات برسم صورة له تغطي مسافة الطّيف مابين أوبرا الروك rock opera (**يسوع المسيح النجم** Jesus Christ Superstar)، إلى ماروي عن هذا الرسول العظيم من أقوال تزعم بأنه تزوج من مريم المجدلية.

وبعيدًا عن دوامة تيارات العصر هذه التي انساقت وراءها الأجيال، فإن العديد من الديانات قد برزت بمحور جديد، ألا وهو أسلوب الموضة ودغدغة العواطف. فقد طمر مصممو العقائد التحليل العقلاني والنقاش اللاهوتي تحت جبل جليدي من شعارات الترويج، وعلى هذا فإن القلوب والأنفس تُستمال بفن البيع أكثر من أن تستمال بالحقيقة عينها.

إلا أن ذلك ليس موضوع هذا الكتاب.

فعبر الزمن كان هناك دومًا رجال شرفاء رفضوا بناء معتقداتهم الدينية على أسس واهية من مثل أهواء الآخرين تلك، أو نزوات أقرانهم، أو تقاليد أُسَرِهم أو على قناعات من يبدون أنهم رجال دين صادقون وأتقياء. فمن شدة ظمأ هؤلاء الأشخاص لمعرفة الحقيقة، تراهم يتجاوزون وبجرأة كبيرة تيارات الثقافة التي كانوا قد درجوا عليها. فهم بذلك يطلبون أجوبة لأسئلة كانوا قد فكّروا فيها مليًّا، ويسعون إلى فهم تاريخ الوحي والإنسان. الأسئلة والتاريخ والوحي – هي إذًا موضوعات هذا الكتاب، وأهم من

ذلك كله، الإجابات عنهما جميعًا.

وهذا الكتاب هو أحد كتابين صُمّما بهدف تحليل الأسس المستقاة من النصوص المقدسة للديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، ويحدوني الأمل بذلك أن أُعين القرّاء على تحديد الحلقات السليمة من جملة سلاسل الوحي، وبالتالي التفريق مابين حقيقة الهداية الربانية وزيف الفساد البشري.

إن المنهجية والنتائج المستخلصة هاهنا قد بُنيت على أساس من البحث الدرسي رفيع المستوى، فضلاً عن كونها تتوافق والفطرة السليمة. وفيما يخص المنهجية، كان لابدّ من هزّ جذوع الأشجار التي تزعم العقائد المختلفة أنها استقت ثمار معرفتها الربانية منها، وذلك لكي نرى ما يمكن أن يتساقط منها. وقد شاع تحليل المعتقدات المسيحية شيوعًا كبيرًا في الآونة الأخيرة ليكتشف العديد من الباحثين المرموقين أن قدرًا كبيرًا من قواعد المسيحية مستمد من مصادر غير إنجيلية. والغريب في الأمر أن العديد من تلك المصادر غير الإنجيلية **يتناقض** في واقع الأمر وتعاليم يسوع المسيح. فعلى سبيل المثال لم يرد البتة في جميع مخطوطات العهد الجديد الأساسية عن عيسى المسيح أنه أشار لنفسه بأنه ابن الله. فقد وصف نفسه بأنه ابن الإنسان **ثمانيًا وثمانين مرّة**، ولم يورد فيها قط أنه ابن الله، كما أن المسيح لم ينادِ البتة بعقيدة التثليث. والحق يقال إن ما دعا إليه في ثلاثة نصوص منفصلة هو نقيض ذلك تمامًا، ألا وهو أن الله واحد لا ثلاثة.

ولدينا هاهنا عنصران حرجان من عناصر العقيدة المسيحية، يتعلق الأول منهما بطبيعة المسيح والثاني بطبيعة الخالق. وفي كلتا الحالتين نجد أن عقيدة التثليث لم تُستمد من سجل ما قاله عيسى أو علّمه، بل مما علمه الآخرون عنه. إن ماقاله عيسى عن نفسه هو أنه ابن الإنسان، ولكن ماقاله الآخرون عنه أنه ابن الله. إن ماجاء به عيسى هو أن الله واحد، ولكن ماجاء به الآخرون أن الله ثالث ثلاثة. فهل يمكن للتعاليم أن تكون أشد تناقضًا من هذا؟ وهل ينبغي علينا أن نهتم لذلك؟ ففي المحصلة، ألم يمت عيسى من أجل خطايانا كما قال أحدهم؟ وأقول من جديد إن من قال ذلك ليس عيسى بل أحدهم، فعيسى لم يقل أبدًا شيئًا من هذا.

إذن، هل من مشكلة هاهنا؟ وهل ينبغي لنا أن نحقق فيها؟

دعنا نقول إن الهدف من وراء الوحي هو **الكشف** والإيضاح. فلو كان ذلك هو القصد لتوجب علينا أن نفترض أن الله أنزل الحق، وأن عيسى بلّغ الحقيقة، ولكن حقيقة الرسالة تلك تشوّهت عند حلقة ما من حلقات النقل، وإلا فكيف يمكننا شرح حقيقة أن تعاليم المسيح لا تخفق في دعم المعتقد الأساسي للعقيدة المسيحية المعاصرة وحسب، بل تناقضه في العديد من الحالات.

لعل الأمر جدير بالبحث إذًا.

ولعله لا ينبغي للمسيحيين أن يعجبوا عندما يجدون أن موسى وعيسى قد دَعَوَا إلى الشيء نفسه، ففي المحصلة النهائية، يزعم المسيحيون أن

كليهما تلقّى الوحي من المصدر نفسه. إذًا، ففكرة أن الله قد تحول بين عشية وضحاها من إله غاضب في العهد القديم إلى ربٍّ غفور في العهد الجديد تنبذ وعلى نحو مناسب عدم الاتساق بين كتابي التنزيل هذين. ولكن أنّى للكلّ أن يقبل بهذا التفسير! فالمسيحيون الذين يؤمنون بأن الله كامل لا يتبدل يحق لهم الشعور بدهشة أكبر إذا ماوجدوا أن أوجه الاختلاف بين تعاليم موسى وتعاليم عيسى تربو على أوجه التشابه بينها، ذلك أن عيسى لم يكن بالنتيجة سوى حَبرٍ أمضى حياته داعيًا إلى شريعة العهد القديم ذاتها التي جاء بها موسى، فقد خاطب عيسى القوم قائلاً: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ» (إنجيل متّى ٥: ١٧).

وهكذا يبرز السؤال الهام: إذا كانت تعاليم الكتب المقدسة المشتركة مابين موسى وعيسى توحي بتتابع الوحي من العهد القديم إلى العهد الجديد، فماذا نفهم من تعاليم الكتب المقدسة المشتركة مابين موسى وعيسى ونبي الإسلام محمد؟ فأنّى لمحمد ﷺ أن يدعو وبدقة متناهية إلى تعاليم موسى وعيسى الحقّة بتلك الدقة المتناهية إلاّ عبر الوحي؟

ولانستغرب هنا اتهام المسيحيين لمحمد بالسرقة. ولكن – وكما سنرى في الكتاب الثاني من هذه السلسلة – فإن الأدلة التاريخية تنفي على ما يبدو مثل هذا الاحتمال. فالعهد الجديد لم يُترجم إلى اللغة العربية إلا بعد قرون عدة من وفاة محمد، وإن التراث المنقول شفهيًا الذي كان متداولاً بين مسيحيي العرب خلال فترة حياته كان يُعد هرطقة من قبل المسيحية

الأرثوذكسية. ومع ذلك فإن القرآن الكريم لا ينقل هرطقاتٍ للمسيحيين العرب القدماء عن عيسى، بل ينقل الحقيقة كما هي مدوّنة في الكتاب المقدس. ويبقى السؤال قائمًا: أنّى لمحمد أن يدعو إلى تعاليم موسى وعيسى الحقّة إلاّ عبر الوحي؟ إن هذا السؤال يتطلب تحليلاً، وهذا التحليل هو ما سوف يشكل مادة الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو بعنوان **من وجدوا الله**.

وفي القرن الحادي عشر للميلاد قدّم قديس كانتربيري آنسِلم Anselm، الذي كان فيلسوفًا وعالم لاهوت، في **خطاب حول وجود الله** *Proslogium*، افتراضه القائل: "لا أسعى لكي أفهم من أجل أن أؤمن، ولكنني أؤمن لكي أفهم". إن طرح **هذا** المؤلف ليعبّر تعبيرًا **مماثلاً** عن المقولة التالية: "كان عليّ أن أتذوق الشطيرة قبل أن أكون قادرًا على التقاطها بيدي". في حين أن الترتيب الصحيح للأولويات يجب أن يكون عكس ذلك تمامًا، فالمنطق يقول إن الإيمان يجب أن يتبع الفهم وليس النقيض. فمعظم الناس يطلبون شرحًا وافيًا لكي يهتموا بجوهر مقترحِ نتيجةٍ مشكّلة ما قبل اعتناقها.

إلا أن البشرية منقسمة حيال هذا الأمر. فبعض الناس هم عبيد لعواطفهم بما يتماشى وتعليق بِنجامين فرانكلِنBenjamin Franklin، وهو تعليق أصغر: "إن السبيل للرؤيا بعين الإيمان هو أن تغمض عين العقل". في حين يطلب آخرون شروحات منطقية ونتائج عقلانية، مؤيدين بذلك فريق من يقف مع تعليق ويليام آدامز William Adams القائل:

"إن الإيمان هو استمرار للعقل". إن مثل هؤلاء الأفراد يتوقعون أن يجدوا حقيقة الله في: لُحمة الفطرة السليمة مع تحليل النصوص المقدسة مع الفهم الفطري للخالق. وأنا أعد نفسي ضمن المجموعة الأخيرة هذه، وهذا هو دأبي في الحياة.

# القسم الأول: التوحيد



**ثمة أقوام يزدرون الدّين، فهم يكرهونه ولكنهم يخشون أن يكون حقيقيًا.**

بليه پاسكال Blaise Pascal: **تأملات**

تُمثّل اليهودية والمسيحية والإسلام الديانات الإبراهيمية الثلاث. وعلى الرغم أن اسمي اليهودية والمسيحية مألوفان إلا أن المدهش حقًا أنهما عصيتان على التعريف. ولكن لا بدّ لنا من تعريفهما إذا ما أردنا الخوض في أي تحليل هام لكلٍّ منهما. أما الإسلام فهو الأقل فهمًا والأشد مقتًا بين الديانات الإبراهيمية لدى الحضارة الغربية، إلا أن تعريفه هو الأسهل نسبيًا وخصوصًا إذا ما تمت تنحيته عن الصورة الغامضة والسلبية التي أحاطت به. وعليه فإن الصفحات التالية سوف تضع الأساس اللازم للنقاشات اللاحقة وذلك عن طريق إيضاح جوهر هذه الديانات الإبراهيمية الثلاث.

# أولاً– اليهودية




نشأ المصطلح "يهودي Jew" كتعريف عرقي للمنحدرين من سبط "يهوذا Judah"، بحيث تكون كلمة "اليهودية" Judaism هي اختصار لل "اليهوذا – يّة" Judah-ism [مذهب يهوذا]. وتعرّف اليهودية الأرثوذكسية اليهودي بأنه الشخص المولود لأم يهودية، أو ذلك الذي يعتنق المعتقد اليهودي بغض النظر عن نَسَبه. أما حركات اليهودية الأكثر تحررًا (مثل **حركة الإصلاح** Reform) فتنكر ضرورة النسب من جهة الأم، وتقول بأن الطفل المولود لأب يهودي يعد يهوديًا كذلك، وبخاصّة إذا ما تمت تنشئته تنشئة يهودية. ورغم تباين التعريفات الحديثة إلا أن معظمها يشترط – ضمنًا أو علنًا – التمسك بناموس موسى كما ورد في

التوراة Torah والتلمود Talmud. ولكن هذا لم يكن متفقًا عليه تاريخيًا، ذلك أن الصدوقيين Sadducees لم يكونوا ليؤمنوا سوى بالناموس المكتوب وبالأنبياء طالما أنهم نبذوا التلمود.

إن الاختلافات الإيديولوجية تفرّق بين الحركات الأرثوذوكسية والحركات المحافظة وحركة الإصلاح وحركة إعادة البناء التي تنقسم كلّ منها إلى تشعبات طائفية أصغر. وأما الأصول الجغرافية فتميّز مابين السفارديم Sephardim (اليهود من إسبانيا) والإشكيناز Ashkenazi (اليهود من أوروبة الوسطى وأوروبة الشرقية)؛ وتميّز الخلافات الدينية / السياسية مابين الصهاينة Zionists والـ لاصهاينة non-Zionists (مثل جماعة ناطوري كارتا Neturei Karta)، كما أن هناك فرقًا في التمييز بين اليهود المتصوفين Hasidic وغير المتصوفين non-Hasidic (والذين يعرفون أيضًا باسم ميسناديم *Misnagdim* أي "الخصوم") وذلك على أساس من ممارساتهم وحماساتهم الدينية المتطرفة وإخلاصهم لزعيمهم المنحدر من سلالة الحاكم المعروف باسم ريبّي Rebbe.

وعلى الرغم من أن يهود اليوم يعدّون أنفسهم أمّة، إلا أنهم يهود غير متّحدين من حيث الثقافة أو العرق، فهم ليسوا عرقًا بالمعنى الوراثي للكلمة كما أنهم لا يتفقون بالإجماع على عقيدة محددة. ومهما يكن، فإن أكثر مبادئ العقيدة اليهودية قبولاً هي ربما تلك التي وضعها الحاخام موسى بن ميمون (Maimonides، Moshe ben Maimon الذي عاش في القرن الثاني عشر، وهذه العقيدة تُعرف بـ المبادئ الثلاثة عشر للعقيدة اليهودية

وهي:

١. الله هو خالق وحاكم كلّ الوجود.

٢. الله واحد ومتفرّد.

٣. الله غير جسدي وليس كمثله شيء.

٤. الله أبديّ.

٥. الصلاة لغير الله حرام.

٦. أقوال الأنبياء حقّة.

٧. كان موسى أعظم الأنبياء.

٨. كُتُب التوراة (أي أسفار موسى الخمسة، أو الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) والتوراة

المنقولة مشافهة (التعاليم التي باتت الآن مقننة في المشنا والتلمود) تنزّلت جميعًا على موسى.

٩. لن يطرأ أي تغيير على التوراة ولن ينزّل الله غيرها.

١٠. الله محيط بما في صدور الناس وأعمالهم.

١١. سوف يجازي الله الصالحين ويعاقب الأشرار.

١٢. المسيح آتٍ.

١٣. سوف يبعث الله الموتى.

كما توجد تعريفات أخرى للعقيدة اليهودية، غير أن الاختلافات بينها طفيفة بشكل عام. ولأهداف هذا الكتاب فإن القائمة آنفة الذكر سوف تؤخذ على أنها الأنموذج الأوسع تمثيلاً لليهودية.

## ثانيًا – المسيحية



**وإن كنتَ على المسار الصحيح، فإنك سوف تُدهس إذا ما جلست هناك وحسب.**

ويل روجرز *Will Rogers*

إذا كان مصطلح "يهودي *Jewish*" صعب التعريف فإن مصطلح "مسيحي *Christian*" محفوف بمشكلات أكبر. فإحدى تلك العثرات هي أن المسيحيين الأوائل كانوا يعدّون أنفسهم يهودًا، كما هو واضح مما يلي: "لم يفكّر المسيحيون بادئ ذي بدء في أنفسهم بأنهم منفصلون عن الشعب اليهودي، بالرغم مما صدر عن اليسوع من كلام قاس بحق الفريسسين Pharisees. (وهذا وارد في التلمود أيضًا)."[٤] وفي البداية، اختلف اليهود فيما بينهم حول قبول عيسى المسيح نبيًّا أو إنكار نبوّته. تلا ذلك دفق متواتر من التطور العَقدي الذي تسبب في إحداث شرخ

---

٤ McManners, John (Editor). 1990. *The Oxford Illustrated History of Christianity*. OUP. p.22

عميق بين اليهود الأصليين وطائفة المسيحيين اليهود الجديدة. ومع ذلك فكلتا الطائفتين كانت تعد نفسها يهودية.

والجدير بالملاحظة أن عيسى لم يُعرّف نفسه قط بأنه مسيحي، كما أنه لم يزعم يومًا أنه أرسى دعائم المسيحية في الأرض. وفي الحقيقة نحن نصادف كلمة **مسيحي** ثلاث مرات في الكتاب المقدس (أعمال الرسل ١١: ٢٦، وأعمال الرسل ٢٦: ٢٨، وبطرس ٤: ١٦) إلا أن جميع هذه الآيات لايستخدم مسمّى **مسيحي** في سياقٍ من شأنه أن ينسب إلى عيسى أو إلى الله.[٥]

والأهم من ذلك هو أنه لا يوجد دليل موثق على أن شَفتيْ عيسى نبستا يومًا بكلمة **مسيحي**. ونقرأ في (أعمال الرسل: ١١: ٢٦) أنه «دُعِيَ التَّلاَمِيذُ مَسِيحِيِّينَ فِي أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلاً». وهذا يعني أن الكفار هم أول من أطلق مصطلح **مسيحي** على الحواريين وذلك حوالى العام ٤٣ للميلاد.[٦]

ولم يكن ذلك المصطلح مؤدبًا.

---

[٥] Achtemeier Paul. J. (General Editor) 1985. *Harper's Bible Dictionary*. Harper & Row. P. 163

[٦] إن الاختصار (CE) والذي يرمز إما إلى "العصر الحالي Common Era" أو "العصر المسيحي Christian Era" قد حل بدرجة كبيرة محل الاختصار (AD) في الأدبيات العلمية المعاصرة، حيث أن (AD) والتي ترمز إلى "Anno Domini" (أي "عام ميلاد الرب") لا تتسق مع استخدام الديانات غير المسيحية.

ويبدو – وخلافًا للاعتقاد السائد – أن مصطلح **مسيحي** كان يرد على أنه مصطلح للتحقير. فكلمة **مسيحي** هي ماكان يطلقه الكفار على أتباع المسيح – حيث كان لقبًا شائنًا يحلو للمؤمنين الذين عرفوا أنفسهم بأنهم من يتّبع هدي آخر الأنبياء اليهود. ومع ذلك فإن المسيحيين يفخرون اليوم بحمل التسمية ذاتها على الرغم من الحقيقة القائلة بأنها "ليست بالتسمية المعتادة في العهد الجديد الذي يستخدم مصطلحًا أكثر شيوعًا مثل "الإِخْوَةُ" (أعمال الرسل ١: ١٦) و"المؤمنين" (أعمال الرسل ٢: ٤٤) و"القديسين" (أعمال الرسل ٩: ٣٢) و"التلاميذ" (أعمال الرسل ١١: ٢٦)."[٧] وعلاوة على ذلك وفيما يتعلق بمصطلح **مسيحي** "يبدو أن الوثنيين هم الذين استخدموه على نطاق واسع، ووفقًا لـ تاسّيتوس Tacitus فقد شاع استخدام هذا المصطلح إبّان فترة الاضطهاد النيروني Neronian persecution (الحوليات ١٥: ٤٤)."[٨] وبعبارة أخرى فإن مصطلح **مسيحي** هي تسمية ازدرائية كان أعداء المؤمنين يطلقونها عليهم. ومع ذلك فقد ثبت هذا اللقب على المسيحيين الذين قبلوه في نهاية المطاف لما عرف عنهم من تواضع مميّز.

وأما المشكلة الثانية بالنسبة إلى كلمة **مسيحي** فهي مشكلة التعريف.

---

٧ Meagher, Paul Kevin OP, S.T.M., Thomas C. O'Brien, Sister Consuelo Maria Aherne, SSJ (editors). *Encyclopedic Dictionary of Religion.* Philadelpia: Corpus Publications. Vol I., p.741.

٨ Meagher, Paul Kevin et al. Vol I., p. 741.

فإذا ما طبّقنا المصطلح ليشمل أولئك الذين يؤكدون نبوءة المسيح عيسى فإن للمسلمين الحق في أن يندرجوا تحت هذه التسمية، إذ إن إيمان المسلم بعيسى هو أحد أركان عقيدته. ولكن وإن سلّمنا بهذا فإن الفهم الإسلامي لعيسى يختلف عما لدى غالبية من يؤمنون بعقيدة التثليث والذين يصنفون أنفسهم بأنهم مسيحيون. إلا أن العديد من العقائد الإسلامية تتسق اتساقًا كبيرًا مع معتقدات المسيحيين التوحيديين[٩](م.ت.) التقليديين.

أما إذا استخدمنا تسمية **مسيحي** لتشمل أولئك الذين يتّبعون تعاليم عيسى فإننا سنواجه مشكلة مماثلة أيضًا، إذ إن المسلمين يزعمون أنهم يتبعون تعاليم عيسى بإخلاص أكبر من إخلاص المسيحيين لها. إن هذا الزّعم يرفع مذراة ثقيلة في وجه المسيحية، إلا أنه وإن فعل ذلك فإنما يفعله بإخلاص والتزام كبيرين وبالتالي فإنه يستحق الفحص والتمحيص.

[٩] منذ منتصف القرن التاسع عشر أخذ بعضهم يعدّ التوحيدية كرديف للخلاصية على الرغم من أن كليهما في واقع الأمر منفصل ومتميز من الناحية العَقَديّة. ولم يفعل اتحاد الكنيسة الخلاصية في أمريكا والرابطة الأمريكية التوحيدية في عام ١٩٦١ م لتشكيل الرابطة التوحيدية الخلاصية الكثير لإزالة سوء الفهم هذا. وفي حين قد يكون معظم الخلاصيين توحيديين فإن من المؤكد أن النقيض ليس صحيحًا، وذلك لأن مفهوم الخلاصي لجميع الناس مناقض في الواقع لعقيدة المسيحية التوحيدية القائلة بأن الخلاص مشروط بسلامة العقيدة والتطبيق وفقًا لتعاليم عيسى. ولعل السبب يرجع لهذا، بالإضافة إلى تنوع المعتقدات الخلاصية واختلافها، أخفقت الكنيسة الخلاصية في صياغة بيان تعريف للعقيدة يقبله التابعون كافة. يضاف إلى ذلك أن العقيدة التوحيدية تعتمد بشكل أكبر على الفلسفة منها على النصوص المقدسة، وهو ما يُفسّر الشقاق وانعدام الوحدة. وهكذا، وتمشيًا مع أهداف هذا الكتاب فإن "المسيحية التوحيدية" تشير إلى العقيدة التوحيدية التقليدية القائمة على ما ورد في النصوص المقدسة والمتحدة على أساس تأكيد وحدانية الخالق. ومن هنا فإن علينا أن نستبعد التفكير بالخلاصية لدى الإشارة إلى التوحيدية هاهنا، كما إنه لن يتم التطرق إلى الخلاصية بعد الآن في هذا الكتاب.

والسؤال الآن هو: هل يتوجب علينا ربط تسمية "المسيحية" بعقيدة الإيمان وبالخطيئة الأولى وبألوهية عيسى وبالتثليث وبالصلب وبالتكفير عن الخطايا؟ إن هذا يبدو منطقيًا، ولكن ثمة مشكلة. فعلى الرغم من أن هذه العقائد تحدد الاختلافات العَقَدية بين المسيحية التثليثية والإسلام، فإنها في الوقت نفسه تحدد الاختلافات العَقَدية بين مختلف طوائف المسيحية نفسها. فليس جميع المسيحيين يؤمنون بالتثليث، كما أن الكثير منهم ينكرون الزعم القائل بألوهية عيسى. وحتى عقائد الخطيئة الأولى والصلب والتكفير عن الخطايا نفسها لا تحظى بقبول عالمي في عالم المسيحية المتصدّع. لقد شرّعت طوائف مسيحية فرعية نُظُمًا عقدية واسعة التباين إلا أنه لم يحظ قط تعريف واحد بإجماع عام.

وبناء عليه فإن عالم المسيحية منقسم على نفسه منذ عهد عيسى. فالتاريخ يؤرخ لمئتي العام الأولى من المسيحية التي انشق خلالها الحواريون وأتباعهم عن بولس ولاهوته المنحرف. إن هذه الفترة المبكرة حاسمة لفهم المسيحية ذلك أن المرء بوسعه أن يتوقع أن خير من يمثّل نقاء معتقدات المسيح (doctrines of Christ) Christology والعقيدة المسيحية هم أولئك الأقرب إلى تعاليم عيسى. إلا أن معرفتنا بهذه الحقبة تبقى غامضة مع خيبة أمل بسبب قلة المعلومات التي يمكن التحقق منها والتي لم تُحلَّ إلى يومنا هذا. ولكن الواضح هو أن الآراء كانت تتباين تباينًا كبيرًا، فبعض المسيحيين الأوائل آمنوا بأن رسالة الله تجلت على الأرض عبر الوحي، فيما اعتقد آخرون بأن ذلك حدث من خلال التجسّد incarnation. وفيما

اعتقد بعضهم بأن الرسالة قد تمّت عبر النقل المباشر والتفسير على يد النبي نفسه، وتحدّث آخرون عن التنوّر الروحي كما زعم بولس. واتبع بعضهم ناموس العهد القديم الذي دعا إليه عيسى، في حين أبطل آخرون العمل بالناموس لصالح شريعة "التبرير بالإيمان" الذي دعا إليها بولس. واعتقد بعضهم (كالحواريين مثلاً) بأن ناموس الرب يجب أن يُفسر حرفيًا، في حين مال آخرون (مثل بولس) إلى أن الناموس يجب أن يُفسر تفسيرًا مجازيًا.

وليس واضحًا إن كان رُسُل المسيح قد اتفقوا على عقيدة واحدة أم لا. فما يُعرف بالعقيدة الرسولية هي في الحقيقة عقيدة الرُّسل Apostles' Creed ، بل هي صيغة معمودية baptism formula تشكلت عبر فترة غير محددة من الزمن. فقد جاء في **الموسوعة البريطانية** Encyclopedia Britannica أن العقيدة الرسولية " لم تبلغ شكلها الحالي حتى وقت متأخر جدًا، أما تحديد ذلك الوقت المتأخر فيبقى مسألة خلاف."[١٠] ولكن ما معنى "وقت متأخر جدًا" إذًا؟ فتبعًا لما يقوله بارت دي. إهرمان Bart D. Ehrman فإن العقيدة الرسولية مُستمدة من صيَغ عَقَديّة تبلورت في القرن الرابع للميلاد.[١١] وهذا يعني أنها نشأت بعد ثلاثمائة سنة من وفاة رُسُل المسيح (الحواريون)، بل يذهب كثيرون إلى أبعد من ذلك التاريخ بكثير.

---

١٠ *Encyclopaedia Britannica*. 1994–1998. CD-ROM.

١١ Ehrman, Bart D. 2003. *Lost Christianities*. OUP. P. 260— #1 to Chapter 1.

وبالطريقة التي تطورت فيها طرائق الفهم المختلفة للشرح اللاهوتي لشخص المسيح وأعماله Christology عبر القرون فإن معتقد المسيحية بدوره لايزال موضع جدال إلى يومنا هذا أيضًا. فبعضهم يبحث عن إجابات في كلّ من العهد الجديد ووثائق المسيحية المبكرة، في حين ذهب آخرون إلى التشكيك في مصداقية العهد الجديد في المقام الأول - وهذا موضوع نقاش نؤجل الخوض فيه إلى الفصول الأخيرة من هذا الكتاب.

وانطلاقًا من هذه الأصول المعتمة فقد شهد القرن الثالث احتدام الصراع بين المدارس التوحيدية المتنوعة وصيغة التثليث حديثة العهد آنئذ. وقد بلغ ذلك الصراع ذروته عندما سعى الإمبراطور قسطنطين Constantine إلى توحيد إمبراطوريته تحت مظلة لاهوت مسيحي واحدة، داعيًا بموجب مرسوم إمبراطوري إلى انعقاد مجمع نيقية والذي كان أوّل مجمع مسكوني وذلك في العام ٣٢٥ للميلاد. ومن أجل مناقشة عقيدة آريوس التوحيدية Unitarian Theology of Arius — وآريوس هذا كان قسًّا بارزًا في الإسكندرية — فقد عُقدت سبعة مجالس مسكونية في فترات متباعدة على مدى القرون الستة التالية. وتلا ذلك ثلاثة عشر مجمعًا (عدّت مجالس مسكونية في نظر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ورفضت الكنيسة الأرثوذكسية الاعتراف بها)، وكان آخرها مجمع الفاتيكان الثاني الذي انعقد في الفترة ما بين ١٩٦٢-١٩٦٥، ليصل بذلك مجموعها إلى واحد وعشرين مجمعًا. ومع ذلك يبقى الجدل محتدمًا حول القضايا التي أخفقت في تحقيق قبول بالإجماع.

وهكذا نجد أن لاهوت التثليث لم يكن على خلاف مع لاهوت التوحيد عبر ألفي العام المنصرمة فحسب بل أثار جدلاً مستديمًا بين أتباعه أيضًا. ومن وجهة نظر تاريخية فإن الجَيَشان الأكبر تمثّل في عقيدة الأَدْريّون اللاهوتية الفلسفية (الثيوصوفية Gnostic Theosophy)، وفي الشرخ مابين الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الرومانية، ثم تلا ذلك حركة الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر. فما بين البذور الميتافيزيقية التي غرسها كلّ من مارتن لوثر Martin Luther وجون كالفِن John Calvin من جانب، وبين القائلين بعدم وجوب المعمودية على الأطفال Anabaptists والمصلحين الإنجيليين Anglican Reformers من جانب آخر، نبتت أعداد لا حصر لها من العقائد التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا والمتمثلة في وفرةٍ من الطوائف مما يتطلب موسوعات دينية لتصنيف مختلف الفِرق فيها.

ومع هذا القدر الهائل من التنوع كيف لنا أن نعرّف مصطلح المسيحية؟ فإذا ما أطلقنا هذا المصطلح على الذين يزعمون أنهم متمسكون بتعاليم عيسى المسيح فإن المسلمين أولى أن ينضووا تحت ذلك. وأما إذا ما استعملنا هذا المصطلح لتعريف منظومة المعتقدات التي تُميّز المسيحية عن الإسلام تمييزًا إيديولوجيًا، فسوف نجد أن هذه المبادئ العَقَديّة ذاتها هي مايُحدث الانقسام في عالم الديانة المسيحية.

وعليه فإن كلّ محاولة لتعريف مصطلح ذي مصدر ومعنى غير مؤكدين – كهذا المصطلح الذي استعصى على مليارات من البشر عبر ماينيف

على ألفي العام – سوف تبوء بالإخفاق. وبالنتيجة فإنه –ووفقًا لأغراض هذا الكتاب – سوف نستخدم مصطلح **مسيحي** بالمعنى العامِّي للكلمة وذلك للدلالة على جميع من يرون فيه وصفًا لهم بغض النظر عن ماهية معتقدات الطائفة المسيحية التي ينتمون إليها.

# ثالثًا – الإسلام : الجزء الأول



**ما إن يتمدد عقل الإنسان بفعل فكرةٍ جديدةٍ فإنه لن يعود أبدًا كسابق عهده.**

ألِيفر وِنْدِل هولمز *Oliver Wendell Holmes*

وكما تقول مارغرِت نايدِل Margaret Nydell في كتابها **فهم العرب** *Understanding Arabs*، "فإن الإله الذي يعبده المسلمون هو الإله نفسه الذي يعبده اليهود والمسيحيون (فـ كلمة الله *Allah* هي ببساطة اللفظة العربية المقابلة لكلمة *God*، كما أن المسيحيين العرب يتوجهون في صلاتهم إلى الله)."[١٢]

إن كلمة **الإسلام** هي مصدر الفعل **أَسْلَمَ** في اللغة العربية، ومعناه "التسليم الكامل لله."[١٣] كما أن "اسم الفاعل من هذا الفعل هو **مُسلم**

---

[١٢] Nydell, Margaret K. 2006. *Understanding Arabs*. Intercultural Press. P.83

[١٣] Meagher, Paul Kevin et al. Vol 2. p.1842

والجمع **مسلمون** (أي الذي يسلِّم أمره لله تسليمًا مطلقًا)، وهذا الاسم هو ما يطلق على أتباع الإسلام."[14] كما أن كلمة **الإسلام** تتضمّن معنى السلام (لأن الكلمتين **الإسلام والسلام** مشتقتان من جذر الكلمة العربية نفسه وهو **سلم**)، مع فهمنا هنا أن السلام يتأتّى عبر الخضوع لأمر الله. وعلى خلاف مصطلحَيْ **اليهودية** و**المسيحية** اللّذيِن لم يُذكرا على هذا النحو في كتابيهما المقدّسَيْن، نجد أن مصطلحي **الإسلام** و**المسلمين** يرد ذكرهما مرات عديدة في الذكر الحكيم، ومن هنا فإن من يعدّون القرآن الكريم هو كلمة الله المنزلة يجدون توثيقًا إلهيًا لمصطلحَيْ **الإسلام** و**المسلمين** في كتابهم المبين هذا.

إن ما سبق هو التعريف الحرفي لل **مسلم** - وهو بالتالي الشخص الذي يُذْعِن لمشيئة الله. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما تعريف المسلم وفقًا للإيديولوجيا الإسلامية؟ إن الفهم الإسلامي هو أن المؤمنين الحقيقيين هم من آمن دومًا — ومنذ بدء الخليقة — بوحدانية الله وبتعاليم الرسول الذي بعث في زمانهم. ومثال ذلك أن المسلمين — أي الذين أسلموا أنفسهم لأمر الله — في زمن موسى لابدّ شهدوا بأن لا إله إلا الله وأن موسى رسول الله، وأن المسلمين في زمن عيسى شهدوا بأن لا إله إلا الله وأن عيسى رسول الله. وعلى مدى ألف وأربعمائة عام خلت أقر المسلمون بأن محمد بن عبد الله هو آخر رسل الله وخاتمهم. وإلى يومنا هذا فإن من

[14] المرجع السابق.

يدخل الإسلام يصبح مسلمًا بقوله: "أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله".

ولا يقر الإسلام بشرعية النطق بالشهادة ما لم تصدر عن نيّة صادقة لعاقل بالغ يدرك المعنى الكامل لما ينطق به ومايترتب على ذلك من تبعات. وعلى الرغم مما أشيع من افتراض خاطئ من أن الإسلام انتشر بحد السيف، فإن الإسلام ذاته ينهى عن الإكراه في الدّين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (القرآن الكريم ٢: ٢٥٦). أضف إلى ذلك أن سورة كاملة في القرآن وهي سورة الكافرون (السورة ١٠٦) تعلّم مايلي: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ . لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ . وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ . وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ . وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ . لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (القرآن الكريم ١٠٩: ١-٦).

وعلى الرغم من أن الفيلسوف الإنجليزي جون لوك John Locke الذي عاش في القرن السابع عشر يُصنّف تاريخيًا بأنه مسيحي توحيدي Unitarian Christian، إلا أنه قدم أجمل محاورة من شأنها أن تفيد هدف الجميع (بمن فيهم المسلمون) ممن يسعى لإيضاح عبثية الإكراه في التحول في المعتقد:

لا يمكن على كلّ حال من الأحوال أن أسير عكس ما يمليه

عليّ ضميري؛ لأن ذلك لن يبلّغني منازل المباركين. قد أثرى عبر فن لا أجد كبير متعة فيه، وقد أُشفى من مرض بعقاقير لا أؤمن بها، ولكن هيهات أن أجد الخلاص في دين لا أثق به أو في عبادة أمقتها ... وحده الإيمان وكذاك الإخلاص العميق هما اللذان يجلبان مرضاة الرب ... عبثًا إذًا يُكْره الأمراء رعاياهم على الذهاب إلى قداس مناولة في الكنيسة بدعوى أنهم سوف يكونون من الناجين. فإن كانوا ممن يؤمنون بذلك فسوف تقودهم أقدامهم إلى المكان طوعًا، أما إن كانوا من غير المؤمنين فليس لهم من أجر قدومهم إلى الكنيسة شيء...[١٥]

ومن الجدير بالملاحظة أن الافتراء على الإسلام بأنه انتشر بحد السيف هو إلى حد كبير من صنع مؤسسات دينية دأبت منذ أمد بعيد على الترويج له، وهذه المؤسسات هي نفسها من ذاع صيتها ولقرابة الألفي عام على أنها هي من أجبر الناس على تغيير معتقدهم الديني بأبشع الطرق السادية في أغلب الأحيان. ومن الواضح أن الإقرار بالإيمان في دين ما لا يمكن أن يتم بالإكراه إذا كان الإخلاص في اعتناق هذا الدين مطلوبًا في المقام الأول. ومنذ ثلاثمائة عام خلت تقريبًا قدّم جورج سيْل Goerge Sale التعليق التالي. وجورج سيْل هذا واحد من أوائل من ترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية، وهو من أُقرّ جهارًا بعدائه لـ محمد وللدّين الإسلامي —

---

١٥ Parke, David B. 1957. *The Epic of Unitarianism*. Boston: Starr King Press.p.35

يقول جورج سيْل:

لن أبحث هنا في الأسباب التي لاقت بها شريعة محمد ذلك الإقبال منقطع النظير لدى الناس من حول العالم (لأن الذين يعتقدون أنها انتشرت بحد السيف وحده واهمون إلى حدٍ بعيد)، ولن أخوض في الوسائل التي دفعت بأمم ماكان لها أن تقع تحت وطأة الجيوش المحمدية، ولا عمّن تمكّن من كسر شأفة الفتوحات العربية ووضع حد لسيادة خلفائهم وتقويض نفوذهم، ومع ذلك يبدو وكأن ثمة شيئًا في هذا الدِّين يفوق تصوّرنا الشائع عنه هو ما أسهم في التقدم المذهل لهذا الدّين.[١٦]

إن مثل هذه المشاعر هي التي دفعت ببعض العلماء المعاصرين لنبذ فرية الإكراه في الدين التي تم الترويج لها. ويقول هانز كونغ Hans Küng – الذي يعّده الكثير من علماء الديانة المسيحية "أعظم علماء لاهوتنا الأحياء" على حد وصف رئيس أساقفة كانتربري السابق اللورد جورج كاري George Carey له – ما يأتي:[١٧]

السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل أجبرت قرىً ومدنٌ وأقاليم ومقاطعات بأكملها على اعتناق الإسلام عنوةً؟ إن التأريخ

---

١٦ Sale, George. 1734. *The Koran*. London: C. Ackers. Preface, A2

١٧ Lord George Carey's cover endorsement of Hans Küng's book, *Islam, Past, Present and Future*. One World Publications. 2007.

الإسلامي لا يعرف شيئًا من هذا القبيل، وما كان له أن يسكت عنه فيما لو حدث حقًا، ولنا أن نفهم أن البحث التاريخي الغربي بدوره لم يجد من ذلك مايستطع تسليط الضوء عليه أيضًا. وفي الواقع إن كلّ شيء حدث بطريقة مختلفة تمامًا...[١٨]

ولنكن صادقين، كيف لنا أن نأخذ ادعاءات عن الإكراه بالدين على محمل الجد حين نجد أكبر دولة إسلامية بعدد السكان في العالم وهي إندونيسيا "لم تطأها البتة قوة عسكرية محمدية"[١٩]، بل تشرّبت الإسلام لا من شيء سوى من تعاليم ثلّةٌ من التجار الذين قدموا إليها من اليمن وقدوتهم! ونحن نشهد قوة التقدم الإسلامي إلى يومنا هذا، فالإسلام قد نما داخل حدود دولٍ وثقافات لم يغزها المسلمون يومًا، بل كانت هي الغازية للعديد من أراضيهم. وفضلاً عن ذلك فإن الإسلام يستمر في النمو والازدهار وسط شعوب تُعبِّر جهارًا عن ازدرائها لهذا لدين. ولا ينبغي إذًا أن نجد غضاضة في القبول بالتعليق التالي:

لم يسبق لدين في التاريخ أن انتشر بمثل السرعة التي انتشر بها الإسلام. فعند وفاة محمد (في العام ٦٣٢م) كان الإسلام قد سيطر على جزء كبير من الجزيرة العربية. وسَرْعان ماعمّت الفتوحات سوريا وفارس ومصر والحدود السفلى لروسيا الحالية

[١٨] Küng, Hans. 2007. *Islam, Past, Present and Future*. One World Publications, p.172.

[١٩] *Guinness Book of Knowledge*. 1997. Guinness Publishing.p.194

وعبر شمالي أفريقيا إلى مشارف أسبانيا. بل إن تقدمه في القرن التالي كان أكبر وقعًا.

وساد في الغرب اعتقاد واسع أن زخم انتشار هذا الدين إنما تم بحد السيف. ولكن لايمكن لباحث معاصر أن يقبل بهذه الفكرة، كما أن القرآن واضح في تأييده لحرّية الضمير.[٢٠]

ومن الجدير بالملاحظة أن الإسلام لا يُفرّق بين المؤمنين عبر الأزمان. فالمعتقد الإسلامي يقول بأن الرسل جميعًا منذ آدم ﷺ بعثهم الله كي يُبلِّغوا ما أوحى الله به إليهم. وكان من البشر من آمن بهذا الوحي وخضع له واتّبعه، في حين أعرض آخرون عنه وكفروا به، ولذلك ومنذ هابيل وقابيل والبشر منقسمون مابين تقي وجاحد وخيِّر وشرِّير.

ويؤكد الدين الإسلامي ثبات المذهب منذ زمن آدم، وكذلك يشدّد على أن مبادئ الإيمان في كلّ مرحلة من سلسلة الوحي كانت دومًا واحدة دونما تبديل أو تطوير. فلطالما بقي الخالق كاملاً ولايتبدل عبر الزمان، فلابد أن تكون شرعته كذلك. إن الادعاء المسيحي أن الله تحول من إله غاضب في العهد القديم إلى إله جواد في العهد الجديد هو أمر لا يقره الإسلام، إذ إن ذلك يقتضي ضمنًا أن الله لم يكن كاملاً بادئ ذي بدء، وأنه تطلّب تسوية روحية ما تبلِّغه حالة ارتقاء خالية من العيوب.

٢٠ Michener, James A. M. 1955. "Islam: The Misunderstood Religion," in *Reader's Digest* [American Edition].p.73

ولأن تعاليم الإسلام بقيت ثابتة فإنه ليس فيها تناقضات عَقَدية. فهل صحيح أن الإنسان القديم أو اليهود أو المسيحيين عاش كلّ بدوره وفق مذهب ومجموعة من القواعد المحددة التي يختلف كلّ منها عن الآخر؟ وهل صحيح أن المسيحيين هم وحدهم من سوف ينعم بالخلاص لأن المسيح قدم نفسه قربان العتق من النار؟ إن إجابة الإسلام لكلا السؤالين هي "كلا". فالإسلام يقول بأن الخلاص كان منذ بدء الخليقة وسيبقى قائمًا على مبدأ القبول بالمذهب الأزلي نفسه، وهو التمسك بتعاليم أنبياء الله.

وعلى صعيد هذه الأفكار فقد يتساءل المرء كيف تنظر مختلف الديانات إلى مصير إبراهيم عليه السلام وغيره من الرسل السابقين؟ هل كانت شرعة إبراهيم يهودية؟ من الواضح لا. فإذا كانت اليهودية تشير إلى ذريّة يهوذا Judah، فإن إبراهيم، كونه الجدّ الأكبر ليهوذا، هو بالتأكيد ليس من نسل يهوذا. ويُعرّف سفر التكوين (١١: ٣١) إبراهيم بأنه من منطقة بلاد الرافدين السفلى تُعرف بـ أور الكلدانية Ur of Chaldees فيما يُعرف اليوم بـ العراق. وإذا ما طبقنا المصطلحات الجغرافية المعاصرة فإن إبراهيم كان عربيًا. ويصف سفر التكوين (١٢: ٤-٥) انتقال إبراهيم إلى أرض كنعان Canaan (أي فلسطين) في سن الخامسة والسبعين، ويؤكد سفر التكوين (٨: ١٧) أن إبراهيم كان غريبًا في تلك الديار. كما أن سفر التكوين (١٤: ١٣) يصف الرجل بـ "إبراهيم العبري [أو العبراني]" — و"عبراني" تعني:

أحد أفراد الشعوب الساميّة الشمالية القديمة من أسلاف اليهود.

ويستخدم المؤرّخون مصطلح العبريين [أو العبرانيين] للدلالة على الأسباط الوارد ذكرهم في العهد القديم The Old Testament (أي إبراهيم وإسحاق وغيرهم) منذ ذلك العهد إلى حين غزوهم لأرض كنعان (فلسطين) في أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد. ومنذ أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد فصاعدًا كان يشار إليهم بـ الإسرائيليين إلى حين عودتهم من السبي البابلي في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، ومنذ ذلك الحين إلى اليوم وهم يُعرفون بـ اليهود.[٢١]

وعلى هذا فإن إبراهيم كان عبريًا في زمن لم يكن فيه تعبير "يهودي" قد دخل حيز الوجود بعد. أما ذرية يعقوب فكانت الأسباط الاثني عشر من الإسرائيليين ولم يُعْرف باليهود منهم سوى يهوذا والمنحدرين من سلالته. حتى موسى لم يكن يهوديًا على الرغم من الاعتقاد السائد عنه، ف سفر الخروج (٦: ١٦-٢٠) يشير إلى موسى بأنه منحدر من نسل لاوي Levi وليس من نسل يهوذا، وبالتالي فهو لاويّ Levite. لقد كان موسى هو من شرَّع لليهود إلا أنه لم يكن يهوديًا وفق تعريف ذلك الزمان من التاريخ. إن هذا بالتأكيد لايعني الحط من قدره أو التقليل من شأن ماقام به، بل لعرض الحقائق كما يجب أن تدوَّن.

وعليه فإذا كان إبراهيم غير يهودي – ونعلم يقينًا أنه لم يكن مسيحيًا – فأي شريعة خلاص يمكن أن تنطبق عليه؟ وماذا عن الأنبياء الآخرين

---

٢١ *Encyclopaedia Britannica,* CD-ROM.

الذين سبقوا موسى؟ وفي حين يصطرع رجال الدين اليهود والمسيحيون حول هذه النقطة يأتينا الإسلام بالقول: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (القرآن الكريم ٣: ٦٧). وبالإضافة إلى قولنا بأن دين إبراهيم كان التسليم لله (أي الإسلام)، فإن هذه الآية من القرآن الكريم تنص على أن إيمان الفرد وتسليم أمره لله هو أشد أهمية من اللقب الذي يطلقه الناس عليه.

# رابعًا – الإسلام الجزء الثاني



**إن المعرفة هي أداة الإنتاج الوحيدة التي لاتخضع لمبدأ الغلال المتناقصة.**

جِ. إم. كلارك *J.M.Clark*، **مجلة الاقتصاد السياسي**، أكتوبر/ تشرين أول، ١٩٢٧

نوهنا سابقًا بأن الإسلام يرى أن العالم مُطَعَّم بالمسلمين وفق التعريف الحرفي للمصطلح وليس الإيديولوجي. وهؤلاء البشر ينعتون أنفسهم بصفات شتى، فمنهم اللا أدريُّ [الغنوصي] Agnostic ومنهم اليهودي Jewish، ومنهم المسيحي Christian ولكنهم يسلّمون قدر مستطاعهم لإرادة الخالق، ولو اطّلع هؤلاء على تعاليم الإسلام اطلاعًا مناسبًا لما توانوا بالقبول به. إنهم هم الذين يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾

(القرآن الكريم ٢٨: ٥٣)، لأنهم وقبل أن يصبحوا مسلمين كانوا يعيشون مسلِّمين أنفسهم طوعًا أو كرهًا لحقائق الله الجليّة، وينهجون نهجًا حياتيًا يتماشى وأحكام الخالق كما فهموها. فهم بذلك مسلمون في كلّ شيء سوى النطق بالشهادة.

ومن المفارقة أن النموذج الأصلي التاريخي لمثل هؤلاء الأفراد قد يكون بحق توماس. هـ. هوكسلي Thomas H. Huxley أبو مذهب اللاأدرية [الغنوصية] Agnosticism. فقد خط هوكسلي أفصح عبارات الإرادة بل وكذلك الرغبة في تسليم إرادته إلى إرادة الخالق عندما قال: "أقر بأنه لو وافقت قوة عظمى على أن تجعلني أفكر دومًا بما هو صحيح وأعمل ما هو صواب، شريطة أن أكون أشبه بالساعة التي تُضبط على هذا كلّ صباح قبل أن أبارح فراشي، فلن يكون لي من بد إلا أن أقبل بهذا العرض في الحال."[٢٢]

ويبدي العديد استعدادًا ورغبة مماثلين في العيش مسلّمين لأمر الله، إلا أن الاختبار الحاسم يكمن في اعتناق الحقائق السماوية عندما تتم تجليتها. وبالقفز إلى الوراء من توماس. هـ. هوكسلي إلى الكتاب المقدس، فإن المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء يستشهدون بقصة لَعَازر [عُزير] Lazarous (يوحنا ١١: ١-٤٤). إذ تقول القصة إن المسيح أحيا لعازر

٢٢ Huxley, Thomas H. 1870. *Discourse Touching The Method of Using One's Reason Rightly and of Seeking Scientific Truth.*

بعد موته بإذن من الله «ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (يوحنا ١١: ٤٢). وبفضل عِظم تلك المعجزة فإن بعض اليهود اعترفوا بنبوة عيسى في حين أنكرها آخرون.

والدرس الرئيس المستفاد من وجهة النظر الإسلامية هو أن المخلصين (المسلمين حسب التعريف الحرفي) عندما يُقدم لهم دليل واضح على النبوة، فإنهم يتّبعون وجهة النظر هذه (ويصبحون مسلمين بكلّ ما في الكلمة من معنى)، في حين يفضّل غير المخلصين الاعتبارات الدنيوية على التوجيهات الربانية.

غير أن العِبر لاتنتهي هنا. فهناك مغزى لقصة لِعَازر تتعلق بالغرض من الوحي. فقد يتساءل المرء لماذا يبعث الله الرسل إذًا إن لم يكن الهدف من وراء ذلك هداية الناس إلى صراطه المستقيم الذي ارتضاه لهم؟ ومن ذا الذي سيجني المثوبة لاتباعه الهدي الرباني غير أولئك الذين أذعنوا لآياته؟ ومن الأجدر بنيل العقاب سوى أولئك الذين ينكرون الحقيقة بعد أن تتجلّى؟

ويؤكد المسلمون أن الأنبياء كافّة حملوا الوحي لتصحيح ضلالات أممهم. وإلاّ فلماذا يبعث الله نبيًا إلى قوم هم على جادة الحق؟ فكما أُرسل عيسى لـ «خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٥: ٢٤) بأدلة النبوة السماوية والوحي التصحيحي لهم، فإن محمدًا قد أرسِل إلى الناس كافّة منذ زمانه إلى يوم القيامة مؤَّيدًا بدلائل النبوة ووحي خاتم الرسالات. وهذا

الوحي الخاتم يُصحح الضلالات التي سَرَتْ في مختلف ديانات العالم بما فيها اليهودية والمسيحية. ويؤكد المسلمون أن الذين يسلمون لأمر لله ويؤمنون بآياته سوف يؤمنون بمحمدٍ نبيًّا، تمامًا كما آمن أتقياء اليهود بعيسى. وعلى النقيض من هذا فإن الذين يسلِّمون أمرهم لغير الله — سواء أكان ذلك الأمر مالاً، أم سلطةً، أم متاعًا دنيويًا، أم تقاليدَ ثقافية أم أسرية، أم تحيزات شخصية لا أساس لها، أم كلّ دين يتمحور حول الذّات أكثر ممّا يتوجه إلى الله، فمن المتوقع منهم أن يكفروا بمحمدٍ تمامًا كما كفر اليهود غير الأتقياء بعيسى.

هناك نقطة هامة وهي أن الإسلام يتطلب التسليم لله، في حين تتطلب اليهودية والمسيحية التسليم للعقيدة الكَنَسية [الإكليريكية/الكهنوتية] ecclesiastical. فالمسلمون لا يتقيدون بمعتقد كنسي لسبب بسيط هو أنه لا يوجد في الإسلام عقيدة كنسية. وفي الحقيقة **لا** يوجد في الإسلام نظام رجال الدّين [الإكليروس/الكهنوت] clergy أصلاً. ففي **المعجم الموسوعي للدين** *Encyclopedic Dictionary of Religion*: نجد أن "ليس هناك سلطة دينية أو قضائية مركزية التنظيم في الإسلام، ولذا تتباين سماته تباينًا كبيرًا عن الأعراف التقليديّة..."[٢٣] ونقرأ في **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** *The New Catholic Encyclopedia*: "لا يوجد في الإسلام كنيسة ولا كهنوت priesthood ولا نظام الطقوس المقدسة sacramental sysem كما أن

[٢٣] Meagher, Paul Kevin et al. Vol 2. p.1843

خدمة القدّاس الكنائسي liturgy تكاد تكون معدومة".[٢٤]

أما ما لدى الإسلام فهم العلماء scholars الذين تنحصر مهمتهم في الإجابة عن الأسئلة الدينية الصعبة. إلا أن العِلْميّة هذه scholarship لا تعني أن من حازها هو بالضرورة أكثر قربًا إلى الله من مسلم ورع بسيط قد لايملك علمًا. وعلى الأخص، فإنه لا يوجد في الإسلام ما يعادل البابوية، كما لايوجد شفعاء بين العبد وربه. فما إن يقبل المرء أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل وأن محمدًا هو خاتم أنبيائه، حتى يجد أن جميع تعاليم هذا الدين تنبع من هذين المصدرين الجوهريين. ولا نجد من يمكن أن يُطلق عليهم رجال الدين إلا في الطوائف المنحرفة. ف للشيعة أئمتهم، وللصوفيين أولياؤهم ولطائفة "أمة الإسلام" وُعّاظهم. أما عند أهل السنة فإن كلمة "إمام" لا تعني أكثر من مجرّد "الشخص الذي يتقدم القوم". وبعبارة أخرى من يؤم الناس في الصلاة. فليس من عمل الإمام التقديس أو تعيين الكهنة أو القيام بالطقوس المقدسة، بل لا تتعدى مزامنة مواقيت الصلاة وقيادة المصلين. فضلاً عن أن هذا المنصب لايتطلب تكليفًا أو تعيينًا محددين ، بل يمكن أن يضطلع به كلّ عضو بالغ في كلّ تجمّع للمصلين.

إن الإسلام يقوم على أساس الإيمان، فعندما يدخل المرء الإسلام يقر بالإيمان بالله الواحد، وبالقرآن الكريم بوصفه آخر الكتب السماوية وبمحمد بوصفه خاتم النبيين. وبعد ذلك فإن الإجابة عن كلّ سؤال بعينه،

---

[٢٤] *New Catholic Encyclopedia*. 1967.Vol 7 Washington, D.C.: The Catholic University of America.p.680

سواء فيما يتعلق بالمذهب، أو القوانين، أو السلوك، أو القيم الروحية، يتطلب الرجوع إلى وحي الله والكتب الصحاح من السنة النبوية.

وليس هذا هو الحال بالنسبة إلى المؤسسات اليهودية – المسيحية، التي تتطلّب –كما سنوضح لاحقًا في هذا الكتاب – الإيمان بعقائد خضعت لتفسير رجال يفوق عددها وصايا الرب. وفي مقدمة الكتاب قد ناقشنا مثال عيسى الذي لم يصف نفسه البتة بأنه ابن الله كما أنه لم يدعُ قط إلى عقيدة التثليث. وهذان ما هما إلا مثالان من قائمة طويلة من العناصر العَقَدية التي لم يدعُ إليها المسيح قط. وعليه فإن المرء قد يعتنق المسيحية مؤمنًا بإله واحد (كما دعا عيسى)، وبالتوراة وحيًا من الله، وبعيسى نبيًّا لله. ولكن الذين يشكّكون في أساس المذهب المسيحي يجدون أن العديد من العناصر العقدية لم تقم على أساس تعاليم الله أو تعاليم نبيّه عيسى، بل على مصادر ليست من الكتاب المقدس، من مثل كتابات الآباء الرسوليين apostolic fathers، واللاهوتيين من أتباع بولس Pauline theologians، ورجال دين معاصرين. إن كون هذه المصادر ليست من عند الله أو من عند نبيِّه عيسى لهو أمر لا لبس فيه على الرغم من أن من جاء بها يزعم أنها تتحدث باسم الرب وباسم المسيح عيسى. ومن هنا فإن لدى المسيحيين سببًا للتشكيك في شرعتهم لأن العديد من هذه المصادر غير الإنجيلية تتعارض بصراحة وتعاليم المسيح.

ولا يختلف الوضع كثيرًا في اليهودية، حيث الغالبية من اليهود هم من يهود الإصلاح Reform Jews، وهم الذين يتبعون تعاليم من "أصلح"

قوانين الله من الأرثوذكسية المتشددة إلى نظام أكثر مرونة.

ومما يزيد في إحباط جيران المسلمين الإبراهيميين هو أن المسلمين يتحدّون اليهود والمسيحيين أن يبرهنوا على أن تعاليم موسى وعيسى تتناقض مع الفهم الإسلامي لله وللوحي. فبالمحصلة النهائية يأمر القرآن الكريم المسلمين أن: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (القرآن الكريم ٢: ١٣٦). فوفقًا لهذه الآية يتوجّب على المسلمين اتباع الوحي المنزّل على كلٍّ من موسى وعيسى، وهنا مكمن التحدي، فلو أن كلّ نبي دعا إلى ما يخالف المذهب الإسلامي[٢٥] لتوجب على المسلمين مواجهة المغزى من ذلك التناقض. ومن جهة أخرى، فإذا ما أخفق اليهود والمسيحيون في إثبات وجود تناقض، فمن الواجب عليهم مواجهة التوافق العجيب بين أولئك الأنبياء الثلاثة.

ها قد انقضت ألف وأربعمائة عام على نزول القرآن الكريم، وإلى اليوم لم تتم مقابلة هذا التحدي، فلم يثبت أحد قط أن الحقيقة الإلهية مغايرة

[٢٥] يعلمنا الإسلام أن الله لا يحول ولايزول وكذلك عقيدته. ولكن الذي يتبدل هو قوانينه التي كانت تتعدل دوريًا وفقًا لما اقتضته التغيرات في أوضاع البشر.

لما يدعو إليه الفهم الإسلامي. وعلاوة على ذلك فإن أحدًا لم يثبت وجود تعارض بين تعاليم موسى وعيسى ومحمد. بل الحق أن يقال إن العديد يقترحون نقيض ذلك تمامًا، وهو أن الأنبياء الثلاثة يؤيد الواحد منهم الآخر تأييدًا تامًا.

ونتيجة لذلك فقد اعتنق الإسلام العديد من الراهبات والقساوسة والكهنة والأحبار المخلصين، وهم رجال الدين المثقفون الأعرف بأمور دينهم. فخلال حياة محمد قال بَحِيرة وهو الراهب المسيحي الذي كان يعيش في الشام بأنه عرف محمدًا بأنه خاتم الأنبياء عندما رآه وهو غلام صغير، أي قبل نزول الوحي عليه لأول مرة بعقود.[٢٦] وورقة بن نوفل الشيخ المسيحي الضرير وابن عم خديجة (زوجة محمد الأولى) أقسم قائلاً: "والذي نفسي بيده إنك (يا محمد) لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر (أمين الوحي – أي الملاك جبريل) الذي جاء موسى، ولتكذّبنّه، ولتُؤذَيَنّه، ولتخرَجَنّه، ولتقاتَلنّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصرًا يعلمه."[٢٧]

وفي الأيام الأولى للإسلام عندما كان المسلمون ضعفاء ومضطهدين اعتنق الدين ثلّة من الباحثين عن الحقيقة مثل سلمان الفارسي، وكان مسيحيًا فارسيًا أرسله مرشده الراهب المسيحي كي يبحث عن بعثة خاتم

---

[٢٦] ابن هشام: **السيرة النبوية**.

[٢٧] المرجع السابق.

الأنبياء في "بلاد النخيل".[٢٨] وأسلم النجاشي The Negus حاكم الحبشة Abyssinia المسيحي على الرغم من أنه لم يقابل محمدًا قط، وفي وقت كان المسلمون فيه لا يزالون قلة مستضعفة يُنظر إليها بازدراء واسع وكثيرًا ما كانت تصارع من أجل البقاء.[٢٩]

ولنا أن نتساءل: إذا كان علماء النصارى والشخصيات المسيحية ذات المراكز المرموقة قد أسلمت في زمن كان المسلمون فيه أقلية مضطهدة تفتقر إلى الثروة والقوة والمركز السياسي التي من شأنها جميعًا أن تمكنها من جذب مسلمين جدد فضلاً عن حمايتهم، فما الذي حدا بهؤلاء النصارى لاعتناق الإسلام سوى الإيمان الصادق؟ وتشير المصادر التاريخية إلى أن هرقل Heraclius، إمبراطور روما المسيحي، راودته فكرة اعتناق الإسلام التي ماكان ليعدل عنها لولا أنه رأى أنه إن فعل ذلك فسوف يكلفه ذلك فقدان تأييد شعبه له وكذلك مُلْكه.[٣٠]

ومن أدهش قصص اعتناق الإسلام القديمة قصة عبد الله بن سلام الحَبْر الذي كان يهود المدينة يصفونه بقولهم: "هو (عبد الله) سيدنا وابن سيدنا".[٣١] وتشير **الموسوعة اليهودية** *Encyclopedia Judaica* أنه عندما دَعا قومه لاعتناق الإسلام "رفض اليهود ذلك ولم يُسلِم سوى

---

٢٨ مسند أحمد.

٢٩ ابن هشام: السيرة النبوية.

٣٠ صحيح البخاري.

٣١ *Encyclopedia Judaica.*1971.Vol 2. Jerusalem: Keter Publishing House Ltd. P.54.

عشيرته الأقربين وخاصة خالته خالدة. ووفقًا لرواياتٍ أخرى، فإن إسلام عبدالله يعود إلى إفحام محمدٍ له بالإجابة عن أسئلته". [٣٢]

وهكذا بدأ التحوّل إلى الإسلام، ومازال مستمرًا إلى يومنا هذا. فالذين يتحولون إلى الإسلام يعدّون تحوّلهم هذا متّسقًا اتساقًا نموذجيًا مع كتبهم المقدسة إن لم نقل إن كتبهم ذاتها هي التي تملي عليهم ذلك. بل يمكن القول بعبارة أخرى، إن هؤلاء سرعان مايكتشفون أن الإسلام يجسّد تحقيقًا لما جاء في تعاليم الكتاب المقدس وليس متناقضًا معها. وهذا يثير بشكل طبيعي السؤال التالي: هل اليهود والمسيحيون في مواجهتهم لوحي القرآن يتحدّون الله وسلسلة الوحي التي أوحى بها لعباده؟ إن هذه المسألة تُمثل أسس الخلاف اللاهوتي. إذ يرى المسلمون أن هناك من ينكر نبوة عيسى المسيح ونبوّة محمدٍ على الرغم من أنه مازال يحظى بالقبول لدى قومه وبالتقدير العالي لدى أقرانه، ولكن هذا بالتأكيد مقابل خسرانهم لمرضاة الرب. وإذا كان هذا الأمر صحيحًا فإنه لرأيٌ جدير بالاستماع. وأما إذا ما ثبت نقيض ذلك فإنّ خطأ هذه القناعة لابد أن يُكشف. وفي كلتا الحالتين لا بد من تدبُّر الأدلة.

ولطالما كان هناك أعداد كبيرة من اليهود والنصارى المثقفين والممارسين لتعاليم الإسلام الذي أضحى دينهم الجديد، إلا أن النقيض ليس صحيحًا ولم يكن صحيحًا في أية حقبة من حقب التاريخ. هناك حالات لأناس

---

[٣٢] المرجع السابق.

ينتمون إلى فرق منحرفة عن الإسلام ممن يتحوّل إلى ديانات مختلفة، إلا أن هذا لا يثير الكثير من الاستغراب. فبسبب جهل هؤلاء بالتعاليم الحقة للإسلام تراهم ينزلقون نحو الإباحات الدنيوية التي تجيزها الديانات الأخرى بيسر وسهولة. ومن أمثلة تلك الفرق الضالة الفرقة "البهائية"، و"أمة الإسلام"، و"الأحمدية" (التي تعرف أيضًا بالقاديانية)، والأنصار، وفرق الصوفية المتطرفة، وكذلك العديد من الفرق الشيعية إن لم يكن معظمها. وقد تلبس هذه الفرق ذاتها نفسها لبوس الإسلام وتدّعيه، ولكنها أشبه ماتكون برجل يسمّي نفسه "الشجرة" إلا أنه يفتقر إلى وجود الجذور الكافية في الدين التي من شأنها أن تعزز زعمه. والأهم من ذلك أن معتقدات هذه الفرق الضالة والمخالفة للشرع تفصلهم عن الإسلام (السنّي) الحنيف مما يستدعي الرفض من قبل المسلمين جميعًا.

أما بالنسبة إلى أولئك الذين يولدون مسلمين ولا يُنَشّؤون وفق تعاليم هذا الدين، وبالتالي يكونون جاهلين به، فإن اعتناقهم لدين آخر لايمكن أن يُعَدّ إعراضًا عن الإسلام – طالما أن هؤلاء لم يعتنقوا الإسلام عن قناعة في المقام الأول. وبطبيعة الحال فليس كلّ من يولد على دين ما يجب أن يكون مثالاً للتقوى والصلاح الديني وإن كان عارفًا بذلك الدين. ثم إن هناك ضِعاف الإيمان الذين يقدّمون متاع الدنيا، أو من تغويهم عقائد الأديان الأكثر تساهلاً فيتخلون عن قناعاتهم الدينية. ولكن الحجم الإجمالي لكل هؤلاء المرتدين لا يوازي في كلّ حال من الأحوال مجموع رجال الدين اليهود والمسيحيين الذين يتحوّلون في الاتجاه المعاكس على

مدى ألف وأربعمائة عام خلت. ومن الواضح تمامًا في معادلة التحوّل هذه أنه لا يوجد مرتدّون عن الإسلام من المسلمين المخلصين والملتزمين والمثقفين والممارسين لأحكام دينهم من أهل السنة مقابل نظرائهم (أي المكافئ الإسلامي من الأحبار والقساوسة الذين يعتنقون الإسلام).

ويبقى السؤال: لماذا يعتنق بعض علماء اليهودية والميسحية الإسلام السنّي دون غيره؟ لا أظن أن هنالك ضغطًا عليهم للقيام بذلك أو أن ثمة أسبابًا دنيوية أخرى تمنعهم من ذلك – مثل فقدهم لجماعتهم، أو مناصبهم، أومراكزهم، أو أسرهم، أو وظائفهم، أو معاشاتهم التقاعدية. كما يمكن أن نسأل لماذا لا يتحول علماء المسلمين لدين آخر؟ فالديانات الأخرى أكثر تساهلاً في مسائل الإيمان والأخلاق، فضلًا عن أنه لايوجد تطبيق لأحكام الردة في الدول الغربية!

وعليه فلماذا يعتنق علماء اليهود والمسيحيين الإسلام في حين يظل مثقفو المسلمين راسخين في معتقدهم؟ يرى المسلمون أن الإجابة على هذا السؤال تكمن في تعريف الإسلام. فمن يسلم أمره لله، لا إلى هيئة كنسيّة معينة، لابد أن يُدْرِك المدلول الرباني للوحي. فالإسلام يمثل السلسلة المتصلة لليهودية والمسيحية رغم اختلافه عنهما والذي حالما يتعرّف الباحث المخلص إليه فإنه يدفع به نحو درب الوحي المنبسط. ويعتقد المسلم أنه بمجرد أن يدرك المرء ما يكمن خلف الحقد والدعاية الغربيتين فإن أبواب الفهم لابد أن تُشْرَع له.

إن وجهة النظر الإسلاميّة هي أنه مابين بعثتي عيسى ومحمد، من اعترف بعيسى أنه تحقيقٌ لبشارات [نبوءات] العهد القديم لابد أن شهد بأن لا إله إلا الله وأن عيسى نبي الله. ووفقًا للتعريف الإسلامي فإن أولئك الأوائل من "المسيحيين" كانوا مسلمين من حيث أهدافهم ونيّاتهم. ويذكّرنا المسلمون المعاصرون بأنه ما كان لعيسى أن يدعو إلى أمورٍ لم توجد خلال بعثته مثل لقب "مسيحي" وعقيدة التثليث، التي كان لها أن تتطور عبر القرون القليلة الأولى في العصر ما بعد الرسولي post- apolstolic age. إن ما دعا إليه عيسى بالتأكيد هو الحقيقة البسيطة وهي أن الله واحد [لاشريك له] وأن الله بعثه ليكون نبيًا. ونجد في إنجيل يوحنا أفضل دلالة على ذلك: «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا ١٧: ٣)، وكذلك: «لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي» (يوحنا ١٤: ١). ومن هنا فإن وجهة النظر الإسلامية تقضي أنه – بغض النظر عما دعت هذه المجموعة من أنصار عيسى خلال الأربعين سنة التي تلت بعثته نفسها به (حتى قبل أن تخترع كلمة "مسيحي") – فإن هذه المجموعة لابد أنها أسلمت نفسها للحق الرباني الذي تمثلت به تعاليم عيسى. وبغضّ النظر عن اللقب الذي ارتضته لنفسها آنئذ فإنه يمكن تعريفها اليوم بكلمة يمكن أن تنسب إلى أولئك الذين يعيشون مسلمين لله عبر تصديقهم رسالة وحيه، ألا وهي كلمة "مسلم".

وعلى نحو مماثل، فإن علماء اليهود والمسيحيين ممن اعتنق الإسلام

يؤمنون بأن نبوءات العهدين القديم والجديد حول خاتم الأنبياء قد تحققت في شخص محمد. قد يعترض بعض القراء بأنهم لم يصادف أن وجدوا ورودًا لاسم "محمد" في الكتاب المقدس. ولكن – من جهة أخرى – يمكن أن نسأل كم مرة وجدوا اسم "عيسى" في العهد القديم للإشارة إلى المسيح المنتظر؟ والإجابة هي "ولا مرة". فالعهد القديم يحتوي نبوءات عدة تبشّر بأنبياء سيبعثون، ولكن دون ذكرٍ لاسم أحد منهم بعينه. فبعض تلك النبوءات يُعْتقد أنها تصف يوحنّا المعمدان [النبي يحيى عليه السلام]، وأخرى يُزعم أنها تتعلق بعيسى، ومع ذلك يبدو أن بعضها الآخر لا ينطبق على شخصية إنجيلية. ويخبرنا الكتاب المقدس أن اليهود كانوا ينتظرون بعثة ثلاثة أنبياء تَتْرى كما هو مدُوّن حيث ورد أن الفريسيين Pharisees كانوا قد سألوا يوحنا المعمدان ما يلي:

«وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ:"مَنْ أَنْتَ؟" فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ:"إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ". فَسَأَلُوهُ:"إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟" فَقَالَ:"لَسْتُ أَنَا". "أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟" فَأَجَابَ:"لاَ"» (يوحنا ١: ١٩–٢١).

وبعد أن عرف يوحنا المعمدان نفسه لهم بعبارات غُمّت عليهم، ألحّ الفريسيون عليه بسؤالهم: «فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلاَ إِيلِيَّا، وَلاَ النَّبِيَّ؟» (يوحنا ١: ٢٥).

وهكذا يكون لدينا "إيليا" و"المسيح" و"النبي"، ليس مرة واحدة بل

مرتين، وهذه هي قائمة الأنبياء المختصرة التي كان اليهود ينتظرونها وفقًا لما جاء في كتابهم المقدس.

وبالرغم من أن يوحنا المعمدان في النص الوارد أعلاه نفى أن يكون "إيليا"، إلا أن المسيح أشار إليه باسم "إيليا" مرتين (متى ١١: ١٣-١٤، ١٧: ١١-١٣). وإذا ما نحّينا عدم الاتساق في النص الإنجيلي جانبًا وقبلنا "إيليا" [بأنه يوحنا] بناء على قول عيسى وغير مدققين بمن يشير إليه "المسيح" بقوله هذا، وركزنا على بقية النص، فمن يكون الشخص الثالث والأخير في قائمة الأنبياء المبشر بهم في العهد القديم؟ من يكون "النبي"؟

إن بعض المسيحيين يتوقعون أن يكون خاتم الأنبياء هذا هو يسوع العائد، ولكن آخرون ينتظرون نبيًا آخر مختلفًا كليًا. وهذا هو السبب في أن اليهود جميعًا والكثير من المسيحيين ينتظرون خاتم الأنبياء كما تتنبأ به كتبهم المقدسة.

يؤمن المسلمون بأن خاتم الأنبياء هذا قد بُعِث بالفعل وأن اسمه محمد، وقد أنزِل عليه القرآن الكريم وحيًا من عند الله تعالى. فالذين يتمسّكون بالقرآن الكريم بأنه كلام الله وبتعاليم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله هم من يُعدّون مسلمين من الناحيتين الحرفية والعقدية [الإيديولوجية].

# القسم الثاني: فهم الخالق والتقرب منه



**كلنا مرتبط بعرش الذات الإلهية بواسطة سلسلة مرنة تضبطنا دونما استعباد. إن أروع جانب في خطة الأشياء الكونية هو عمل الكائنات الحرة وفق التوجيه الرباني.**

جوزيف دي ميستر *Joseph de Maistre*: **تأملات في فرنسة**
*Considerations on France*

في الوقت الذي تشترك فيه الديانات التوحيدية في اعتقاد جوهري وهو الإيمان بالله الأحد، إلا أن فهم هذه الديانات لصفات الله يختلف اختلافًا عظيمًا فيما بينها. فالعديد من هذه الاختلافات قد تبدو – مَثَلها مثل الخيوط المستقلة لشبكة العنكبوت – منفصلة متباعدة إذا ما دققنا النظر فيها. ولكن هذه الخيوط المستقلة تحيك معًا نظامًا أكبر لانتبين أهميته الكاملة إلا إذا نظرنا إليه بأنه وحدة متكاملة. ولا يتضح تعقيد ذلك النظام إلا من خلال النظر إليه من بعيد ليتجلى عندها أيضًا حقيقة أن كلّ خيط يشير إلى حقيقة مركزية.

# ١ – اسم الله



**إن الفرق بين الكلمة الصحيحة تقريبًا والكلمة الصحيحة في حقيقة الأمر مسألة كبرى ... إنه الفرق بين اليراعة [ذات الذيل التي تبرق في الظلمة] والبرق ذاته.**

مارك توين *Mark Twain*، **رسالة إلى جورج بينتون**

هناك مثال بسيط يعّبر عن الكيفية التي تجتمع فيها عدة خيوط من الأدلة لتنسج بمجملها نتيجة منطقية وهذا المثال يتعلق بـ اسم الله. فالدلائل المستقاة من اليهودية والمسيحية والإسلام تتضافر جميعًا لدعم نتيجة لا بد أن تكون مقبولة لهذه الديانات الثلاث. فالاعتراف مثلا بأن الله هو "الخالق" و"العلي القدير" اعتراف عالمي. وفي الحقيقة لله أسماؤه الحسنى وصفاته العظيمة وهذا أمر يُقر به الجميع. وهو الذي يستجيب الدعاء. وبعد كلّ هذا ما المطلوب إذًا؟

حسنًا، إن مايلزم بعضهم هو "الاسم" — اسم تعريفي محدد.

إن كون اسم الرب God في الإسلام هو "الله" ينبغي ألا يفاجئ أحدًا. وإذا ما جاز لأحد أن يقترح بأن اسم الرب في المسيحية هو أيضًا "الله"، فإنه بذلك قد يثير صدمة كبرى إن لم نقل احتجاجًا عنيفًا لدى المجتمع المتزمت للمسيحيين في الغرب. ولكن الزائر للأرض المقدسة سرعان ما يدرك أن "الله" هو الاسم الذي يُنادى به الرب عند الجميع من عرب ومسيحيين ومسلمين على حد سواء. فالعرب المسيحيون يتتبعون تراثهم إلى زمن الوحي – وفي الحقيقة فقد مرّ أجدادهم الأُوائل بالأرض ذاتها التي مرّ بها النبي عيسى – وهم يعرفون الخالق بأنه "الله". ولقد ازدهرت ذريّتهم لمدة ألفي عام في الأرض التي طالماعُرفت بالتسامح الديني حتى زمن إنشاء "دولة إسرائيل الصهيونية" (وهي حقيقة لا يعرفها الكثيرون وقد شوهتها وسائل الإعلام الغربية تشويهًا كبيرًا)، وهم يمارسون شعائرهم الدينية بحريّة إلى يومنا هذا ويدعون الخالق بـ"الله".

وفي **المعجم الدولي الجديد للكنيسة المسيحية** *The New International Dictionary of the Christian Church* نقرأ: "كما يستخدم اسمَ الله المسيحيون العرب المعاصرون الذين إذا ما أرادوا التعبير عن احتمال مستقبلي ما فإنهم يقولون 'إن شاء الله'."[٣٣] وتؤكد **الموسوعة البريطانية** الاستخدام العربي المشترك لاسم "الله"، فنقرأ: "إن

[٣٣] Douglas, J. D. (general editor). *The New International Dictionary of the Christian Church*. 1978. Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House. p.27.

'الله' هي اللفظة العربية الفصحى المقابلة لكلمة "God" [الإنكليزية] ويستخدمها المسيحيون العرب والمسلمون على حد سواء."[٣٤]

وفي الحقيقية، فإنه من المسيحيين الأرثودوكس (للأرض التي كانت مسقط رأس إبراهيم والمعروفة اليوم بـ العراق)، إلى المسيحيين الأقباط (لمصر موسى)، إلى مسيحيي الأرض المقدسة فلسطين (التي وطئها عيسى المسيح)، إلى الشرق الأوسط برمته — الذي كان البؤرة التي شعَّت منها موجات الوحي وسادت العالم بأسره — فإن "الله" هو اسم العلم المستخدم والمقابل لمن تدعوه الديانات الغربية بـ "God". والمعروف أن المسيحيين العرب يلقبون عيسى بـ "ابن الله". وإذا ما فتحت كلّ نسخة من الكتاب المقدس باللغة العربية فستجد أن اسم الخالق فيه هو "الله". إذًا فـ "الله" هو الاسم المرادف للرب في أرض الوحي التي نزل فيها العهد القديم والعهد الجديد وكذلك القرآن الكريم.

والذي لا يعترف به المسيحيون والمسلمون المدققون في اللغة purists من الأرض المقدسة هو اسم الجنس الغربي لكلمة "God". فهذه الكلمة [God] غريبة تمامًا عن كلّ نص غير مترجم من نصوص الكتب المقدسة للعهدين القديم والجديد وكذلك القرآن الكريم— فهي ببساطة لا أثر لها في النصوص الأصلية لمخطوطات كلّ الديانات الإبراهيمية الثلاث.

وعليه ففي حين أن مفهوم لفظة God سرعان ما يمكن أن يُعرف

[٣٤] *Encyclopaedia Britannica*. CD-ROM

المقصود منه، إلا أن القليل من البحث يكشف لنا أن تاريخ هذه الكلمة ليس له أصل مؤكد. فقد يكون أصلها من الجذر الإندو- أوروبي Indo-European لكلمة "*ghut*" التي تتضمن المعنى الباطن لـ "الذي يُتضرَّعُ إليه". وقد يكون أصل اللفظة من لغة ما قبل التاريخ الجرمانية Prehistoric Germanic وهي "*ghut*" على أنها الأصل القديم (الذي اشتقت منه الكلمة الألمانية المعاصرة "*Gott*"، والتي تقابل "*God*" في الهولندية، و "*Gud*" في كلّ من السويدية والدانماركية).[٣٥] وهناك الكثير من الاحتمالات ولكن لا شيء قطعي باتّ. وبغض النظر عن كيفية تقصّي أصل هذه التسمية "*God*" فإن الاشتقاق يبقى اشتقاقًا محض غربي لا أصل له في الكتاب المقدس، بل إن أصل اشتقاقه ومعناه قد ضاعا في غياهب التاريخ.

باختصار فإننا لا نعلم من أين أتت كلمة "*God*" ولكننا نعلم حقًا من أين لم تأت، فهي لم تأتِ البتة من أيٍّ من أناجيل الكتاب المقدس— سواء أكانت نصوص العهد القديم أم العهد الجديد.

ومهما يكن فإن حقيقة أن مسيحيي الشرق الأوسط يعادلون كلمة "God" بـ "الله" يعد تحديًا لمشاعر الذين يربطون لفظة "الله" بالوثنيين. ولكن هذا لن يغيّر من الأمر شيئًا، والسؤال المهم الآن هو هل بالإمكان إثبات أن "الله" هو اسم خالقنا؟ فمعظم البشر يريدون التأكد من أن

---

٣٥ Ayto, John. *Dictionary of Word Origins*. 1991. NY: Arcade Publishing, Inc. p.258.

معتقداتهم وممارساتهم الدينية تستند إلى أساس في النص المقدس وليست مجرّد عرف محلي، وعليه فمن حق المرء أن يسأل: هل كان العهدان القديم والجديد يؤيدان استخدام الاسم "الله" في اليهودية و/أو في المسيحية.

والجواب هو "بالطبع".

ففي النصوص اليهودية يُشار للرب *God* بالكلمات: "يهوه *Yahweh* " و"إلوهيم *Elohim*" و"إلوَه *Eloah*" و"إِلْ *El*". أما في النصوص المسيحية فإن الألفاظ تختلف قليلاً؛ لأن كلمة "*theos*" اليونانية لا تعدو أن تكون ترجمة لكلمة لـ "إلوهيم *Elohim*". كما أننا نقع على اللفظين "إلوي *Eloi*" و"إلي *Eli*".

ففي العهد القديم تم استخدام لفظة "يهوه *Yahweh*" أكثر من ٦٠٠٠ مرة على أنها اسمٌ لله، كما استخدمت لفظة "إلوهيم *Elohim*" بما يزيد على الـ ٢٥٠٠ موضع بأنه اسم جنس كاسم للرب. ونصادف لفظة "إلوَه *Eloah*" ٥٧ مرة ولفظة "إِلْ *El*" أكثر من ٢٠٠ مرة[٣٦]،[٣٧] فكيف ترتبط هذه الأسماء من العهد القديم بلفظة الجلالة "الله"؟ الأمر بسيط، فـ "إلوهيم" هو جمع العظَمة (جمع الجلالة لا جمع العدد) للفظة "

---

[٣٦] Achtemeier, Paul J. pp. 684–686

[٣٧] Werblowsky, R. J. Zwi and Geoffrey Wigoder (editors in chief). 1997. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*. OUP. P.277.

إلوَه".[٣٨] وتؤكد **موسوعة الدين والأخلاق** *Encyclopedia of Ethics and Religion* أن لفظة "إله" (اسم الجنس العربي المقابل للفظة "god") "مطابقة لـ إلوه أيوب".[٣٩] والتفسير اللغوي لأصل لفظة "الله" أنّ الصيغة المختصرة لأداة التعريف "أل" مضافا إليها "إله" تولِّد اللفظة "الله" (The God) وفقًا لقواعد اللغة العربية. وبالنتيجة فإن المدخلات التي تربو على الـ ٢٥٠٠ لـ "إلوهيم" وتلك الـ ٥٧ للفظة "إلوه" الواردة في العهد القديم ترتبط ارتباطًا مباشرًا بلفظة الجلالة "الله" [في العربية] لأن "إلوهيم" هي جمع "إلوَه" المطابق للفظة العربية "إله" وهي الجذر اللغوي للفظة "الله" على مايبدو.

ويقدم علماء المسلمين في هذا المقام فكرة استحواذية، فإذا أراد المسلم أن يتضرّع إلى خالقه لاذ إليه بقوله "اللهمّ" التي تعني "يا الله" ولا يصعب إدراك الشبه الذي يبلغ حد التطابق في اللغتين الساميتين المتمثل في كلمتي "اللهمّ" [العربية] و"إلوهيم" [العبرية].

ومن للأسف فإن هناك من يتناول تحليل النصوص المقدسة بصفتها حربًا دينية من أجل النفوذ أكثر من كونها بحثًا موضوعيًا عن الحقيقة، وهذه المجموعة من البشر لا تقرّ بالأدلة المذكورة آنفًا. ومن أمثلة الحساسية المفرطة حول هذه المسألة مايتعلق بنسخة الإنجيل **كتاب سكوفيلد**

---

[٣٨] *Encyclopaedia Britannica*. CD-ROM. (under "Elohim")

[٣٩] Hastings, James (editor). 1913. *The Encyclopedia of Religion and Ethics*Vol. 6. Charles Scribner's& Sons. p.248.

**المرجعي المقدس**: *Scofield Reference Bible* الذي قام بتحريره عالم اللاهوت والقسيس الأمريكي سايرُس آي سكوفيلد .Cyrus I Scofield طبعة العام ١٩٠٩ الصادرة عن دار جامعة أوكسفورد للنشر Oxford University Press، حيث أثار نشره في صيغته الأصلية استهجان النصارى لتضمنه الاسم "اللاه" (Alah). وقد تناولت على الخصوص إحدى الحواشي في سفر التكوين (١:١) الاسم "إلوهيم" مفسّرة أنه مشتق من الصيغة المختصرة المكونة من "إِلْ" و"أَلاه". وتخفى حقيقة وجود تشابه كبير بين هذا التفسير والتفسير اللغوي آنف الذكر بأن أصل الاسم "الله" قد يكون مكوّنًا من أداة التعريف العربية "أل" و"إله"، كما أنها لم تغب عن بعض المدافعين المسلمين لا سيما أحمد ديدات Ahmed Deedat الجنوب إفريقي. إلا أن النتائج المستقاة من تفسير سكوفيلد لا تعدو أن تكون سوى تكهّنات، ذلك أن **كتاب سكوفيلد المرجعي المقدس** لم يعرّف كلمة "اللاه" بأنها هي اسم العَلم الدال على الخالق، بل قدّم التعريف التالي: "إل ― القوة أو القوي وألاه ― يُقسم، يَحْلِف، بما يوحي بالإخلاص". ولاشك أن الزعم الذي أورده مرجع سكوفيلد هذا تضمن بطريقة ما أن اسم العلم "الله" كتعبير عن الخالق يعد خطًا. إلا أن تعليقاتهم كانت ذات صلة بما أرادوا التعبير عنه، ولا تبدو غير مناسبة أو غير صحيحة أو أنها تهويلية على كلّ حال. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الاقتراح البسيط الذي دلّ على أن اسم الله كما ورد في العهد القديم يماثل الاسم ذاته الوارد في القرآن الكريم – والذي يعدّ أقرب

اقتراح تمّ – كان من شأنه أن يثير الحساسية المسيحية، وبالتالي فقد تم حذف الحاشية آنفة الذكر من جميع الطبعات التالية [لـ **كتاب سكوفيلد المرجعي المقدس**].

وإذا انتقلنا من العهد القديم إلى العهد الجديد فمن حق القارئ المسيحي أن يسأل: "كيف يمكن للعهد الجديد أن يتناسب وما تم ذكره آنفًا ؟" والأمر هنا بسيط أيضًا، ويمكن تلخيصه في بضع نقاط ملموسة. أولها أن أكثر الكلمات استخدامًا للدلالة على "الله" (وهي ١٣٤٤ مُدخل من أصل ١٣٥٦ مُدخل) في نصوص العهد الجديد اليوناني Greek New Testament هي كلمة "theos".[٤٠] وترد كلمة "theos" هذه في ترجمة التوراة السبعونية septuagint (وهي الترجمة اليونانية القديمة للعهد القديم) بشكل رئيسي على أنها ترجمة لكلمة "إلوهيم" وهي التسمية العبرية لله.[٤١] وقد اختار علماء اليهود من الأحبار الاثنين والسبعين (ستة علماء من كلٍّ من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر) الذين عُهد إليهم ترجمة التوراة السبعونية أن يتقيدوا بعرف وهو ترجمة "إلوهيم" إلى "theos" (ثيوس). ولا يختلف العهد الجديد عن العهد القديم في هذا، فكلمة "theos" المستخدمة في النصوص اليونانية للعهد الجديد هي ذاتها [theos] المستخدمة في الترجمة اليونانية للعهد القديم (أي الترجمة السبعونية)، وكلتاهما مشتقة من "إلوهيم".

---

٤٠ Achtemeier, Paul J. p.684

٤١ المرجع السابق.

وبإدراك المرء أن أساس كلمة "theos" في العهد الجديد هو "إلوهيم" الواردة في العهد القديم فإن هذا يعيدنا إلى العلاقة آنفة الذكر بين "إلوهيم" و"الله".

والحق يقال يجب على المرء ألا يستغرب، فكلمتا "إِلِيْ" و"إلوي" اللتان يُزعم أن عيسى نطق بهما في العهد الجديد (متى ٢٧: ٤٦، ومرقس ١٥: ٣٤) هما أقرب بكثير إلى لفظة "الله" منها إلى لفظة "God". وكما هو الحال بالنسبة إلى "إلوهيم" و"إلوَه" فهناك تشابه في اللفظ بين "إلوي" و"إلي" ولفظ "الله" وهما يتوافقان ولفظة "الله" في الشكل والمضمون. وهذه الأسماء الإنجيلية الأربعة جميعها عبرية والعبرية تَوْأم اللغتين العربية والآرامية. والشائع بين علماء الكتاب المقدس أن اللغتين اللتين تحدّث بهما المسيح هما العبرية والآرامية فمثلا في العبارة "إيلويْ، إيلوي لاما سبختني" (مرقس ١٥: ٣٤) فإن الكلمتين "إيلوي" و"لاما" منقولتان عن العبرية و"سبختني" عن الآرامية. ومن هنا فكون العبرية والآرامية والعربية لغات من عائلة واحدة فإنه من غير المستغرب أن يتشابه نطق الكلمات المتطابقة في المعنى فيها جميعًا. فهذه اللغات جميعها سامية مع وجود اختلاف طفيف في نطق الكلمات المتفقة معنىً كما في التحية العبرية "شَلوم *shalom*" والتحية العربية "سلام *salaam*" وكلاهما يعني "سلام" (peace). ولو ذهبنا إلى أن الكلمات العبرية "إلوهيم" و"إلوه" و"إلوي" و"إلي" تتوافق والكلمة العربية "الله" بالطريقة ذاتها التي تتوافق فيها الكلمة العبرية "شلوم" والكلمة العربية "سلام" فإن ماجاء أعلاه يبدو أنه بني على أسس سليمة.

وعلى الرغم مما تقدم ذكره فإنه ما زال هناك من يرى أن "الله" هو اسم لإلهٍ وثني. وهم يتجاهلون حقيقة أن الوثنيين عمومًا يستخدمون كلمة "god" بالطريقة ذاتها التي يستخدمها اليهود والمسيحيون والمسلمون، وهذا لا يغير من حقيقة وجود إله واحد [لا شريك له]. وعلى نحو مماثل، فان كلمة "إلوهيم" استخدمت في التوراة السبعونية للإشارة إلى آلهة وثنية، بالإضافة إلى الآلهة اليونانية والرومانية، فضلاً عن إشارتها إلى الإله الواحد الحق الوارد ذكره في العهدين القديم والجديد.[٤٢] وتوضح **الموسوعة اليهودية** هذه النقطة على النحو التالي: "لا تُستخدم صيغة الجمع "إلوهيم" للدلالة على "آلهة وثنية" فحسب (مثلاً سفر الخروج ١٢: ١٢ و١٨: ١١ و٢٠: ٣)، بل للدلالة أيضًا على إله وثني واحد (القضاة ١١: ٢٤ والملوك الثاني: ٢ ومابعدها) وعلى إلهة (الملوك الأول: ١١: ٥). ويستخدم في إشارة إلى إله بني إسرائيل بعدد كبير من المرّات ــــ أكثر من ٢٠٠٠ مرة..."[٤٣] وإذا ما تذكرنا أن "إلوهيم" هي اللفظة التي اشتقت منها بشكل رئيسي لفظة "ثيوس" (theos) الواردة في العهد الجديد فإننا نجد أن استخدام هذا اللفظ للدلالة على الله انبثق من شفاه الوثنيين وأقلامهم بالإضافة إلى اليهود والنصارى. فهل هذا يعني أن "إلوهيم" إله وثني أو أنه إله خاص باليهود والمسيحيين دون سواهم؟ من الواضح تمامًا أن استخدام مختلف الديانات – بما فيها الديانات الوثنية – لألفاظ

---

[٤٢] المرجع السابق.

[٤٣] *Encyclopedia Judaica*. Vol 7. P.679.

"God" و"إلوهيم" و"الله" لتحديد مفهومهم للكائن الأسمى ليعكس أكثر مايعكس تبنّيهم لاسم مشترك متعارف عليه للدلالة على الله.

ولسوف يقول بعضهم: "اسم متعارف عليه؟ — إنه أمر يبدو غريبًا بالنسبة لي". وقد يكون الحال كذلك بالنسبة إلى الأسماء شمعون Shim'own، وكيفا Kipha، ويهوشنان Yehowchanan، وياكوبوس Iakobis، وماثايوس Matthaios — ولكن مادرجة غرابة هذه الأسماء؟ ربما تكون غير معروفة لبعضهم فعلاً، ولكن هل هي غريبة حقًا؟ الجواب هو النفي طبعًا، لأن هذه الأسماء منقولة من اللغتين العبرية واليونانية اللتين ترجمت منهما إلى اللغة الإنجليزية الأسماء الإنجيلية سيمون Simon بيتر Peter وجون John وجيمس James وماثيو Mathew. وعليه فأي الحالات أشد غرابة: هل اختراع أسماء جديدة وتعميمها وتفضيلها على تلك التي وردت في الكتاب المقدس، أم التقيّد بما ورد فيما يُعتقد أنها نصوص مقدسة، أم إطلاق المسمى الذي خرج من رحم الإبداع البشري بعد أن احتضنته الثقافة الغربية وهو "God" على الخالق، أم التقيد بالاسم الذي دعا به سبحانه وتعالى ذاته الإلهية في كتبه السماوية؟

إن ما لايمكن نكرانه هو أن من يتحدث بـ "يهواشنان"، و"ياكوبوس"، و"الله" سوف يُقابل بنوع من التحفظ في الغرب، ولكن ما يهمّ المؤمن الحق ليس السعي لنيل الشعبية بل صدق الشهادة أمام الخالق، وهي أن اسم الخالق وفقًا للمصادر اليهودية والمسيحية والإسلامية هو "الله".

## ٢- لفظ الجلالة وجمع العظَمة



**أنت ترى أشياء وتقول "لماذا"؟ ولكني أحلم بأشياء لم توجد البتة وأقول ولم لا؟**

جورج برنارد شو *George Bernard Shaw*، **العودة إلى متوشالح**

لا يكتمل الحديث عن اسم الخالق من دون تفسير جمع العظَمة، وهذا مفهوم لغوي غريب عن معظم الأجانب الناطقين بالإنجليزية، ولكنه ليس بجديد على اللغة الإنجليزية ذاتها. فمنذ وقت ليس بالبعيد وهو القرن السابع عشر كانت كلمة "thou" تستخدم لمخاطبة العامة من الناس (أنت، أنتم...)، أما كلمة "you" فهي ضمير المخاطبة الجمع كتعبير عن الاحترام في الإنجليزية القديمة (أنتم، أنتن...) فكان استخدامها محصورًا بأفراد العائلة المالكة والنخبة الاجتماعية. ومن هنا جاء استخدام " Your Highness" (فخامتك، جلالتك...) و"Your Lordship" (ياصاحب النبالة...) بدلاً من تعبير "Thou Highness" أو"Thou Lordship".

ومن هنا كانت الملكة فكتوريا تقول: "*We* are not amused " (لسنا / نحن غير مستمتعين)، وكذلك في قول مارغرت ثاتشر Margaret Thatcher: "*We* are a grandmother " (أصبحنا جدّة / نحن [الآن] جدّة).

وفي النصوص المقدسة (بما في ذلك العهدان القديم والجديد وكذلك القرآن الكريم)، تتم أحيانًا الإشارة إلى الله باستخدام ضمائر الجمع مثل "نحن" و"نا" [الدالة على الفاعلين]، ومثال ذلك ما ورد في سفر التكوين (١: ٢٦ و١١: ٧) على لسان الله: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا... » و«هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ ...».

وفي كتاب المسلمين المقدس فإن لفظة الجلالة "الله" – بخلاف اللفظ العبري "إلوهيم" – هي في صيغة المفرد ولا تقبل الجمع.[٤٤] وبعض المفردات العربية (كالضمائر ولواحق الضمائر الفعلية) تشير إلى "الله" بصيغة الجمع لكن فيما يعرف بجمع العظَمة — وهو جمع لا يدل على العدد بل على التوقير، فهو أسلوب أدبي في اللغات الشرقية والسامية يفيد الجلالة. وفي كلٍّ من العهدين القديم والجديد نجد "إلوهيم" هي صيغة الجمع من لفظ "إلوَه" (وهو الاسم الأقرب للفظة "الله" العربية من حيث تشابه الحروف المتقابلة والمعنى).[٤٥] وبالطريقة ذاتها التي يشير فيها جمع الجلالة في القرآن إلى عظمة الله، فإن "إلوهيم" في العهدين القديم والجديد

٤٤ Douglas, J.D. p.27.

٤٥ *Encyclopaedia Britannica*. CD-ROM. (under "Elohim")

هي صيغة جمع تدل على التوقير.[٤٦]،[٤٧] ونجد في **المعجم اللاهوتي للعهد الجديد** *Theological Dictionary of The New Testament* التعليق التالي: "واضح أن 'إلوهيم' تستخدم في صيغة الجمع العددي في حالات جد معدودة (انظر سفر الخروج ١٥: ١١)، ويمكن لهذه اللفظة أن تشير كذلك إلى إله وثني واحد (مثال ذلك: الملوك الأول ١١: ٥). وخلاصة القول إذًا أن هناك جمع جلالة."[٤٨]

وقد يدلي الناس بآرائهم حول هذا الموضوع كلٌّ من منطلق عقيدته الخاصة به، إلا أنه من المهم لنا والحالة هذه أن نلحظ النتيجة التي توصل إليها على الأقل عالم واحد أمضى شطرًا من حياته على كلا جانبي السياج اللاهوتي. فقد عمل ديفيد بنجامين كلداني David Benjamin Keldani قسيسًا كاثوليكيًا لمدة تسعة عشر عامًا في الكنيسة الكلدانية في أبرشيةِ أورامية (فيما كان يعرف آنذاك ببلاد فارس) قبل أن يعتنق الإسلام في مطلع القرن العشرين. وقد تكنّى بـ عبد الأحد داؤود وألَّف واحدًا من أوائل المؤلفات العلمية باللغة الإنجليزية حول موضوع العلاقة المتبادلة بين الكتاب المقدس ونبي الإسلام محمد. ومما كتب في مؤلفه:

---

٤٦ Achtemeier, Paul J. p.686

٤٧ Meagher, Paul Kevin et al. Vol 2. p.1187

٤٨ Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich (editors). 1985. *Theological Dictionary of the New Testament.* Translated by Geoffrey W. Bromiley. William B. Eerdmans Publishing Co., Paternoster Press Ltd. P. 325.

إنه ليس سوى مجرد مضيعة للوقت في هذا المقام أن نفنّد افتراضات من يزعم — سواء أكان جاهلاً أم حاقدًا — أن الله في الإسلام ماهو إلا آلهة خيالية ابتكرتها بنات أفكار محمد، وهو مختلف تمامًا عن الإله الحق [الذي نؤمن به]. يقرأ المسلمون قرآنهم بالنص العربي [الذي أُنزل به]، ولو علم القساوسة وعلماء اللاهوت المسيحيون كتبهم المقدسة حق العلم بلغتها العبرية الأصلية بدلاً من دراسة ترجماتها، لوجدوا بكل وضوح أن الله هو الاسم السامي القديم نفسه للكائن الأسمى الذي أوحى وخاطب آدم والأنبياء جميعًا.(٤٩)

و بالطريقة ذاتها التي يعرف المسيحيون العرب لفظة "الله" بأنها الرب، وتمامًا كما يستخدم الكتاب المقدس جمع الجلالة في كلّ من الضمائر واسم العلم "إلوهيم"، فإنه بوسع مسيحيي الغرب تبني التقليد ذاته دون مجازفة بعقيدتهم. ولكن ليس ثمة حاجة للإيمان كي يعتمد على مثل هذه المسائل في الوقت الذي لا يزال هناك نقطة أخرى علينا أن نتأملها بصرف النظر عن اسمه سبحانه وهي: ما السبيل لفهم الله وفق مايأمر الله الإنسانية به؟

---

[٤٩] عبد الأحد داؤود Dawud, Abdul-Ahad - المعروف سابقًا بالقس ديفيد بنجامين كلداني Benjamine Keldani، أسقف أورومية. محمد في الكتاب المقدس *Muhammad in the Bible* (١٩٩٢). جدة: دار أبو القاسم للنشر. ص ١٤.

## ٣- فَهْمُنا لله



**أولئك الذين يوافقوننا الرأي قد لا يكونون على صواب، ولكننا معجبون بلباقتهم.**

- كَلِنُ هايُتَوَر *Cullen Hightower*

إن الفهم اليهودي للخالق هو فهم صلد نسبيًا على الرغم من البون الشاسع بين المذهب الأرثذوكسي والمذهب المحافظ والمذهب الصوفي ومذهب الإصلاح فيما يختص بمسائل أخرى. فوحدانية الله هي السمة الرئيسة للخالق في جميع مذاهب اليهودية تليها سمات أخرى عديدة بما فيها العدل والمحبة والرحمة والعلم المطلق والوجود الأزلي والسيادة والحقيقة والحكمة وذاتية الوجود والخير والقداسة والخلود وكذلك مفهوم اللانهاية الأكثر تعقيدًا. أضف إلى ذلك أن اليهود يعدّون أن الله لا يمكن إدراك كنهه لأن صفاته تفوق مقدرة خلقه على الاستيعاب.

وفي المسيحية أيضًا نجد أن تعريف الله قد جاء من صفاته التي وردت في الديانة اليهودية، على الرغم من أن وحدانيته قد أُسيْءَ لها في تحويلها

من التوحيد المتشدد الذي كان سائدًا في العهد الرسولي إلى صوفية التثليث. ثم انبثق من أحد أركان هذه الصوفية الفهم الثالوثي لثلاثة أقانيم متمثلة في كيان واحد، وهو مفهوم أنكرته التحديات التوحيدية التي تلت ذلك. إذ كيف يعقل وجود جوهرين بأقطاب متناقضة (كالفناء /الخلود، وماله بداية/ومالا بداية له، وما هو متحول/وماهو راسخ، إلخ) في وحدة متكاملة؟ ولماذا نسب عيسى المسيح معجزاته كافّة لله وحده لا إلى إلوهية ذاته إن كان هو حقًا شريكًا لله في الألوهية؟ ولماذا شهد عيسى بأنه تلقى عطاياه من الله إذا كان هو والخالق متساويين؟ (للاطلاع على آيات الكتاب المقدس ذات الصلة انظر: إنجيل يوحنا: ٣: ٣٥، و٥ : ١٩-٢٣، و٥: ٢٦-٢٧، و١٠: ٢٥، و١٣: ٣، و١٤: ١٠، و أعمال الرسل: ٢: ٣٣، ورسالة بطرس الثانية: ١: ١٧، ورؤيا يوحنا اللاهوتي: ٢: ٢٦-٢٧)

إن كون عقيدة الرب ثلاثة، بل واحدة، أي ثلاثة في واحد لعلى درجة من الغموض الديني بالقدر الذي يوحي بها الوصف. فمع أن العديد يؤمنون بتلك العقيدة إلا أن أحدًا منهم لا يستطيع شرحها بشكل يسهل على مشكك ذي تفكير سليم فهمها. فالاصطراع من أجل تفسير أن "المخلوق" يمكن أن يتساوى مع الخالق إنما يعود إلى عصور غابرة، وكذلك هو الحال بالنسبة إلى أسرار معتقد التثليث الأخرى. وفي غمار الخوض في هذه الموضوعات يمكن القول بأن أكثر صور الله شيوعًا في المسيحية هي أنه "الكبير في السماء"، وهي أقرب الصور إلى ماهو محفوظ في لوحة

مايكل آنجيلو Michelangelo الجصيّة التي رسمها على سقف كنيسة سْيستاين Sistine chapel حيث صوّر الرب بأنه شيخ ذو لحية بيضاء ورداء فضفاض. إن حقيقة كون هذه الصورة لاتختلف كثيرًا عن صورة الآلهة زيوس Zeus اليونانية القديمة لهو أمر لايمكن تجاهله، كما أن العديد يعترضون عليها، فضلاً عن كونها تتنافى والوصية الثانية The Second Commandment التي تنهى عن: «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ... » (سفر الخروج ٢٠: ٤-٥).

إن لم يكن هناك اعتراض على أساس الوصية الثانية فلماذا الاعتراض إذًا؟ ونسأل أيضًا، هل يعني النص الوارد في الكتاب المقدس القائل «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» أن الله خلق الإنسان كي يشبهه في الخلق حقًا، أم كي يُخضع هذا العالم لسلطانه بالطريقة التي أخضع الله الكون بأكمله – بما فيهم البشر – جميعًا لسلطانه؟ إن الشق الثاني من هذا السياق هو الذي نزلت فيه تلك الآية، وذلك لأن النص الكامل للآية هو: «وَقَالَ اللهُ: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ"» (سفر الخلق: ١: ٢٦). فنص هذه الآية بالطبع لا يعني مظهر البدن «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فتكون له عينان وأنف وفم وأذنان...» بل يعني السيادة. وليس مرة واحدة بل مرتين، ففي الآيات التالية يقول الله مخاطبًا الجنس البشري:

«أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلؤوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (سفر الخلق: ١: ٢٨).

إذًا كيف يتوجّب علينا أن نُصوّر الله؟ وفقًا للوصية الثانية وما ورد في الآيات أعلاه فإنه لا يجب علينا أن نفعل ذلك على الإطلاق. فالله لاينهانا عن ذلك وحسب بل إننا لا نملك فكرة عن هيئته أصلاً.

وعلى نحو مشابه كذلك فإن الزعم المسيحي – وهو أن إله العهد القديم قد تاب وتحول من إله شديد ساخط إلى ودود غفور في العهد الجديد – هو رأي لا يحظى بقبول عالمي. وفي الحقيقة فإن الكثيرين يرون فيه تعارضًا مع النص المقدس «لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟» - (سفر العدد: ٢٣: ١٩) كما أنه يتناقض والفطرة السليمة.

إن الفهم الإسلامي لله أبسط من هذا، وهو قريب من الفهم اليهودي في نواحٍ عدة. فالعناصر الحاسمة في العقيدة الإسلامية تقوم على كلمة "التوحيد" – التي تعرّف وحدانية الله وتؤكد أسماءه الحسنى وصفاته العليّة التي يتفرّد بها، وتوجّه أفعال المرء وأقواله لهدف كسب مرضاته.

فوفقًا للدين الإسلامي فإن الله واحد أحد، وهو سرمدي ومطلق الوجود، وهو حي قيوم وعليم وجبار، وهو الغني الذي لايحتاج لأحد بل الكل بحاجة إليه. والله لم يلد ولم يولد، وهو "الأول" وليس قبله شيء وهو

"الآخر" وليس بعده شيء لا شريك له في الألوهية.

والله هو "المسيطر المهيمن" الذي لا يعلوه أحد، وهو "المحيط بعلمه" لكل شيء، ويعلم الأمر كله صغيره وكبيره، وسره وجهره، وهو الحكيم العادل في حكمه. وهو "الرؤوف الرحيم" وسعت رحمته جميع خلقه. والله يحب الإيمان والتقوى ويجزي عليهما ويكره المعصية ويعاقب من يتعدى حدوده. وكون الله هو المهيمن فإن سلطته مطلقة ولا رادّ لقضائه.

ويورد القرآن الكريم العديد من الصفات المميزة الأخرى لله، مثل كونه رب العالمين: أي أن الإنسان إنما خلق بإرادة الله وأن محياه ومماته ومعاده له يوم القيامة لايتم إلا وفق مشيئته. كما يدرك المسلمون أن الله يفوق الفهم البشري التام إذ ليس كمثله شيء. ولعلنا نُوهب إدراكًا أعظم لخالقنا في الدار الآخرة، أما في هذه الحياة الدنيا فإن معرفتنا له محصورة في حدود الوحي المنزّل.

وعلى غرار اليهودية ولكن خلافًا للمسيحية، فليس لله في الإسلام أقانيم أو صور، وبالتالي فإن عقول المؤمنين ليست مشوّشة بالصورة المجسّمة التي تُشبِّه الله بـ "رجل كبير في السماء". وفضلاً عن ذلك فالإسلام لا يحدِّد جنسًا لله سبحانه، فهو منّزه عن مثل هذه الصفات. بل إن إضفاء الصفات الجنسية عليه لا تعدّ تطاولاً وحسب بل كفرًا. من هنا فإن الإشارة إلى الله بضمير المذكر في القرآن لا يعدو كونه ضرورة لغوية لعدم وجود ضمير للجنس المحايد في اللغة العربية. فالله يشار إليه بأنه ربّ،

وإله وخالق ومالك وليس في الإسلام موضع إشارة إلى الله بكلمة "أب Father".

إن المفهوم الإسلامي لله يُقابل بعدد من الاعتراضات في الغرب ذي الأغلبية المسيحية، أولها أن الإسلام يعترف بـ عيسى نبيًّا وليس "ابنًا لله"، وعلى الخصوص اعتقاد المسلمين أنه "مولود"، ولم يُجعل ابنًا لله. وثانيها أن الإسلام يدعو إلى وحدانية الله ويشجب مفهوم التثليث. وثالثها أن المسلمين لا يعتقدون بأن البشرية ورثت عبء الخطيئة الأصلية لأن هذا المفهوم لا يتماشى وعدل الله ورحمته. وآخرها أن المسلمين يعتقدون أن عيسى رُفع إلى السماء ونُجّي من الصلب مما ينفي عقيدتي الفداء والبعث.

إن هذه الخلافات العقدية من الأهمية بمكان بحيث تمثل خطوط التصدع بين الجُرُف القارّية التي تتصادم عندها المسيحية والإسلام.

# القسم الثالث : الخلافات المذهبية / العقدية



**إن المشكلة مع البشر ليست في أنهم لا يعرفون، بل إن كثيرًا مما يعرفونه ليس صحيحًا.**

جوش بِلِنغز *Josh Bilings*، **موسوعة جوش بِلِنغز للفطنة والحكمة**

يمكن تناول الاختلافات بين اليهودية والمسيحية والإسلام تبعًا لعدد من المستويات أهمها مستوى الفطرة السليمة. وهو النوع الواضح من الإحساس الذي يتمثل في الحوار المعقول والبسيط في رواية **أليس في بلاد العجائب** على النحو التالي:

أليس: "إن هذه ليست قاعدة نظامية، وأنتَ من ابتدعها الآن."

قال الملك: "بل هي أقدم القواعد مما جاء في الكتاب".

فأجابت أليس: "فلتكن أولى القواعد إذًا."[٥٠]

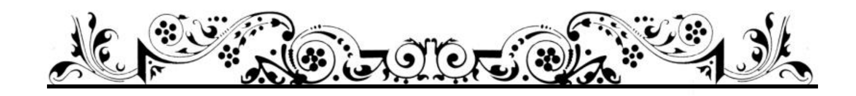
---

٥٠ *Alice's Adventures in Wonderland* . Carroll, Lewis.Chapter 12

إن هذا النوع من المنطق إذا ماطُبِّق على نحو صحيح فإنه لا يترك مجالاً للجدل. ولكن ثمة جانب استكمالي للتحليل يكمن في مقابلة تعاليم كلّ من اليهودية والمسيحية والإسلام بعضها مع بعض، ومن ثم ندع كلّ قارئ يقيم الحجة على معتقده الخاص به.

ولنبدأ بأخذ نظرة خاطفة على طريقة **أليس في بلاد العجائب** إلى تاريخ الجدال مابين [المذهبين] التوحيدي – والتثليثي Unitarian/ Trinitarian debate.

## ١- التوحيديون مقابل التثليثيين



**قرروا أنه ينبغي على كلّ كذّاب أن يُجلد،**

**فجاء رجل وأخبرهم بالحقيقة فشنقوه.**

تي. دبليو. إتش كروسلاند

*T. W.H. Crossland* : **قصص صغيرة**

إن العديد من مبادئ عقيدة التثليث تعد من "أقدم القواعد في الكتاب" ولكنها في واقع الأمر مستنبطة من مصادر غير إنجيلية. وبدلاً من أن تكون هي "القاعدة الأولى" — كما قد نتوقع من الناحية المنطقية نظرًا لأهميتها — فإن مبادئ العقيدة هذه لا وجود لها في الكتاب المقدس على الإطلاق.

و هنا لا بد لـ "أليس" أن تعترض.

وفي الحقيقة فإن العديد من عظماء المفكرين اعترضوا بالفعل [على عقيدة التثليث] - من أمثال الأسقف بوثينوس أسقف ليونز Bishop

Pothinus of Lyons (الذي قُتل في أواخر القرن الثاني الميلادي هو وجميع المنشقين المسيحيين الذين احتجوا لدى البابا إلوثرس Pope Elutherus مطالبين بإنهاء الاضطهاد)، وليونايدس Leonidas ( أحد أتباع المسيحية الرسولية ممن فنّد بدع بولس حيث قتل في العام ٢٠٨ ميلادية)، وأوريجن Origen (الذي توفي في السجن في العام ٢٥٤ ميلادية بعد طول عذاب لدعوته التوحيدية ورفضه للتثليث)، وديودورس Diodrus، وبامفلوس Pamphilus ( الذي عذِّب وقتل في العام ٣٠٩ للميلاد)، ولوشيان Lucian (الذي عُذب بسبب آرائه وقُتل في عام ٣١٢ للميلاد)، ودوناتوس Donatus ( الذي اختير أسقفا لقرطاجة في العام ٣١٣ للميلاد، ثم أصبح فيما بعد زعيمًا ومصدر إلهام لحركة توحيدية نمت لتصبح الطائفة المسيحية المسيطرة في شمال إفريقيا حتى زمن الإمبراطور قسطنطين Constantine الذي أمر بإبادة أتباعها. وقد أتلفت مؤلفاتهم إتلافا تامًا لدرجة أنه لم يبق إلا القليل من مؤلفاتهم المقدسة على الرغم من أن هذه الطائفة كانت في يوم من الأيام ضخمة العدد)، وآريوس Arius (قسيس الإسكندرية الذي كان شعاره "اتبعوا عيسى وفقا للتعاليم التي دعا لها" حيث قتل مسمومًا في العام ٣٣٦ من الميلاد)، ويوسيبيوس نيكوميديا Eusebius of Nicomedia ناهيك عن المليون ونيف من المسيحيين الذين قتلوا لرفضهم القبول بالمذهب الكاثوليكي الرسمي الذي صدر في أعقاب عقد مجمع نيقية Council of Nicaea.

وتتضمن الأمثلة الأخرى لويس هتزر Lewis Hetzer (الذي ضرب

عنقه في الرابع من فبراير/شباط في العام ١٥٢٩) ومايكل سيرفتوس Micael Servetus (الذي أُحرق مشدودًا إلى وتد في السابع والعشرين من أكتوبر/تشرين أول عام ١٥٥٣ وذلك باستخدام أغصان شجر خضراء مورقة لتأجيج نار بطيئة توقد لتوقع عذابًا بطيئًا وشديدًا بالضحية).[٥١] وفرانس ديفديس Francis Davidis (الذي توفي في السجن في العام ١٥٧٩)، وفوسُتس سوساينوس Faustus Socinus (الذي توفي في العام ١٦٠٤)، وجون بِدِل John Biddle (الذي عانى من الإبعاد إلى صقلية ثم سجن مرات عدة عجلت آخرها في وفاته). وبِدِل هذا كان قد رأى أن المصطلحات التي يستخدمها التثليثيون "تناسب المشعوذين أكثر من المسيحيين"[٥٢]، وقد أقام كمًا هائلاً من الحجج ضد اللاهوت التثليثي Trinitarian theology التي كانت مؤثرة لدرجة أن مناظريه رتّبوا لاعتقاله في أكثر من مناسبة تفاديًا لمواجهات معه في ندوات عامة.[٥٣] وقد ترك إرثًا من المفكرين الأحرار الذين أصرّوا على وحدانية الخالق ناهيك عن بعض مفكري عصره البارزين، ومن هؤلاء المفكرين

---

٥١ لعل أولئك الذين يربطون حرق المهرطقين بالذراع التأديبية لكنيسة الروم الكاثوليك يهمهم معرفة أن تلك الممارسة لم تكن غير معروفة لدى الكنيسة البروتستانتية أيضًا. فقد لقي مايكل سيرفيتوس Michael Cervetus مثلاً مصيره المروّع على يد جون كالفن John Calvin المعروف، وهو أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي. وبالرغم من أن سيرفيتوس الإسباني كان بحوزته رسالة حسن سلوك، فقد أعدم في جنيف للجرم المزعوم بأنه كان من القائلين بتجديد العماد و أنه كان توحيديًا.

٥٢ Wallace, Robert, F.G.S. 1850. *Antitrinitarian Biography.* Vol. 3. London: E.T.Whitefield. p.180.

٥٣ المرجع السابق، ص 190.

نذكر [العالم] السِّير إسحاق نيوتن Sir Isaac Newton و[الفيلسوف] جون لوك John Locke و[الشاعر] جون مِلْتون John Milton. كما تمخض عن أيام النفي التي عاشها بِدِل واحدة من أكثر التعليقات إثارة للعواطف حول الاضطهاد الديني سطّرها قلم مراسل متعاطف لمجلة "المدافع عن الإنجيل The Gospel Advocate":

التأم مجلس الكرادلة ونُصِّب القاضي،

واعتلى الإنسان عرش الإله

ليصدر الحكم في أمر

لا يملك البت فيه سوى الله

جعلوا من دين أخيهم جريمة

وبخسوا حقوق الفكر في القيمة.[٥٤]

وإبان حياة بدِل حاول البرلمان [البريطاني] قتل حركته – بالمعنى الحرفي – وذلك بسنّه عقوبة الإعدام لمن يُنكر عقيدة التثليث (وذلك بتاريخ الثاني من مايو/أيار ١٦٤٨). وفي العام الذي توفي فيه بدِل أجاز البرلمان قانون الاتساق الثاني Second Act of Uniformity [قانون المذهب الواحد] والذي قضى بالحظر على رجال الدين المنتمين لغير الكنيسة

٥٤ المرجع السابق، ص 191.

الأسقفية البروتستانتية وعلى عباداتهم.[٥٥] وبموجب هذا القانون فقد تم فصل ٢٢٥٧ كاهنًا من المؤسسة الدينية، كما توفي في السجن أكثر من ٨٠٠٠ شخص لرفضهم القبول بالثالوث.

وثمة حالة واحدة على الأقل أدين فيها — بموجب الحكمة الانتقائية للكنيسة — سكان بلد بأكمله:

في مطلع ذلك العام أُعلِن عن أقسى حكم بالإعدام لم يؤت بمثله منذ بدء الخليقة. فقد تمنى الطاغية الروماني أن لو كانت رؤوس أعدائه جميعها على عنق واحدة ليدقها بضربة واحدة، وقد ساعد ديوان التفتيش في عهد الملك فيليب Philip على وضع رؤوس رعاياه الهولنديين جميعًا على عنق واحدة بطريقة تتناسب وقصده الجائر، ففي السادس عشر من فبراير/شباط عام ١٥٦٨ أدان حكم صادر عن محكمة التفتيش The Holy Office جميع سكان هولندا بالإعدام بصفتهم مهرطقين heretics. ولم يُستثَن من هذا الحكم الشامل سوى عدد قليل من الأشخاص اختيرت أسماؤهم اختيارًا خاصًّا. وأكد بيان للملك صدر بعد ذلك بعشرة أيام الحكم الصادر عن محكمة التفتيش وأُمر بتنفيذه فورًا دون مراعاة للسن أو الجنس أو الظرف. ولعل هذا كان أشد عقوبة إعدام إحكامًا تمت صياغتها عبر التاريخ، فقد حكم على ثلاثة

٥٥ Parke, David B. pp. 31, 33

ملايين من الرجال والنساء والأطفال بالإعدام شنقا بعد رصّهم في ثلاثة أرتال. ولم تكن تلك مجرد تهديدات وتوعدات جوفاء، كحال بعض المراسيم البابوية، وإنما إجراءات جدية وعملية كان من المزمع تنفيذها — ولنا أن نتخيل الذعر الذي نجم عنها. ولم يكن هدف الحكومة التام الإكراه على التنفيذ الكامل للخطة برمتها؛ إلا أن للهولنديين الحق — في ظل الأوقات العصيبة التي مروا بها — في الاعتقاد بأنه كان من غير المستبعد اتخاذ إجراءات في غاية القسوة بحقهم دون أن تعد وحشية. وعلى كلّ فقد بات من المؤكد أنه طالما أن جميع السكان مدانون، فإنه يمكن اقتياد كلّ واحد منهم ودون سابق إنذار إلى المشنقة، وهو المنهج الذي اعتمدته السلطات تمامًا. وبموجب هذا المرسوم العالمي فإن صناعة المجلس الدموي ربما لم تعد ضرورية بعد هذا. فلماذا لا تعلق المحاكمات الصورية الزائفة طالما أن حكمًا عامًا صدر لابتلاع أهل بلد برمته في قبر جماعي شاسع؟ إلا أنه يمكن الافتراض بأن الممارسات التي بذلها المفوضون وأعضاء المجلس إن لم تخدم أغراضًا أخرى، فإنها على الأقل زوّدت الحكومة بدليل قيّم فيما يتعلق بالثروة النسبية والظروف الأخرى التي كانت تحيط بكل ضحية من هؤلاء. وكانت الفكرة الرائدة للحكومة أنه إذا ما تم تنفيذ الإعدام تنفيذًا قضائيًا فإنه لابد أن يثمر حصادًا ذهبيًا. وكانت الرغبة هي المثابرة في هذه القضية التي أحرز فيها تقدم دموي.

كان من المؤكد أن الإعدامات بموجب هذا المرسوم كانت تجري على قدم وساق. فقد كان الرجال من طبقات المجتمع المختلفة يُجَرُّون يوميًا وفي كلّ حين إلى ساحات الإعدام. وفي رسالة واحدة إلى الملك فيليب قدّر [الحاكم] آلفا Alva وببرودة أعصاب تامة عدد حالات الإعدام التي كانت سوف تنفّذ فور انتهاء الأسبوع المقدس بـ "ثمانمائة رأس". وكم من مواطن بريء أدين بحيازة مائة ألف فلورين Florin [عملة هولندية] وجد نفسه فجأة مربوطًا إلى ذيل حصان وقد قُيّدت يداه وراء ظهره مقتادًا إلى حبل المشنقة. وبالرغم من أن اقتناء الثروة كان يعد ذنبًا لا يغتفر فإن الفقر كذلك لم يكن منجاة لهؤلاء. فقد كان من الممكن دومًا إيجاد أسباب كافية للحكم على الشريف الموسر أو الضعيف المعوّز على حد سواء. ومن أجل تحاشي الاضطرابات التي كانت تحدثها الخطب الرنانة أو العظات التي يلقيها الضحايا وهم في طريقهم إلى المشنقة وسط المحتشدين على جانبي الطريق اخترعت شكيمة جديدة لهذا الغرض. فقد كان يُشد لسان السجناء إلى حلقة حديدية ثم يكوى بحديدة حارّة. وسرعان ماكان التورم والالتهاب الناجمين عن ذلك يحولان دون أن ينسل اللسان خارج الحلقة، وبطبيعة الحال إلى إعاقة كلّ إمكانية في التحدث.[٥٦]

---

[٥٦] Motely, John Lothrop, 1884. *The Rise of the Dutch Republic: A History*. Volume 2. London: Bickers &

وقبل هذا بعقد من الزمان فقط أوصى شارل الخامس Charles V الإمبراطور الروماني المقدس وملك أسبانيا بأن يتم "حرق جميع الهولنديين الذين أصرّوا على عنادهم أحياء ودق أعناق أولئك الذين تابوا."[٥٧] وهكذا حتى الذين تابوا لم يسلموا من العقاب.

وتبين القائمة أعلاه أشخاصًا كانت تعدهم الكنيسة الكاثوليكية في وقت من الأوقات أسوأ الهراطقة سمعة في حين كانوا في أعين المسيحيين التوحيديين أعظم الشهداء ممن أحيا تعاليم المسيح عيسى. وقد ارتبط بعض التوحيديين المذكورين أعلاه بحركات ذات أهمية بمكان بحيث إنها اجتاحت بلدانًا، إلا أنه وفي جميع الحالات سيطرت الكنيسة التثليثية في النهاية وذلك بجمعها بين قوة سيطرة أكبر وتسامح أقل واستعداد للتضحية بأبناء وبنات جنسهم في سبيل قضية التطهير الديني.

وعلى الرغم من أنّ كلتا العقيدتين المسيحيتين التوحيدية والتثليثية تستخدمان كتاب الهداية نفسه، إلا أنهما لن تختلفا أكثر من هذا من حيث المنهجية. فالمسيحية التثليثية تلعن كل ما يتعارض والعقيدة المشتقة، في حين تلعن المسيحية التوحيدية ما يتعارض والأدلة النصية في الكتاب المقدس. إن التعارض القائم ما بين هذين المعيارين يمثل صلب النقاش. فالكنيسة الكاثوليكية نجحت في قتل أفراد من المعارضين لها إلا أنها

---

Sons.pp.155-156.

٥٧ Wells, H. G. 1921. *The Outline of History* Vol. 2. The Macmillan Company. P.209.

أخفقت في قمع أفكار هؤلاء ومشاعرهم الجياشة التي عبروا عنها. كان يمكن إحراز قدر أكبر من النجاح لو أن الكنيسة قدمت دفاعًا عقليًا باتًا في وجه هذه التحديات وأرست دعائم سلطتها من خلال التفوق الفكري عوضًا عن الاستبداد. لكن تاريخ الكنيسة يسجل ألفي عام تقريبًا من الإخفاق في تفنيد حجج الموحدين مما انعكس سلبًا بقدر كبير على التثليثيين.

ويمكن ضرب أمثلة على ذلك من حياة آريوس، لكن مع التنبيه إلى أنه لم يبق إلا القليل من الكتب حوله باستثناء تلك التي كتبها أعداؤه ومارحم ربي. وعليه فإن آراء معظم من ألّف حوله تكشف عن تحيز مجانف للإنسانية ضده، وأن السبيل الموضوعي الوحيد لإنصافه هو فحص تعاليمه الطاهرة.

ولعل واحدة من أقدم حجج آريوس هي تلك التي قال فيها إنه لو كان عيسى "ابن الله" حقًا لكان لابد من وجود زمان لم يكن هذا الابن موجودًا فيه، وأنه لو كان عيسى خلق من [الله] الأب the Father فلا بد أنه كان هناك زمان سبق فيه وجود [الله] الأب الأزلي وجود عيسى المخلوق لاحقًا. ومن هنا، فإنه لا يمكن المساواة بين الخالق وخَلْقه ولا يمكن اعتبار عيسى شريكًا في الألوهية [مع الله].

وذهب آريوس للقول بأنه إن كان عيسى حقًا قال: «... لأن أبي أعظم مني» ( يوحنا: ١٤: ٢٨) فإن مساواة عيسى بالله إنكار للكتاب

المقدس. وكان آريوس يرى أنه إذا كان هناك ماهو واضح في تعاليم عيسى فهو مايؤكد على إنسانيته هو وعلى حصانة الوحدانية الإلهية.

وعندما زعم رجال الدين التثليثيون بأن عيسى هو "من جوهر الله" اعترض آريوس والمسيحيون التثليثيون على حد سواء على هذا انطلاقًا من أن "من الجوهر" و"من جوهر واحد" هي تعبيرات مادية سبيلينية Sabellia المنشأ[٥٨]* ولم ترد في النصوص المقدسة ومخالفة لسلطة الكنيسة (طالما أن التعبير انبثق من أحد المجالس التي عقدت في أنطاكية من العام ٢٦٩ ميلادية).[٥٩] وعندما أكدّت الكنيسة الكاثوليكية لاحقًا أن عيسى "من الله" أجاب الآريسيون Arians بأن الكتاب المقدس يصف الناس جميعا بأنهم "من الله" ووفقًا لما جاء في الآية: «ولكن الكل من الله...» (كورنثوس الثاني: ٥: ١٨- وانظر كذلك: كورنثوس الأول: ٨: ٦).[٦٠] وعندما اضطرت الكنيسة لتصحيح نفسها أكدت بعد ذلك أن المسيح عيسى "... ليس مخلوقًا بل هو قوة الله الأب والإله الحق وصورته الأزلية."[٦١] ويجيب الآريسيون على هذا بالقول بأن الكتاب المقدس يصف الناس جميعًا بأنهم: «صورة الله ومجده» ( كورنثوس الأولى: ١١:

---

٥٨ السَّبيلينية Sabellianism هي هرطقة مسيحية مبكرة كانت تؤمن بوحدانية الله لكنها ذهبت إلى أن لله أقانيم ثلاثة: الخالق وهو الله الأب والفادي وهو الله الابن والمطهر من الخطيئة وهو الروح القدس. وقد أدان آريوس السَّبيلينية كما أدانتها الكنيسة التثليثية.

٥٩ Gwatkin, H.M. 1898. *The Arian Controversy*. London: Longmans, Green, and Co. pp. 32-33

٦٠ المرجع السابق، ص 34.

٦١ المرجع السابق، ص 35.

٧) الأمر الذي ترك الكنيسة في حيرة من أمرها.[٦٢] وبعبارة عالم اللاهوت البريطاني هنري ميلفِل جواتكن Henry Melvill Gwatkin، "كان كلما طال النقاش، اتضح أنه لا يمكن تحديد معنى الكتاب المقدس دون الخروج عن إطاره بحثًا عن كلمات تحدده."[٦٣] إن اعتماد مثل هذه المنهجية يعني اقتراح أن البشر يستطيعون تفسير الوحي على نحو أفضل من الذي أنزل ذلك الوحي.

وهكذا بدأت المجادلات وهي مستمرة إلى يومنا هذا. وبعد إخفاق الكنيسة التثليثية في تحقيق النصر عبر المجادلة العقلية فقد قامت بقمع الانشقاق عنها قمعًا بلغ حد ترويع أهل بلدان بأكملها من أجل الامتثال لأوامرهم. وفي أثناء هذه العملية أخفقت الكنيسة في معالجة الموضوعات المتصلة بالأمر. وكما قال كاستِلّو Castillo – الذي كان أحد أتباع سيرفيتوس Servetus عالم اللاهوت في القرن السادس عشر – "أن تحرق إنسانًا لا يعني أن تبرهن صحة عقيدة". أي إنه يمكن للكنيسة أن تحيل هذا الإنسان إلى رماد لكنها لا تستطيع القضاء على حجته إلا بالمقارعة الفكرية البيِّنة. وهذا تمامًا هو حال الذين يفتقرون إلى المقدرة على إثبات معتقداتهم لكنهم يملكون قوة الاضطهاد، فقد لجأ هؤلاء وعلى مدى التاريخ إلى الرد العنيف على من تحدى عقيدة التثليث. إن وجود مثل هذا العنف مع غياب التبرير المعقول من شأنه أن يضعف المؤسسة بدلاً من

[٦٢] المرجع السابق، ص 35.

[٦٣] المرجع السابق، ص 35.

تعزيز موقفها. وكما علق جون تولاند John Toland بالقول: "على النقيض فإن هذا السلوك سوف يجعلهم يشكّون في أن كلّ شيء إنما كان خداعًا وزيفًا لأن البشر بطبيعة الحال يصرخون عندما يصابون في مقتل ... وليس من شأن أحد أن يغضب من سؤال يقدر على الإجابة عنه..."[٦٤] وعلى حد تعبير هـ. ج. وِلْز H.G.Wells: "كانوا لا يتسامحون مع أمرين الأسئلة والعصيان، لا لأنهم كانوا واثقين من عقيدتهم، بل لأنهم لم يكونوا كذلك، فقد أرادوا التوافق لأسباب تتعلق بالسياسة. وبحلول القرن الثالث عشر كان من الواضح أن الكنيسة قلقة لدرجة المرض بشأن الشكوك المبرحة التي كان من شأنها أن تحيل قوام ادعاءاتها بأكمله إلى أنقاض."[٦٥]

وقد لخص فيثاغوروث Pythagoras مخاطر إبداء المرء لرأيه في مثل هذه الظروف بالقول: "ليس آمنًا التحدث عن الله في حضرة رجال ذوي رأي متعصب". وقد أشار التوحيديون على مر التاريخ إلى أن عيسى نفسه قد تنبأ قائلاً «سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كلّ من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني» (يوحنا: ١٦: ٢-٣).

---

٦٤ Toland, John. 1718. *Tetradymus; bound with, Nazarenus: or, Jewish, Gentile and Mahometan Christianity.* London .pp. 75-76.

٦٥ Wells, G.H. 1921. *The Outline of History.* Vol. 2.I Macmillan Company.p.91.

إن ترسيخ العقيدة التثليثية على يد قاضي محكمة التفتيش أو بالنار أو السيف أو فأس الجلاد لم يعد يرهبنا اليوم. فبدلاً من أهوال الماضي فإننا نواجه اليوم مجموعة متنوعة من المبررات المستفِزّة عاطفيًا والتي اقترنت بالتجنب المنتظم للمسائل المتعلقة بها. وبالرغم من أن العالم المسيحي المعاصر أضحى منزوع السلاح الآن إلا أن غالبية هذا العالم يحذو حذو ميزر نيكولا Myser of Nicholas وهو أحد مطارنة مجلس نيقية ممن كان يصمّ أذنيه كلما تحدث آريوس. وقد يقول بعضهم إن رد التثليثيين على تحديات التوحيديين لا يختلف كثيرًا اليوم. فرجال الدين يميلون إلى تجنب النقاش ويلبسون معتقداتهم اللاهوتية بعباءة من المناورات الخطابية المشحونة عاطفيًا والمزركشة ببهارج الاستقامة البرّاقة.

هناك مَنْ تستميلهم الخطب المبطنة بالتقوى والأفكار الطائفية التي يرددها رجال الدين كالببغاوات، إلا أن هناك آخرين ممن لا يقع فريسة لها. فقد سئم عدد لا يستهان به ممن يخافون الله من مثل هذه الألاعيب النفسية وهم يسعون إلى إعادة النظر في عقائد الماضي التي لا أساس لها في ضوء المعرفة المعاصرة والتحليل المبني على الفكر الانفتاحي.

وتحقيقا لهذه الغاية، علينا الآن النظر في المسائل ذات الصلة الواحدة تلو الأخرى.

# ٢- يسوع المسيح



«وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ، وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟ كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلاَمِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبِهُ. يُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتًا، وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ، فَيُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دُونِ أَسَاسٍ، فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالاً، كَانَ خَرَابُ ذلِكَ الْبَيْتِ عَظِيمًا!».

عيسى المسيح (إنجيل لوقا: ٦: ٤٦-٤٩)

والسؤال هو: من عيسى الشخصية التاريخية؟ لقد استحوذ هذا السؤال عبر العصور على تفكير جميع الذين رغبوا في معرفة المسيح حق المعرفة. فلليهود تصورهم، ولكل من المسيحيين التوحيديين والمسيحيين التثليثيين تصوّره الخاص به، وهذه التصورات معروفة للجميع. أما التصور الذي لم يتم استيعابه على نطاق واسع فهو التصور الإسلامي له.

ويندهش معظم المسيحيين بغبطة عندما يعلم أحدهم أن المسلمين

يعتقدون أن عيسى هو المسيح Messiah وكلمة من الله. إلا أن معظم اليهود ... لا يروق لهم ذلك كثيرًا.

ففي سورة آل عمران، الآيات (٤٥-٤٧)، نقرأ:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

وباختصار لاهوتي شديد نقول إن المسلمين يؤمنون بأن عيسى هو **كلمة** من الله (بخلاف المسيحيين الذين يعتقدون أنه هو **الكلمة**)، وأنه المسيح الذي ولد ولادة طبيعية لـ مريم العذراء مؤيَّدًا بروح القدس. ويؤمن المسلمون بأنه جاء بمعجزات منذ أن كان في المهد وحمل الوحي الإلهي إلى الناس مصدقًا لما جاء في الكتب السماوية السابقة، وأنه كان يُبْرئ الأبرص والأكمه ويحيي الموتى بإذن الله. ويؤمن المسلمون كذلك بأن الله رفعه إلى السماء في نهاية بعثته إنقاذًا له من اضطهاد الناس وأحل مكانه شخصًا آخر ليُصلب بدلاً منه. كما يؤمن المسلمون أنه سوف يأتي الوقت الذي

ينزل فيه عيسى من جديد للقضاء على المسيح الدجال. وبعد ذلك سوف يجتث عيسى المعتقدات والممارسات المنحرفة في الديانات كافّة ، ويصحح مسار أولئك الذين يظنون أنهم يتبعون تعاليمه بوصفهم مسيحيين، ولكنهم في الواقع ليسوا سوى ضُلاّل. ثم إن المسيح بعد ذلك سوف يطّبق عقيدة الاستسلام لله (وهو تعريف الإسلام) في جميع أرجاء العالم، ويعيش حياة تكون قدوة للناس، ثم يتوفى، ثم بعد ذلك بفترة وجيزة تقوم الساعة.

ونظرًا للتعقيد الذي يكتنف هذه المسائل فإن كلّ نقطة منها تستدعي نقاشًا منفصلاً. ولا شك أن القارئ يأمل أنه ما إن تُفرد صورة عيسى الإنجيلية للفحص عن كثب، فإن التحليل الدقيق سوف يكشف النقاب عن جانب صورة متّسقة مع توقعات المرء. إلا أنه وفي سعينا وراء الحقيقة لا بد أن نهيئ أنفسنا لمواجهة شخصية لعيسى تتناقض ونتاج ألفي سنة من التصورات المسبقة الزائفة ومن الفساد الكنسي — أن نواجه شخصية عيسى الحقيقية التي تتعارض والتصورات الشائعة وكذلك الصور التي ترسمها أجهزة الإعلام وماترسمه التعاليم المعاصرة للمسيحية. فهل من الممكن أن يكون عيسى بعيدًا جدًا عن تصوراتنا الشخصية والمجتمعية لدرجة أنه سوف يعارض جهارًا الكنائس التي أقيمت من أجله؟ وإذا صح ذلك فقد يجد البابوات والكهنة، ورعاة الكنيسة والخوارنة، والمطارنة والكرادلة، والمبشرون والرهبان، والقساوسة والمدعون بأنهم المسيح، أقول قد يجدون أنفسهم جميعًا ملعونين، حيث سيلعنهم المسيح كما لعن الفريسيين في موطنه من قبل. وبعبارة أخرى فقد يظهر لنا عيسى وهو يتنصل من أولئك

الذين يزعمون أنهم يتبعونه، تمامًا كما أشار إلى ذلك من قبل، وذلك وفقًا لما ورد في إنجيل متى (٧: ٢١-٢٣):

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!».

إن هذا النص ينبئنا وعلى نحو جلي بمجيء وقت يتنصل فيه عيسى من أولئك "الأتباع" المتظاهرين بالتقوى على الرغم مما جاؤوا به من تنبؤات وعجائب وشعوزات. ولكن لماذا؟ لأنهم كما قال عيسى مارسوا فعل "الإثم". فهؤلاء هم الأتباع الذين نقضوا "الناموس" بالرغم من المعجزات الكهنوتية التي جاؤوا بها. وأي ناموس؟ ناموس الله بالطبع — العهد القديم الذي أقامه عيسى، العهد القديم نفسه الذي نقضه بولس. بولس نفسه الذي تجذّرت منه العقيدة التثليثية. العقيدة التثليثية نفسها التي بنيت في غالبها على مصادر غير إنجيلية.

ولكن قد يقول أحدهم: هيه! مهلاً، انتظر لحظة! "من الذين قال عيسى إنه سيتنصل منهم، ولماذا؟"

[وأقول] فلنلقِ نظرة أكثر قربًا إذًا.

# ٣ – كلمة الله



"... عند ذلك بدأت أتفحص دُرز [نسيج] معتقدك. أردت فقط أن أفك عقدة واحدة، ولكن عندما حللت تلك العقدة انحلّ النسيج بأكمله. عندها أدركت أنه دُرِز جميعًا بفعل الآلة."

هنريك إبْسن *Henrick Ibsen*،

**الأشباح**، الفصل الثاني

يشير القرآن الكريم إلى عيسى بأنه "كلمة" من الله. ففي سورة آل عمران، الآية ٤٥ نقرأ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (القرآن الكريم ٣: ٤٥).

وفي مقابل ذلك نقرأ في إنجيل يوحنا (١:١): «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ». إن التفسير المسيحي لهذه النقطة يقضي بأن عيسى هو "كلمة الله" المترجمة عن "logos" اليونانية

التي تعني "الكلمة" أو "القول". إن هذا التعليل الفضفاض يرضي بعضهم، ولكن ليس أولئك الذين يدركون أن تفسير هذه الآية ما هو إلا تكرار للتأكيد، لكن يبقى السؤال "ماذا يعني ذلك؟" دون إجابة.

المهم هو أن كلّ عبارة لا بد أن تستند إلى أساس من البدهيات أو الحقائق الغنية عن البيان إذا ما كان علينا أن نعدها صحيحة. فالبدهيات تؤسس قاعدة معرفية واضحة يمكن أن نستمد من خلالها نتائج راسخة. وإذا ما ناقضت هذه النتائج البدهيات الأساسية فعندها يمكن القول إن هذه النتائج نفسها تقع خارج نطاق العقل. ففي مجال الرياضيات ثمة بدهية بسيطة ألا وهي أن واحدًا زائد واحد يساوي اثنين. وبوسع أي شخص في العالم أن يضع تفاحة بجانب تفاحة أخرى ليرى أن الجمع يصبح تفاحتين. أضف تفاحة أخرى فيصبح لديك ثلاث تفاحات. فإذا ما أراد عالم ما أن يشتق فيما بعد تصورًا جديدًا وثوريًا من شأنه أن ينقض بدهية "واحد زائد واحد يساوي اثنين" فإن النظرية بكاملها تصبح باطلة. وفي حال التصور المسيحي لعيسى [في هذه الآية] أنه "الكلمة" فإن هذا من شأنه أن يذهب بالمعتقد أدراج الرياح وذلك لسبب بسيط وهو أنه **لا** توجد بدهيات، أي لا توجد حقائق جليّة، بل كلّ ماهناك هو إعادة ترتيبٍ للكلمات.

من جهة أخرى فإن المعتقد الإسلامي هو أن "كلمة الله" التي بوساطتها يخلق الأشياء هي "كُنْ". والبدهية الأساسية في هذا الصدد هي أن الله يخلق الأشياء بمشيئته. وبالطريقة ذاتها التي خلق فيها ما عَظُم في

هذا الكون وما دقَّ وخلق كلّ شيء فقد شاء الله أن يخلق عيسى بأمره بقوله سبحانه "كن". فقد جاء في سورة آل عمران الآية ٤٧: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

وليس على المرء أن يذهب بعيدًا، من وجهة النظر الإسلامية، كي يصادف أول مثال لـ "كلمة الله"، فقد ورد في سفر التكوين (١: ٣) «وَقَالَ اللهُ: "لِيَكُنْ نُورٌ"، فَكَانَ نُورٌ». وبعودة إلى القرآن الكريم نجد في سورة آل عمران الآية ٥٩، ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

أما بالنسبة إلى أولئك الذين يدّعون أن "الكلمة" في إنجيل يوحنا (١:١) «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» تشير إلى المساواة بين عيسى والله فإن الآية الواردة في كورنثوس الأول (٣: ٢٣) تعكر صفو مياه العقيدة: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ للهِ»، إذ بأي مفهوم نستطيع القول «أَنْتُمْ .. لِلْمَسِيحِ»؟ هل هذا يعني في اتباع تعاليمه؟ ومن ثمّ كيف يكون «اَلْمَسِيحُ للهِ»؟ وإذا ما كان عيسى هو الله فلماذا لا تنص الآية "المسيح هو الله" بدلاً من «اَلْمَسِيحُ للهِ»؟

إن هذه الآية تؤكد حقيقة مفادها أنه كما كان الحواريون تابعين للنبي عيسى فإن عيسى بدوره كان تابعًا لله. وبالتأكيد إن هذا التمييز لا يمثل

مفاجأة للذين يحترمون مكانة نصوص: إشعياء (٤٥: ٢٢) «لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ»، وإشعياء (٤٤: ٦) «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ... "أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي"»، وسفر التثنية (٤: ٣٩) «...أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ»، وسفر التثنية (٦: ٤) «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ». وإذا ماسلّمنا بهذه الآيات فإن الزعم بأن النص في إنجيل يوحنا (١:١) بأن عيسى يتساوى مع الله هو بالتأكيد تعليل انتقائي في أحسن حالاته. وهذا كله يترك المرء المنطقي يتساءل: هل كان هناك سبب يدعو لعدم التصديق بوجهة النظر الإسلامية في هذا الشأن سواء تم فهمها في إطار المسيحية التوحيدية أم في إطار الإسلام؟

# ٤ – المسيح (عيسى)



**"يعجّ العهد القديم بنبوءات عن المسيح ولكن ليس من موضع هناك يشير إلى وجوب اتخاذ المسيح إلهًا يُعبد. ولسوف يجلب المسيح السلام إلى الأرض، ولسوف يعمر الأماكن الخربة ويواسي المفجوعين، ولكن ليس ثمة موضع يشار فيه إليه بأنه إله."**

ألمبيا براون *Olympia Brown*، أول امرأة قسّيسة تعين في الولايات المتحدة،

من موعظتها بتاريخ ١٣ يناير/كانون الثاني، ١٨٩٥

إن مفهوم عيسى أنه المسيح صاحب النبوءة أمر معروف في عالم المسيحية لدرجة لا تستدعي الحاجة لمناقشته. ولكن هل عيسى هو المسيح في الإسلام؟ إن حقيقة اعتراف المسلمين بعيسى بأنه المسيح دفع بالمبشرين المسيحيين لمحاولة استمالة قلوب المسلمين إلى اعتناق عقائد التثليث.

فالمبشّر يسأل: "هل كان عيسى هو المسيح؟" فيجيب المسلم بـ

"نعم". ثم يسأل المبشر، "هل كان محمد هو المسيح [المنتظر]؟" فيجيب المسلم بـ "كلا".

وعندها يسعى المبشر للدفع بالمسلم إلى استنتاج مفاده أن محمدًا لم يكن المسيح وعليه فإنه ليس بنبي، وأن عيسى هو المسيح المبَشَّر به وبالتالي فهو شريك في الألوهية.

إنها حجة مضنية يردُّ المسلم عليها بأسئلته الخاصة:

١. وهل هناك مسيح آخر ورد ذكره في الكتاب المقدس سوى عيسى؟ الإجابة: نعم، كثيرون ـــــ ما لا يقل عن ٣٨ مسيحًا.(٦٦) (للاطلاع على التفاصيل ، انظر أدناه).

٢. هل كان جميع المسيحيْن الإنجيلون مثل الملوك الداؤديين والكهنة الكبار في فلسطين القديمة (المسماة الآن بإسرائيل) أنبياء؟ الإجابة: لا.

٣. وفي المقابل، هل جميع الأنبياء الواردة أسماؤهم في الكتاب المقدس مثل إبراهيم ونوح وموسى وغيرهم مسيحوْن؟ الإجابة: لا.

٤. وعلى هذا، إن لم يكن جميع الأنبياء الواردة أسماؤهم في الكتاب المقدس مسيحيْن فكيف يمكننا إنكار نبوة شخص على أساس أنه ليس بـ المسيح؟ لأنه في تلك الحالة لا بد من إنكار نبوة إبراهيم

---

٦٦ Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p.1323.

ونوح وموسى وغيرهم من الأنبياء الواردة أسماؤهم في الكتاب المقدس وفقًا للمعيار نفسه.

٥. وأخيرًا إذا كان هناك مسيحوْن في الكتاب المقدس ممن لم يكونوا أنبياء فكيف يمكن المساواة بين كون الشخص مسيحًا والألوهية في الوقت الذي لا يمكن أن ينطبق عليه حتى لقب التقوى؟

وفي الحقيقة فإن كلمة "مسيح" تعني ببساطة "الممسوح بالزيت anointed" ولا تحمل مضامين عن الألوهية. ومن هنا فالمسلم لايجد صعوبة في الاعتراف بعيسى بأنه مسيح أو في لغة الترجمات الإنجليزية عيسى بوصفه المسيح (Jesus as Christ)، ولكن دون الوقوع في شرك التأليه apotheosis (مساواته في الألوهية، أي التأليه deification). من أين إذًا جاءت لفظة "المسيح" messiah والاسم "Christ المسيح" في المقام الأول؟

إن الاسم "Christ" مشتق من الكلمة اليونانية "Christos" والتي تحولت فيما بعد إلى "Christ" عندما تم نقلها إلى اللاتينية. يعرف **المعجم اللاهوتي للعهد الجديد** كلمة "christos" بأنها "المسيح، الممسوح بالزيت"[٦٧] وهناك رأي آخر يقول: "تمثل كلمة "Messiah" (تُقرأ مِسايَه) (وأحيانا Messias بموجب التمثيل الصوتي الهيلينستي) الكلمة العبرية "مَشِيحَه" أو" مشوحه" "الممسوح بالزيت" والمشتقة من

---

[٦٧] المرجع السابق، ص 1322.

الفعل "مشح" أي مَشَح. وهي منقولة عن اليونانية "christos" أي " الممسوح بالزيت".[٦٨] وبعبارة أوضح فإذا ما قرأ القوم العهد القديم بالعبرية القديمة فسوف يجدون "مشيحه" و"مشوحه" و"مشح"، أو إذا ما قرأنا هذا باليونانية القديمة فسوف نجد التعبيرات الثلاثة السابقة وقد نقلت تمامًا عن "christos".

وهنا يصبح الأمر ممتعًا، حيث إنه لا توجد في الآرامية والعبرية واليونانية القديمة حروف كبيرة، وعليه فكيف كتب مترجمو الإنجيل "Christ" بحرف C كبيرًا بدلاً من "christos" المبتدئة بحرف صغير؟ إن هذا لغز لا يفهمه أحد سواهم. إن الادعاءات القائلة بأن السياق يستدعي استخدام الحروف الكبيرة للإشارة إلى المسيح عيسى لاتجدي نفعًا، لأن كلمة "christos" تنطبق على عدد واسع من الأشخاص في ثنايا الكتاب المقدس. فالفعل "chrio" والذي يعني "يمسح" يرد ٦٩ مرة في العهد القديم في إشارة إلى شاؤل Saul وداؤود David وسليمان Solomon ويُوآشَ Joash ويَهُوأَحَازُ Jehoahaz من بين آخرين. ويرد الاسم "christos" (وهو نفسه "christos" المترجم بـ "المسيح" للإشارة إلى عيسى) ٣٨ مرة – ثلاثون منها في إشارة إلى ملوك،[٦٩] و٦ مرات

٦٨ Hastings, James (editor); revised edition by Frederick C. Grant and H. H. Rowley. 1963. *Dictionary of the Bible*. 2nd edition. Charles Scriner's Sons. P.646.

٦٩ فعلى سبيل المثال وردت الإشارة إلى الملوك بشكل مباشر أو غير مباشر على أنهم "مسيحي الله" في صموئيل الأول (٢: ١٠، ١٢: ٣، ١٢: ٥، ١٦: ٦، ٢٣: ٥، ٢٤: ٧، ٢٤: ١١، ٢٦: ٩، ٢٦: ١١،

للإشارة إلى الكاهن الأكبر ومرتان للإشارة إلى آباء Patriarchs من العهد القديم.(٧٠)

ويمكننا أن نجادل بالقول إنَّ المسيح "Christ" المبتدئة بحرف C كبيرًا كان بمدلول ما "مسيح الله" وهو مختلف عن جميع "المسيحيْن" الآخرين المبتدئين بحروف c صغيرة، وعندها يتوجب إما تحديد الفرق بين التسميتين وإما التخلي عن المجادلة. فوفقًا لـ **المعجم اللاهوتي للعهد الجديد**: فإنه "غالبًا مايشار إلى شاؤل بـ'مسيح الرب'." وباستثناء شاؤل فإن من يحملون هذا اللقب هم الملوك الداؤوديون (ما عدا في إشعياء: ٤٥: ١).(٧١) وبقراءة هذا الاقتباس فإن عددًا قليلاً من الأشخاص فقط هم من قد يعير انتباهًا إلى هذا الاستثناء الذي تم تمييزه بوضعه بين قوسين ــــ واللذان هما أداة إخفاء أدبية. والقراء القلة الذين يقفون ويتأملون في ذلك الاستثناء الضئيل سيجدون أن ما يبرز من إشعياء: ٤٥: ١ هو سايرس الفارسي Cyrus the Persian ــــ وسايرس هذا هو ملك الزرادشتيين Zoroastrians عبدة النار.

ويلخص غراهام ستانتون Graham Stanton، أستاذ اللاهوت في جامعة كمبريدج، المعلومات الواردة أعلاه على النحو التالي:

---

٢٦: ١٦، ٢٦: ٢٣) وفي صموئيل الثاني (١: ١٤، ١: ١٦، ١٩: ٢٢، ٢٢: ٥١، ٢٣: ١) وفي مراثي أرمياء (٤: ٢٠) وفي المزامير (٢: ٢، ٢٨: ٨، ٨٤: ٩، ١٣٢: ١٧).

٧٠ Kittle, Gerhard and Gerhard Friedrich. p.1323.

٧١ المرجع السابق، ص 1323.

إن الكلمة العبرية "مسيح" تعني الشخص أو الشيء الممسوح بالزيت. وقد تُرجمت بموجب اللفظة "christos" (التي اشتق منها كلمة Christ) الواردة في الترجمة اليونانية للعهد القديم (الترجمة السبعونية). وينطبق لقب "الممسوح بالزيت" في العديد من فقرات العهد القديم على الملوك الذين تم تعيينهم بمشيئة ربانية (انظر على سبيل المثال [الملك] شاؤل في صموئيل الأول: ١٢: ٣ و[الملك] داؤود في صموئيل الثاني: ١٩: ٢٢) وفي بضع فقرات أطلق لقب "الممسوح بالزيت" على الأنبياء (على الأخص في إشعياء: ٦١: ١) وعلى الكهنة (اللاويين: ٤: ٣، ٥، ١٦). ويبقى القول إنه ما لم يقترن اللقب بالمزيد من التحديد فإنه في العادة يشير إلى ملك إسرائيل.[٧٢]

ومن هنا فإن قائمة "مسيح الرب" Lord's Christ (سواء أكانت بصيغتها الأصلية باليونانية Lord's *Christos*، أم بشروحاتها أي "الممسوح بالزيت" Lord's anointed، أم بترجمتها أي مسيح الرب Lord's messiah) تتضمن الأسماء: شاؤل المسيح وسايرس المسيح إلى جانب العديد من الملوك الداؤوديين — فهم جميعًا "مسيحيْن". أو على الأقل هذا ما سوف تكون القراءة بموجبه في الكتاب المقدس فيما لو تمت ترجمة ألقابهم جميعًا بالطريقة ذاتها.

---

٧٢ Stanton, Graham N. 1989. *The Gospels and Jesus*. OUP. p.221.

ولكن ذلك لم يحصل.

فبموجب الحكمة الانتقائية لمترجمي الكتاب المقدس تمت ترجمة "christos" إلى "anointed" (أي الممسوح بالزيت) في المواضع كافّة باستثناء تلك المتعلقة بـ المسيح عيسى. وعندما ترد كلمة "anointed" "الممسوح بالزيت" في كلّ ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس فللمرء أن يفترض دون أدنى ريبة بأن الكلمة اليونانية الأصل هي "christos" التي هي الكلمة ذاتها التي أُطلق منها اللقب المتميز "المسيح" على عيسى. وهذا اللقب أي "المسيح" "Christ" (الذي يبدأ بحرف استهلالي C كبيرًا) و"المسيح" "Messiah" (الذي يبدأ بحرف استهلالي M كبيرًا)، والذي يختص بـ عيسى المسيح دون سواه، لقب مؤثر فريد من شأنه أن يجعل المرء يؤمن بوجود علاقة روحانية فريدة تميزه من السواد العام من "المسيحيْن messiahs" (المستهلّة أسماؤهم بحرف m صغيرًا وحرف c صغيرًا) — وعن لقب "المسيح "christos" الذي يختفي وراء الترجمة البديلة لكلمة "anointed" أي "الممسوح بالزيت".

إن هذا كلّه يمثل نقطة إحراج للمثقفين المسيحيين لأنه يوحي بالمبدأ الأخلاقي المريب الذي أفضى إلى هذه الترجمة المتحيزة تحيّزًا عقديًا للكتاب المقدس. كما أن من يعترف بهذا القلق قد يعترف أيضًا بوجود فرق جوهري آخر بين المعتقدات التوحيدية/الإسلامية والمعتقدات التثليثية في ظل الافتقار لدليل من الكتاب المقدس يدعم وجهة نظر التثليثيين.

فالإسلام يؤكد أن عيسى كان "مسيحًا للرب" ولكن لا يجتهد لرفعه إلى مرتبة تتجاوز مرتبة النبوة أو يدفع به لمنزلة تميّزه عن غيره ممن يحملون لقبًا مماثلاً أو لقب نبي. وكما أشرنا سابقًا فإن أقدم أناجيل الكتاب المقدس تؤيد المعتقد الإسلامي، وهو أن عيسى كان "christos" "مسيحًا" مثله في ذلك مثل جميع الأنبياء والملوك الداؤوديين. والنتيجة التي تؤدي إلى أنه لا ينبغي لملك أو نبي بعينه أن يحمل لقبًا فريدًا منفصلاً ومميزًا عن كلّ من يحمل اللقب ذاته هي نتيجة معقولة وليست ضربًا من المستحيل.

ومن التوجيهات التي تستحوذ الاهتمام في الدين الإسلامي الدعوة إلى التحلي بالصدق وتجنب التطرف. وفي هذا السياق فلا بد لنا من أن ننأى بأنفسنا عن استخدام الرخصة الأدبية غير المسوّغة. والترجمة الأمينة يجب أن تتفادى التحيز الناجم عن التعصب العقدي. فلا ينبغي لوثيقة يُعتقد أنها وحي رباني أن تُعدَّل بحيث توائم أهواء شخصية وأمزجة طائفية. فمثل هذه الوثيقة ينبغي أن تحظى بالتبجيل المناسب وأن تترجم ترجمة أمينة. ولطالما تمثّل التحدي الأكبر للبشرية فيمايلي، وهو أن يقولب المؤمنون حياتهم لتتواءم والحقيقة وليس النقيض. وأوضح تعبير عن هذا التصور المشتمل على الإيمان بعيسى والتحذير من الغلو في الدين هو ماجاء في سورة النساء من القرآن الكريم (٤: ١٧١):

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ

ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ ﴾.

# ٥ – الولادة العذرية



**"الطفل هو مشيئة الله باستمرار الحياة."**

كارل ساندبيرغ *Carl Sandburg*،
**صخرة التذكّر**

وفي حال عيسى فان الطفل كان إرادة الله في استمرار الوحي.

إن حقيقة أن اليهود وبعض الكنائس المسيحية "التقدميّة" ينكرون ولادة مريم العذراء لأمر يثير الدهشة، إذ إن نبوءة العهد القديم تقول: «يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: أو هذه الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ "عِمَّانُوئِيلَ"» (أشعياء ٧: ١٤). وسواء أكان هذا النص يشير إلى المسيح عيسى أم إلى شخص آخر من بين مخلوقات الله ليس هو مغزى القول. فالحقيقة هي أنه قد تم التنبؤ بولادة عذراء ضمن سياق الآيات السماوية. وعليه فإن إنكار شرعية نبي على هذا الأساس ما هو إلا اتباع محض للأهواء.

إن وجهة النظر المسيحية السائدة معروفة حق المعرفة، والإسلام يدعمها دعمًا كاملاً. أما الاعتقاد الإسلامي فهو أنه تمامًا كما خلق الله آدم من صلصال فقط فقد خلق عيسى دون أب بيولوجي ليكون آية للناس — خلقه من أصل إعجازي بشارة بكونه المسيح. ويصف القرآن الكريم في سورة مريم (القرآن الكريم ١٩: ١٧-٢٢) كيف بُشرت مريم بابنها كما يلي:

﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا . قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾

ويعتقد المسلمون أنه بالولادة المعجزة لعيسى فإن الله يجلي لنا كمال قدرته فيما يتعلق بخلق الإنسان حيث خلق آدم من غير أم ولا أب، وخلق حواء من أب دون أم، وخلق عيسى من أم ومن غير أب.

# ٦ – عيسى مولود [من البشر]؟



**"الخلق شأن رباني، التناسل شأن إنساني".**

مان رَي *Man Ray*، *Originals*
***Graphic Multiples*** **النسخ الفنية الأصلية**

لآماد طويلة أذعن العامة من المسيحيين لعقائد البنوة الإلهية divine sonship لعيسى أنه "مولود لا مخلوق" لدرجة أن تلك المعتقدات باتت بالنسبة إليهم أمرًا لا يقبل الجدل. فحتى ثلاثة قرون مضت، كانت وجهات النظر المخالفة تُقمع بأساليب مروعة بما يكفي لدفع الأصوات الفكرية المعارضة للعمل سرًا. ولم تتحرر المجتمعات الغربية من الاضطهاد الديني وتفتح الأبواب أمام التبادل الحر للآراء إلا مؤخرًا. ولكن الأمر لم يكن كذلك في ديار المسلمين حيث الاعتراض على هذه المعتقدات المسيحية قائم منذ نزول القرآن الكريم أي منذ أربعة عشر قرنًا.

والفهم الإسلامي للموضوع هو أن "الإنجاب"، الذي يعرّفه **قاموس**

**الويبستر** Merriam Webestr's Collegiate Dictionary بأنه "الإنجاب كالأب،" هو فعل جسدي ينطوي على استخدام عنصر الجماع الشهواني – وهي سمة حيوانية تبعد عن جلال الخالق بعد الأرض عن السماء. ولكن ما معنى "مولود لا مخلوق" إذًا؟ إن قرابة ألفٍ وسبعمائة عام من التأويل قد أخفقت في تقديم تفسير معقول يفوق معناه العبارة الأصلية التي وردت في عقيدة مجمع نيقية. وليس القصد هنا أن عقيدة مجمع نيقية ذات معنىً بل إن كلّ ما هو سواها أقل في ذلك منها. ونص عقيدة مجمع نيقية هو كالتالي: "نحن نؤمن برب واحد، المسيح عيسى ابن الله الوحيد المولود الأزلي من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق مولود لا مخلوق، واحد في كونه مع الأب..."

والسؤال التالي كان قد أثير من قبل وهو، "أي لغة هذه؟" فإن استطاع أحد أن يشرح المصطلحات آنفة الذكر بتعبيرات يستطيع الطفل أن يفهمها دون إجباره على تقبلها قبولاً أعمى فسيكون قد أفلح حيث أخفق الآخرون جميعًا. وتحمل العقيدة الآثاناسية Athanasian Creed التي كثيرًا ما تُردد على الألسنة – التي صيغت بعد العقيدة النيقية بحوالي مائة عام – التفافات مماثلة لدرجة مذهلة جعلت بطرك القسطنطينية جِناديوُس Gennadius، "يُدهش من هذه الصياغة غير العادية بحيث عبّر عنها بالقول إنها من فعل رجل مخمور."[٧٣]

---

[٧٣] Gibbon, Edward, Esq. 1854. *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*. Vol. 4. London: Henry G.

ويبرز هنا المزيد من التحديات المباشرة، فلو كان عيسى هو "المولود الوحيد لله"، فمن يكون داؤود؟ الجواب في (المزامير ٢: ٧) ـــ «إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: "أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ». فكيف يكون "عيسى الابن المولود الوحيد لله" ويكون داؤود "مولودًا لله" قبل ذلك بحوالي أربعين جيلاً فقط؟ إن عبارة "سر ديني" قد لا تروق للمفكرين الأحرار جميعًا.

وإزاء مثل هذا التناقض قد يتساءل العاقل: هل كان الله غير جدير بالثقة؟ (وهذا محال) أو أن الكتاب المقدس يحوي أخطاء؟ (وهي إمكانية واردة جدًا، وإذا كان الأمر كذلك فكيف لنا أن نعرف أي العناصر صحيحة وأيها خطأ؟)،[٧٤] ولكن دعونا نأخذ في الاعتبار احتمالاً ثالثًا، وهو أن ثمة عقيدة خطأ أقيمت حول نواة من العاميّات الواردة في الكتاب المقدس scriptural colloquialisms.

ويدور واحد من التحديات جد المربكة حول كلمة *enesmonog*، وهذه هي الكلمة الوحيدة في النصوص الإنجيلية اليونانية القديمة التي تترجم إلى "المولود / الابن الوحيد".[٧٥] وترد هذه الكلمة في العهد الجديد تسع مرات. وتمثل ترجمة هذه الكلمة في إنجيل يوحنا ورسالة يوحنا الإنجيلية

---

Bohn. Chapter 38. P.146.

[٧٤] مرة أخرى ينصح القارئ بالرجوع إلى كتابي د. بارت إهرمان (*Misquoting Jesus & Lost Christianities*) اللذين لا غنى عنهما.

[٧٥] Kittle, Gerhard and Gerhard Friedrich. p.607

الأولى أساس معتقد "مولود لا مخلوق". ومن بين المواضع التسعة التي ترد فيها هذه كلمة "monogenes" نجدها ترد ثلاث مرات في إنجيل لوقا (٧: ١٢، ٨: ٤٢، و٩: ٣٨) لكن دائمًا في إشارة إلى أشخاص غير عيسى، ولا تترجم في أي من تلك المواضع بأنها "المولود الوحيد"، وهذا أمر يثير الفضول. فالمرء يتوقع على نحو عقلاني من ترجمة غير متحيزة أن تترجم الكلمة اليونانية ذاتها إلى مكافىء إنجليزي في جميع الحالات. من الواضح أن الأمر ليس كذلك بل على نقيض التوقعات...

في إنجيل يوحنا فقط ينطبق لقب "monogenes" على وصف عيسى.[٧٦] وترد الكلمة في خمسة مواضع من المواضع الستة المتبقية في العهد الجديد ألا وهي يوحنا (١: ١٤، ١: ١٨، ٣: ١٦، ٣: ١٨) ورسالة يوحنا الإنجيلية الأولى (٤: ٩). وينصّ إنجيل يوحنا (٣: ١٦) على مايلي: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ...» فهل أهمل مؤلفو الأناجيل الثلاثة الأخرى تدوين عنصر حاسم من عناصر معتقد الكنيسة كهذا؟ إن إنجيل يوحنا وحده لا يمكن أن يطرد شبح الشك عندما تسكت الأناجيل الثلاثة الأخرى سكوتًا باديًا للعيان حول هذا الشأن. ولأغراض المقارنة، فإن مؤلفي الأناجيل الأربعة يتفقون على أن عيسى ركب حمارًا (متّى ١٢: ٧، مرقس ١١: ٧، لوقا١٩ : ٣٥، ويوحنا ١٢: ١٤)، وهو موضوع يسمو نسبيًا على أمر الدخول في قائمة الاهتمامات، في حين نجد أن ثلاثة من مؤلفي الأناجيل يخفقون في تأييد ركن حاسم في

---

[٧٦] المرجع السابق.

العقيدة ألا وهو "مولود لا مخلوق". إن هذا لا يمثل توازنًا معقولاً للأولويات كما يرى بعضهم.

هذا إذا ما افترضنا جدلاً صحة هذا المعتقد.

وهكذا نجد أنه في ثلاثة من أصل تسعة مواضع في العهد الجديد وردت كلمة "monogenes" (الابن الوحيد) وهذه المواضع هي في إنجيل لوقا حيث تشير إلى شخص غير عيسى وتمت ترجمتها خطأ على نحو انتقائي. والمواضع الأخرى – من الرابع إلى الثامن – هي في إنجيل يوحنا ورسالته الأولى ويعتقد أنها تصف عيسى. أما في الموضع التاسع فثمَّ المشكل، حيث "إسحق هو الـ *monogenes* (الابن الوحيد) في إصحاح العبرانيين (١١: ١٧)".[٧٧]

إن هذا يؤدي بنا إلى التشكيك في صحة الكتاب المقدس عند هذه النقطة، لأن إسحاق لم يكن قط الابن الوحيد لإبراهيم. وأنّى لإسحاق ذلك وقد وُلد إسماعيل قبله بأربعة عشر عامًا؟ فبمقارنة ما ورد في سفر التكوين (١٦:١٦) «كَانَ أَبْرَامُ (أي إبراهيم) ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ» بما ورد في سفر التكوين (٢١: ٥) «وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ» يتبين لنا فارق السن. وهذا ما يؤكده سفر التكوين (١٧: ٢٥) والذي يخبرنا بأن إسماعيل كان ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتِنَ في لحم غُرْلته أي قبل عام من ميلاد إسحاق.

[٧٧] المرجع السابق.

وعلاوة على ذلك فإن كلاً من إسماعيل وإسحاق قد عاشا بعد موت والدهما إبراهيم، كما ورد في سفر التكوين (٢٥: ٨-٩). وعليه فكيف كان إسحاق في كلّ الأوقات الابن الوحيد لإبراهيم؟

وهناك من غير المعنيين في الشأن الديني ممن يدافع بالقول إن إسماعيل كان ثمرة علاقة غير مشروعة بين إبراهيم وهاجر، خادمة سارة، وبالتالي فإن إسماعيل ابنٌ غير شرعي ويجب ألا يُحتسب.

إلا أنه لا يوجد عالم دين جاد يقبل هذا الدفاع، ولسبب وجيه. بادئ ذي بدء كان إسماعيل من نسل إبراهيم بغض النظر عن طبيعة العلاقة الأبوية. والدليل الآخر الملموس والمصادق على منزلة إسماعيل بوصفه الابن الشرعي لإبراهيم هو ببساطة أن الله أقر بذلك وفق ما ورد في سفر التكوين (١٦: ١١، ١٦: ١٥، ١٧: ٧، ١٧: ٢٣، ١٧: ٢٥، و٢١: ١١). وإذا كان الله يقرر بأن إسماعيل هو ابن إبراهيم، فمن ذا الذي يجرؤ على معارضته من بني البشر؟

إلا أن الإنسان يميل بطبعه إلى الجدال، وهكذا فإذا ما نظرنا إلى الموضوع من الزوايا كافّة فعلينا أن ندرك أن تعدد الزوجات وفقًا لشرائع العهد القديم كان عرفًا سائدًا في ذلك الزمان.[٧٨] وتتضمن أمثلة ذلك راحيل Rachel وليئه Leah وجواريِّهما (سفر التكوين ٢٩ و٣٠)، ولامَك Lamech (سفر التكوين٤: ١٩) وجدعون Gideon (القضاة

[٧٨] Meagher, Paul Kevin et al. Vol 3. p.2821

٨: ٣٠) وداؤود David (صموئيل الثاني٥: ١٣)، والأنموذج الأصلي لتعدد الزوجات، سليمان Solomon (الملوك الأول١١: ٣). ويشير **قاموس أكسفورد لليهودية** *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion* إلى أن تعدد الزوجات كان مشروعًا وفق قوانين العهد القديم، كما أن الأحبار أشاروا إلى شرعيته.[٧٩] وتقر **الموسوعة اليهودية** أن تعدد الزوجات كان ممارسة شائعة في أوساط الطبقات العليا في عصور الكتاب المقدس.[٨٠] وقد تم حظر تعدد الزوجات في صفوف اليهود الغربيين (الأشكناز Ashkenazi). غير أنها استمرت في أوساط اليهود الشرقيين (السفارديم Sephardim).[٨١]،[٨٢] وفي إسرائيل لم يحظر رئيس الأحبار ممارسة التعدد إلا مؤخرًا في العام ١٩٥٠، ونظرًا إلى آلاف السنين التي استغرقها تنقيح الناموس الموسوي Mosaic Law فإن لدينا سببًا وجيهًا للشك في أن دوافع الأحكام آنفة الذكر كانت سياسية أكثر منها دينية.[٨٣]

إذًا مالذي نفهمه عندما نقرأ في سفر التكوين (١٦: ٣) الآية: «فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ

٧٩ Werblowsky, R. J. Zwi and Geoffrey Wigoder. p. 540.

٨٠ *Encyclopedia Judaica.* Vol 2. P.1026

٨١ Werblowsky, R. J. Zwi and Geoffrey Wigoder. p. 540.

٨٢ Roth, Cecil B. Litt., M.A., D. Phil, and Geoffery Wigoder, D. Phil. (editor –in-chief). 1975. *The Standard Jewish Encyclopedia*. W. H. Allwn.p. 1550.

٨٣ Werblowsky, R. J. Zwi and Geoffrey Wigoder. p. 540 .

لِإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ»؟ ونود أن نشدد هنا على كلمة "زَوْجَةً لَهُ". قد تجرح مسألة تعدد الزوجات مشاعر الغرب الحساسة، وليكن في ذلك مايكون لأن مايهم هو أن إسماعيل كان ابنًا شرعيًا لإبراهيم وفقًا للقوانين المطبقة في زمانه.

وإذا ماسلّمنا جدلاً ونسينا كلّ شيء (كما يفعل الكثيرون) وقلنا إن هاجر كانت جارية إبراهيم، فإن هذا الزعم له إجابته. فوفقا لشريعة العهد القديم كان اتخاذ الجواري أمرًا مشروعًا وكان لنسلهن حقوق متساوية [مع حقوق الحرائر]. فوفقًا لـ هيستنج Hasting في **قاموس الكتاب المقدس** *Dictionary of the Bible*: "يبدو أنه لم يكن هناك شيء من الدونية في مكانة الجارية، مقارنة بمكانة الزوجة كما لم تكن هناك فكرة اللاشرعية – تبعًا لمفهومنا للكلمة – فيما يتعلق بإنجاب الأطفال منهن."[٨٤] أما جاكوب م. مايرز Jacob M. Myers، الأستاذ في معهد التعليم العالي اللاهوتي اللوثري وأحد علماء العهد القديم المرموقين فقد علق في مؤلفه: **دعوة إلى العهد القديم** *An Invitation to the Old testament* بما يلي:

> تساعدنا الاكتشافات التنقيبية في إكمال تفاصيل رواية الكتاب المقدس وفي شرح العديد من الإشارات الغامضة بدونها والعادات الغريبة التي كانت سائدة في العالم الذي عاش فيه إبراهيم

٨٤ Hastings, James. *Dictionary of the* Bible.p.292.

وعصره. ومثال ذلك السلسلة الكاملة للممارسات المتصلة بميلاد إسماعيل ومعاملة هاجر، أمه فيما بعد... فقد عرفنا الآن أنها كانت ممارسات يومية تسير وفق القانون.

فعقد النكاح الفوري ينصّ على أنه بوسع المرأة التي لم تنجب أن تختار امرأة وتزوجها لزوجها كي ينجب. لكن ليس لها أن تطرد أبناءها ولو أنجبت هي فيما بعد. فالطفل المولود من جارية له المكانة ذاتها التي للابن المولود من الزوجة.[٨٥]

وبعودة إلى منظور **أليس في بلاد العجائب** ولو للحظة، فنسأل على كلّ حال: ما المقنع حقًّا؟ هل يبعث الله نبيًا يخرج على الأوامر المنزلة من لدنه؟ هل يمكن أن يبعث الله نبيًا برسالة مفادها "افعلوا كما أقول لكم لا كما أفعل؟" أليس من المعقول أكثر أن يكون إبراهيم تصرف ضمن نطاق قوانين عصره بالدخول مع هاجر في علاقة شرعية؟

وفي ظل الأدلة السابقة، نجد أن العلاقة التي جمعت والدَيْ إسماعيل (إبراهيم وهاجر) كانت شرعية، والله أيّد ذلك بأن جعل إسماعيل المولود الأول لإبراهيم. وعندما نراجع مادة "إسماعيل" في **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** (وهو مرجع أولئك الذين قد يعارضون ومن منطلقات عقدية فك طلاسم هذا اللغز) فهناك نجد الموافقة التالية: "إسماعيل (إشماعيل) ابن

٨٥. Myers, Jacob M. 1966. *Invitation to the Old Testament*. NY: Doubleday & Company.p.26.

إبراهيم وهو المولود البكر لإبراهيم..."[٨٦]

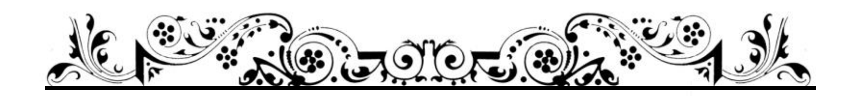
فما تقييمنا إذًا لكتاب العبرانيين في استخدامه لكلمة "monogenes" (الابن الوحيد) ووصفه إسحق بأنه الابن الوحيد لإبراهيم؟ هل ذلك مجاز أم سوء ترجمة أم خطأ؟ فإن كان الاستخدام مجازًا فإن الترجمة الحرفية لكلمة "monogenes" فيما يتعلق بعيسى لا يمكن الدفاع عنه. وإذا كانت سوء الترجمة، فلا بد من تصحيح سوء الترجمة والمعتقد معًا. أما إذا كانت خطأ فحينئذ يبرز تحدٍ أعظم: ألا وهو التوفيق بين أمرين هما تنزّه الله عن الخطأ والخطأ الوارد في الكتاب المقدس.

إن هذه المشكلة تستدعي الحل، وترجمات الكتاب المقدس الحديثة التي تحظى بالتقدير (أي النسخة المعتمدة المنقحة The Revised Standard Version، والنسخة المعتمدة الجديدة المنقحة The New Revised Standard Version، والنسخة الدولية الجديدة The International Version، وكتاب البشائر المقدس Good News Bible، والكتاب المقدس الإنجليزي الجديد The New English Bible، وكتاب القدس المقدس Jerusalem Bible، وغيرها كثير) تقر جميعًا بأن كلمة "begotten" كانت إقحامًا في النص وأنها حُذفت دون إقرار رسمي بذلك. وبفعلهم ذلك فإنهم يوسعون الهوة بين العقيدة المسيحية والعقيدة الإسلامية وذلك لأن القرآن الكريم ينص على مايلي: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَـٰنِ أَن

٨٦ *New Catholic Encyclopedia*. Vol 7.p.690.

يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (القرآن الكريم ١٩: ٩٢) و﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ (القرآن الكريم ١١٢: ٣).

# ٧- عيسى المسيح ابن الله؟



"إن أحد الفروق المدهشة بين القط والكذبة أن للقط سبعة أرواح لا غير."

مارك توين *Mark Twain*، **تقويم ولسن** *Pudd'nhead Wilson's Calendar*.

أهو ابن الله، أم ابن داؤود، أم ابن الإنسان؟ يشير العهد الجديد إلى أن عيسى هو "ابن داؤود" في أربعة عشر موضعًا وذلك ابتداء بالآية الأولى (إنجيل متى ١:١). أما إنجيل لوقا فيوثّق لواحد وأربعين جيلاً ما بين عيسى وداؤود، في حين يُدرج إنجيل متّى ستة وعشرين جيلاً بينهما. ولكون عيسى ينحدر من سلالة داؤود تفصله أجيال عديدة، فإن لقب "ابن داؤود" لا ينطبق عليه إلا من باب المجاز. لكن كيف يتأتى لنا أن نفهم لقب "ابن الله"؟

تنص "المعضلة ثلاثية المحاور" التي تمثل طرحًا عامًّا بين المبشرين المسيحيين بأن عيسى إما أنه كان مجنونًا أو كذّابًا أو ابنًا لله، كما زعم هو نفسه. ولنتفق جدلاً على أن عيسى لم يكن مجنونًا ولا كذّابًا. ولنتفق أيضًا

بأنه كان كما وصف نفسه **تمامًا**. لكن نسأل بم وصف نفسه بالضبط؟ لقد وصف عيسى نفسه مرارًا وعلى نحو مضطرد بل ربما على نحو مؤكد بأنه "ابن الإنسان The Son of Man"، ولكن نقول في أي موضع وصف نفسه بأنه "ابن الله"؟

ولنعد للقول ماذا تعني عبارة "ابن الله" في المقام الأول؟ ليس هناك طائفة شرعية تقول بأن الله اتخذ زوجة وأنجبا ولدًا، كما أنه ليس ثمة طائفة تتصور أن الله كان أبًا لطفل جاءه عبر أم من بني البشر **دون** زواج. وعلاوة على ذلك فإن التلميح بأن الله قد عاشر جسديًا عنصرًا من خلقه لهو أمر بعيد كلّ البعد عن حدود التساهل الديني بل وينحدر إلى حافة الكفر واتِّباع أساطير اليونانيين.

ومع عدم توافر تفسير عقلاني للمعضلة في أركان العقيدة المسيحية فإن السبيل الوحيد لإغلاقها هو الادعاء بوجود لغز عقدي آخر، وهنا يتذكر المسلم سؤالا يطرحه القرآن، ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ ... ﴾ (القرآن الكريم ٦: ١٠١)، في حين يصيح آخرون قائلين "ولكن الله على كلّ شيءٍ قدير". إلا أن الموقف الإسلامي هو أن الله سبحانه منزه عن الدنايا ولا يفعل إلا ما يليق بجلاله، وتنص وجهة النظر الإسلامية على أن الذات الإلهية متكاملة مع كينونته ومتسقة مع جلاله.

ونسأل من جديد، ماذا تعني عبارة "ابن الله"؟ وإذا كان عيسى يملك حصريًا حقوق حمل اللقب فلماذا يسطّر الكتاب المقدس الآية التالية:

«لأَنِّي صِرْتُ لإِسْرَائِيلَ أَبًا، وَأَفْرَايِمُ (أي إسرائيل) هوَ بِكْرِي» (أرمياء ٣١ك ٩) و«إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ» (الخروج ٤: ٢٢)؟ وبفهم ما ورد أعلاه في سياق سفر رومية (٨: ١٤) الذي نصّه: «لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ» فإن العديد من العلماء خلصوا إلى أن "ابن الله" هو لقب مجازي وأنه كما هو الحال في "christos"، لا ينطبق انطباقًا حصريًا [على المسيح]. فـ **معجم أوكسفورد للديانة اليهودية** يؤكد أن المصطلح اليهودي "ابن الله" كما هو واضح مصطلح مجازي. ونقتبس من المعجم فنجد: أنّ "ابن الله، تعبير يرد أحيانًا في الأدبيات اليهودية، الإنجيلية وما بعد الإنجيلية، إلا أنه لا يشير في شيء من هذه المواضع إلى التحدّر الجسدي من الألوهية."[٨٧] ونقرأ في معجم هيستنج **قاموس الكتاب المقدس** التعليق التالي:

و"البنوة" sonship في الاستخدام السامي مفهوم فضفاض يستخدم للدلالة على العلاقة المعنوية لا الجسدية أو الميتافيزيقية. وهكذا فإن «أبناء بليعّال» (القضاة ١٩: ٢٢ إلخ) رجال أشرار ليسوا من نسل بليعّال، وفي العهد الجديد كذلك فإن «بَنِي الْعُرْس» هم ضيوف حفل الزفاف. وعليه فإن "ابن الله" رجل أو شعب يعكس شخصية الرب. وليس ثمة دليل كاف على أن هذا اللقب استخدم في أوساط المسيح اليهودية، ذلك أن البنوة التي تتجاوز في مضمونها حد العلاقة المعنوية تتناقض وفكرة التوحيد في

---

[٨٧] Werblowsky, R. J. Zwi and Geoffrey Wigoder. p. 653.

اليهودية.(٨٨)

وعلى كلّ حال، فإن قائمة المرشحين لحمل لقب "ابن الله" تبدأ بآدم، وفقًا لإنجيل لوقا (٣: ٣٨)، «آدَمَ، ابْنِ اللهِ».

وأما الذين يحاجون في هذا الصدد باقتباسهم من إنجيل متّى (٣: ١٧) [الآية] («وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: "هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ"») فقد أغفلوا مسألة أن الكتاب المقدس يصف العديد من الناس – بمن فيهم إسرائيل وآدم — بأنهم "أبناء الله". وينص كلّ من سفر صموئيل الثاني (٧: ١٣-١٤) وأخبار الأيام الأول (٢٢: ١٠)، على الآية: «هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا، وَأَنَا لَهُ أَبًا وَأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ».

كما يشار إلى أمم بأكملها على أنها أبناء الله، أو أولاد الله، ومن أمثلة ذلك:

١. سفر التكوين (٦: ٢)، «أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ»

٢. سفر التكوين (٦: ٤)، «كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أيضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ».

٣. سفر التثنية (١٤: ١): "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ».

---

٨٨. Hastings, James. *Dictionary of the* Bible.p.143.

٤. سفر أيوب (١: ٦): «وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ ...».

٥. سفر أيوب (٢: ١): «وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ... ».

٦. سفر أيوب (٣٨: ٧): «عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ؟».

٧. سفر فيلبّي (٢:١٥): «لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَدًا للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيل مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ...».

٨. رسالة يوحنا الرسول الأولى (٣: ١-٢): «اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!... أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ الله...».

وفي إنجيل متى (٥: ٩) رُوي أن عيسى قال، «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ»، ثم بعد ذلك وفي الآية (٥: ٤٥ من متى) يصف عيسى لأتباعه كيف يكتسبون الصفات الحميدة، «لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»، حيث نلحظ هنا كلمة «أَبِيكُمْ» أي أبوهم هم وليس حصريًا أباه. أضف إلى ذلك أن إنجيل يوحنا (١٢: ١) ينص على الآية التالية: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ...». وإذا ما كان للكتاب المقدس أن يحترم فإن كلّ صاحب تقوى يمكن أن يطمح لشرف نيل لقب "ابن الله".

ويعلق غراهام ستانتون قائلاً: "في العصور الإغريقية - الرومانية كان الأبطال والحكام والفلاسفة يُلَقّبون بـ أبناء الله. ففي العهد القديم يُستخدم لقب "ابن الله" للإشارة إلى الملائكة أو الكائنات السماوية (مثال ذلك سفر التكوين ٦: ٢،٤ وسفر التثنية ٣٢: ٨ وسفر أيوب ١: ٦-١٢) وكذلك للإشارة إلى إسرائيل أو الإسرائيليين (كما في سفر الخروج ٤: ٢٢ وهوشع ١١: ١)، وكذلك يستخدم للإشارة إلى الملك (بالأخص في سفر صموئيل الثاني ٧: ١٤ والمزامير٢ : ٧)."[٨٩] وبدوره يستطرد جُوِل كَرمايكل Joel Carmichael قائلاً:

"كان لقب "ابن الله" بطبيعة الحال مألوفًا تمامًا عند اليهود في عهد عيسى وقبل ذلك بقرون: فاليهود **جميعًا** كانوا أبناء الله؛ وكان ذلك في الواقع ما ميزهم عن سائر البشر...

وخلال حقبة ما بعد النفي postexilic في التاريخ اليهودي كان اللقب يطلق كذلك على كلّ تقي، وأخيرًا شاع ليشير إلى الرجل الصالح أو الأمير.

وفي هذه الحالات جميعًا من الاستخدام اليهودي كانت العبارة مجرد استعارة للتعبير عن علاقة حميمة على وجه الخصوص بين فضيلة فردية يتحلى بها الشخص والقدرة الإلهية".[٩٠]

٨٩ Stanton, Graham N.pp.224-225.

٩٠ Carmichael, Joel, M.A. 1962. *The Death of Jesus*. NY. The

وعليه فإذا كانت عبارة "ابن الله" هي "ببساطة مجرد استعارة " فلماذا ترفع المسيحية المسيح عيسى إلى "ابن الله" بالمعنى الحرفي للعبارة؟ ويتردد صدى السؤال الذي يبحث عن إجابة، "من أين استحوذ عيسى على الحق الحصري لحمل لقب 'ابن الله'؟".

وإذا لم يكن ذلك مربكًا لدرجة كافية فإليك ماورد في الرسالة إلى العبرانيين (٧: ٣) حيث يوصف مَلِيكا صادق Melchizedek —— ملك سالم king of Salem بأنه «بِلاَ أَبٍ، بِلاَ أُمٍّ، بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ. هذَا يَبْقَى كَاهِنًا إِلَى الأَبَدِ». فهل ثمة [إنسان] خالد موجود قبل الخليقة دون أصل ونسب ودونما أبوين؟ أهو تفكير خيالي أم إن لـ عيسى منافسين إنجيليين؟

والمدهش حقًا أن عيسى يشير إلى نفسه في الكتاب المقدس بأنه "ابن الإنسان" وليس "ابن الله"، وفي **معجم هاربر للإنجيل** *Harper's Bible Dictionary* نجد المقترح التالي: "لا بد أن عيسى استخدم 'ابن الإنسان' كلقب مبسّط، ولعله من باب التواضع أن يشير إلى نفسه بأنه مجرد كائن بشري."(٩١) وتقول **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** عن لقب "ابن الإنسان" أن "لهذا اللقب أهمية خاصة لأنه هو اللقب الذي كان عيسى يفضل استخدامه كي يصف نفسه ويصف بعثته."(٩٢)

---

Macmillan Company. Pp.253-4

٩١ Achtemeier, Paul J. p. 981.

٩٢ *New Catholic Encyclopedia*. المجلد ١٣، ص ٤٣١. يُذكر هنا القارئ بأن الآرامية و

ومن أجل التفصيل فإن عيسى وصف نفسه بأنه "ابن الإنسان" ثمانيًا وثمانين مرة في العهد الجديد، ونقع على التعبير "ابن الله" سبعًا وأربعين مرة في العهد الجديد ليس على لسان عيسى بل دائمًا على لسان غيره. وكما ورد في **معجم هاربر للإنجيل**:

على الرغم من أن فحوى التقاليد [في الإنجيل] تحوي قولين يشير فيهما عيسى إلى نفسه بأنه "ابن" فيما يتعلق بالله بوصفه الأب (إنجيل مرقس ١٣: ٣٢ وإنجيل متى ١١: ٢٧)، إلا أن

---

العبرية القديمة و"اليونانية الأصلية" – وما هي بالأصلية – التي تُرجم منها الكتاب المقدس جميعها تفتقر إلى الأحرف الاستهلالية الكبيرة. وعليه فإن الحروف الكبيرة مثل حرف H في "Himself" و"His" وحرف S الكبير في "Son" فيما سيلي من اقتباسات، تعكس المقام العالي الذي يرفع التثليثيون إليه المسيح عيسى في معتقدهم. واستخدام الحرف الكبير في ترجمة الكتاب المقدس هو نتيجة لقناعة دينية أكثر منها دقة علمية، تم تصورها من منطلق عقدي أكثر منها وفاء للروايات الإنجيلية. وللوقوع على مثال واضح على ذلك النوع من التلاعب في النص بوسعنا مقارنة متى (٢١: ٩) بالمزامير (١١٨: ٢٦). لنجد سفر المزامير (١١٨: ٢٦) يتحدث عن "he" (هو) ذات حروف صغيرة (ولعلنا نجرؤ على وصفها بغير المحددة) في النص القائل:

"Blessed *is* he who comes in the name of the LORD!"

"مُبَارَكٌ (هو) الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ"

إلا أنه عندما قام متى (٢١: ٩) بالاقتباس من المزامير (١١٨: ٢٦) مشيرًا إلى عيسى بأنه الـ"هو he" "الآتي باسم الرب"، قام مترجمو الكتاب المقدس بتحويل "he" الصغيرة في المزامير (١١٨: ٢٦) إلى "He" كبيرة في محاولة منهم لجعل عيسى يبدو ذا صفة إلهية. ولكي لا يلتمس المرء أعذارًا لذلك، فإن هذا ليس بخطأ مطبعي، بل إن الآية (٢٣: ٣٩) من متى تضاعف هذه المبالغة. والمشكلة هي أن التلاعب بالنص واضح. والتحليل الجيني لوصمة العار التي أصابت نسيج التاريخ الديني هي ببساطة ليست ضرورية، لأن الحكم واضح ألا وهو أن أحد ما قد دنّس النص. وحتى لا يدافع إنسان عن الإنجيل على أساس أن هذا تحريف ليس على قدر كبير الأهمية، فإن كلّ مجموعة تعد الإنجيل كتاب هداية سوف تجد نفسها في موقف صعب لدى قراءة التحذير الإنجيلي: "الظَّالِمُ فِي الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ" (لوقا: ١٦: ١٠). كيف إذًا ينطبق هذا الاقتباس على نسّاخ الكتاب المقدس ومترجميه؟ كيف لنا أن نثق ببقية عملهم بما أنهم طالما ظلموا في القليل فلابد وأنهم "ظلموا في الكثير"، وفقًا لكتابهم المقدس؟

هذين القولين مشكوك في صحتهما على نطاق واسع، ويبقى من غير المؤكد إن كان عيسى دعا نفسه حقًا بـ "ابن" فيما يتعلق بالله بوصفه أبًا...

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن عيسى لم يزعم قط أنه "ابن الله"، وبينما تم تصويره في إنجيل مرقس (١٤: ٦١-٦٢) بأنه قبل هذا اللقب، فإن كلاً من إنجيل متى (٢٦: ٦٤) وإنجيل لوقا (٢٢: ٦٧) يحاولان جاهدين تلطيف قبول عيسى لهذا اللقب كما لو أنه يقول للكاهن الأعلى، "إن هذا اللقب ــــ مثله مثل لقب 'المسيح' ــــ كلامكم وليس بكلامي."[٩٣]

ويوافق هذا ماجاء في **قاموس هيستنج للكتاب المقدس**: "إن استخدام عيسى للقب "ابن الله" لوصف نفسه لأمر مشكوك فيه..."[٩٤]

فهل تتضمّن عبارة "ابن الإنسان" تفرُّد عيسى باللقب؟ من الواضح لا، فـ سفر حزقيال يحوي ثلاثًا وتسعين إشارة إلى حزقيال بوصفه "ابن الإنسان".

إن كلّ ما سبق يجعل الباحث الموضوعي يخلص إلى النتائج التالية:

١. يُفترض أن عيسى هو بالضبط ما وصف به نفسه.

٢. وصف عيسى نفسه بأنه "ابن الإنسان" ثمانيًا وثمانين مرة.

---

٩٣ Achtemeier, Paul J. pp. 979-980.

٩٤ Hastings, James. *Dictionary of the* Bible.p.143.

٣. لم يزعم عيسى قط لنفسه لقب "ابن الله" في أيّ مكان في الكتاب المقدس.[٩٥]

٤. وفي جميع حالات المصطلح اليهودي كانت عبارة "ابن الله" إما مجازية وإما مخالفة لعقيدة التوحيد.

ويعترف رجال الدين المسيحيون بما ورد أعلاه صراحة، ولكنهم يزعمون أنه على الرغم من أن عيسى لم يصف نفسه بـ"ابن الله" قط، إلا أن آخرين نعتوه بذلك، وهذا الزعم له إجابته كذلك.

فلدى التحقيق في المخطوطات التي تؤلف بمجموعها العهد الجديد، نجد أن "بنوة" عيسى المزعومة تستند إلى سوء فهم كلمتين يونانيتين —— أولاهما "pais" والثانية "huios"، وكلتا الكلمتين تترجمان إلى "ابن son". إلا أن هذه الترجمة تبدو مراوغة، فالكلمة اليونانية "pais" مشتقة من كلمة "عِبِد ebed" العبرية، التي تحمل في الأساس معنى "خادم" أو "عَبد"، وعليه فإن الترجمة الأولية لعبارة "pais theou" هي "عبد الله" وأن ترجمة "ولد" أو "ابن الله" ما هي إلا تنميق سافر للكلمة. ووفقًا **لـ المعجم اللاهوتي للعهد الجديد،** "إن الأصل العبري لكلمة **'**pais**'** في العبارة **'**pais theou**'** بمعنى **'**ebed**'** (عِبِد) تحمل في طياتها تأكيدًا للعلاقة الشخصية وتحمل أولاً معنى كلمة **'**عبد**'**."[٩٦] وهذا ماهو ممتع في الأمر

---

[٩٥] انظر الفصل التالي للاطلاع على مناقشة الآية (١٠: ٢٦) من يوحنا —— وهو الموضع الوحيد في الكتاب المقدس الذي ربما يكون فيه عيسى قد وصف نفسه بصورة مجازية بـ"ابن الله"، رغم أن ذلك غير مرجح.

[٩٦] Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p.1323

لأنها تتفق تمامًا ونبوءة سفر أشعياء (٤٢: ١)، التي يؤيدها سفر متى (١٢: ١٨): «هُوَ ذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي...».

وسواء قُرِئت الكلمة هذه في طبعة الملك جيمس [يعقوب] من الكتاب المقدس، أو طبعة الملك جيمس الجديدة، أو الطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة، أو الطبعة الدولية الجديدة فإن الكلمة المستخدمة فيها جميعًا هي "خادم". وبالنظر إلى أن الهدف من الوحي هو تجلية الحقيقة الربانية، فقد يرى المرء أن هذا النص يمثل علامة فارقة تشوّه وجه عقيدة البنوة الإلهية. وبالمحصّلة النهائية، هل ثمة مكان أفضل من هذا يعلن فيه الرب أن عيسى ابنه؟ وأي مكان خير من هذا الذي يقول فيه الرب: "انظروا، هو ذا ابني الذي ولدت..."؟ إلا أنه [سبحانه] **لم** يقل هذا. ولهذا فإن المعتقد يفتقر إلى التأييد الإنجيلي سواء أكان التأييد بكلام عيسى أم بكلام الله، وبالتالي فثمة دافع قوي للتساؤل عن السبب اللهم إن لم يكن عيسى أكثر من مجرد عبد لله كما يصفه النص السابق.

وفيما يتعلق بالاستخدام الديني لكلمة "عبد" نجد أن "هذا المصطلح يدل في معناه على تذلل الصالحين بين يدي الله".[٩٧] وعلاوة على ذلك، فإن مصطلح "pais theou" يستخدم منذ العام ١٠٠ ق.م. في الغالب للدلالة على معنى واحد وهو 'عبد الله'، كما هو الحال عندما يشار مثلاً

[٩٧] المرجع السابق.

إلى موسى والأنبياء أو الأبناء الثلاثة (بار ١: ١٢٠، ٢: ٢٠، ودانيال ٩: ٣٥)."[٩٨] ومن السهل أن تغوص قدما المرء في رمال الخلافات العقدية حول هذه المسألة حيث إنه من بين المواضع الثمانية التي يرد فيها تعبير "pais theou" في العهد الجديد نجد أن خمسة منها فقط تشير إلى عيسى (متى ١٢: ١٨، وأعمال الرسل ٣: ١٣، ٢٦، و٤: ٢٧، ٣٠) — بينما تتوزع الثلاثة الأخرى بين إسرائيل (لوقا ١: ٥٤) وداؤود (لوقا١: ٦٩، وأعمال الرسل ٤: ٢٥). وهكذا فإن عيسى لم يكن يملك الحق الحصري في حمل ذلك اللقب، وقد خلص الخبراء إلى أنه «في المواضع القليلة التي يُدعى فيها عيسى "pais theou" فمن الواضح أن هناك تقليدًا مبكرًا».[٩٩]

علاوة على ذلك فإن الترجمات في حال كونها غير منحازة فيجب أن تكون متماثلة – بمعنى أنَّ جميع من أطلق عليهم لقب "pais theou" في اليونانية يجب أن يكونوا متطابقين في الترجمة. إلا أن الأمر لم يكن كذلك. فبينما تُرجمت كلمة "pais" بـ"خادم" للإشارة إلى إسرائيل وداؤود في آيات الكتاب المقدس آنفة الذكر، نجد أنها تُرجمت بـ"ابن" أو "الابن المقدس" عند الإشارة إلى المسيح. إن مثل هذه المعاملة التفضيلية وإن كانت متسقةٌ كنسيًّا، إنها معيبة من الناحية المنطقية.

وأخيرًا يتكشف لنا نظير ديني لافت للنظر، إن لم يكن نظيرًا أساسيًا

---

٩٨ Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p.765.

٩٩ المرجع السابق، ص ٧٦٧.

"وهكذا فإن العبارة اليونانية '*pais tou theou*' تحمل المدلول نفسه الذي يحمله الاسم الإسلامي 'عبد الله'."[١٠٠]

وكم هو مدهش هذا التماثل، ذلك أن القرآن الكريم يروي أن عيسى لم يعرّف نفسه بأكثر من هذا اللقب — عبد الله. ووفقًا لما جاء في القصص القرآني فإن مريم عندما رجعت لأهلها تحمل طفلها الوليد عيسى اتُّهمت بعدم العفة. وعندها وبمعجزة ربانية تحدث عيسى في المهد مدافعًا عن نفسه وعن عفّة أمه قائلاً: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ (القرآن الكريم ٣٠: ١٩).

ومن جهة أخرى فإن ترجمة العهد الجديد للكلمة اليونانية "huios" بـ"ابن" (بالمعنى الحرفي للكلمة) معيبة أيضًا. فنحن نجد في الصفحة (١٢١٠) من **المعجم اللاهوتي للعهد الجديد** أن معنى "huios" في العهد الجديد ينتقل من المعنى الحرفي (عيسى بوصفه ابن مريم)، إلى المجازي المعتدل (المؤمنون بوصفهم أبناء الملك [في متى ١٧: ٢٥-٢٦])، إلى المجازي المؤدب (صفوة الله هم أبناء إبراهيم [في لوقا ١٩: ٩])، إلى المجازي العامّي (المؤمنون بصفتهم أبناء الله [متى ٧: ٩ والعبرانيون ١٢: ٥])، إلى المجازي الروحي (حيث يوصف التلاميذ أبناء الفريسيين [في متى ١٢: ٢٧ وأعمال الرسل ٢٣: ٦])، إلى المجازي البيولوجي (كما في يوحنا ١٩: ٢٦ حيث يصف عيسى حواريه المفضل لمريم بأنه "ابنها")، إلى

[١٠٠] Carmichael, Joel.pp.255-6.

المجازي الأعمى، كما في «أبناء الملكوت» (متى ٨: ١٢)، و«أبناء السلام» (لوقا ١٠: ٦)، و«أبناء النور» (لوقا ١٦: ٨)، وإلى كلّ شيء بدءًا من «أبناء الدهر» (لوقا ١٨: ٨)، إلى «ابني الرعد» (مرقس ٣: ١٧). لكأن كلمة "ابن" هذه التي أسيء فهمها ترفع عاليًا يافطة كبيرة كُتب عليها بخط عريض: [اسم] **مجازي!** أو بعبارة ستانتون البليغة، " يجمع معظم علماء الكتاب المقدس على أن الكلمة العبرية أو الآرامية المترجمة إلى 'ابن' هي 'خادم'. وهكذا بينما يتنزل الروح على عيسى في أثناء تعميده، يُخاطب عيسى صوت من السماء بما ورد في سفر إشعياء (٤٢: ١)، «هُوَ ذَا عَبْدِي... مُخْتَارِي... وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ». وهكذا وعلى الرغم من أن الآيتين في إنجيل مرقس (١: ١١ و٩: ٧) تؤكدان أن الله قد اصطفى عيسى في مهمة خاصة ليكون مسيحًا، فإن التركيز هو على دوره بوصفه الخادم المختار وليس ابن الله**!** ."[١٠١]

وعلى الباحث الموضوعي الآن أن يوسع قائمة الملاحظات على النحو التالي:

١. يُفترض أن عيسى هو بالضبط ما وصف به نفسه.

٢. وصف عيسى نفسه بأنه "ابن الإنسان".

٣. لم يزعم عيسى لنفسه قط لقب "ابن الله" بمعناه الحرفي في كلّ مكان في الكتاب المقدس.

---

[١٠١] Stanton, Graham N. p225.

٤. وبأية حال من الأحوال، كانت عبارة "ابن الله" في المصطلح اليهودي إما مجازية وإما مخالفة لعقيدة التوحيد.

٥. إن الترجمة الرئيسة لعبارة "pais theou" هي "عبد الله" وليست "ابن الله".

٦. تستخدم كلمة "*huios*" التي نقلت من المخطوطات اليونانية إلى العهد الجديد إلى كلمة "ابن"، استخدامًا مجازيًا وبتواتر كبير بحيث يجعل الترجمة الحرفية غير مسوّغة.

٧. وعليه فإنه عندما تحدث الآخرون عن عيسى بوصفه "ابن الله" فإنه يمكن افتراض المعنى المجازي وفق اعتبارات المصطلح اليهودي وبتوافق مع صرامة التوحيد اليهودي.

إذًا، كيف يسوّغ العالَم المسيحي ادعاء البنوة الإلهية؟

بعضهم يقول إن عيسى كان ابن الله لأنه دعا الله بـ "الأب". ولكن كيف يدعو الآخرون الله؟ وهنا نقول بم دعا عيسى في الإنجيل غير «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ...» (متى ٦: ٩)؟ وهكذا فإن عيسى لم يعلّم بأن كلّ شخص يمكنه أن يحمل لقب ابن الله فحسب، بل لقّن أتباعه بأن يعرّفوا الله بأنه "الأب".

ويقترح بعضهم أن عيسى كان بشرًا في أثناء حياته لكنه أصبح شريكًا في الألوهية في أعقاب صلبه. إلا أن عيسى عندما يتحدث في إنجيل مرقس (١٤: ٦٢) عن يوم الحساب يقول إن الناس سوف يرونه «ابْنَ

الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ». فإذا كان عيسى "ابن الإنسان" ويوم الحساب لابد آت، فما عسى أن يكون عيسى من الآن إلى يوم الحساب؟

ويكرر السؤال نفسه، "من أين جاء مفهوم البنوة الإلهية [في عيسى]؟"

إذا ما تطلعنا إلى علماء الكنيسة للحصول على إجابة فسوف نجد: "كانت الكنيسة مقيدة بظروف في مجمع نيقية دفعتها لإدخال عناصر من خارج الإنجيل على وصفها الأصلي لعلاقة الابن بالأب. وقد تسبب الجدل الآريوسي بهذا الحكم."[١٠٢]

إذًا، "مقيدة بظروف"... ماذا يعني ذلك بالضبط؟ لا يسع المرء إلا أن يقارن هذه العبارة بعبارات أخرى مشابهة ومألوفة لديه مثل، "كنت مقيّدًا بالظروف - لم أملك المال الكافي فسرقت". أو "لم تكن الحقيقة تجدي نفعًا فكذبت."

ما تلك الظروف التي قيدت تلك الكنيسة بالضبط؟ هل أثبت آريوس عجزهم عن تسويغ معتقدهم من الكتاب المقدس فردوا عليه بالطريقة الوحيدة التي يعرفونها لكي ينقذوا أنفسهم من موقف محرج؟ هل كان الكتاب المقدس كافيًا وشافيًا إلى أن عجز عن دعم معتقدهم وعندها نبذوا "كتاب القواعد" جانبًا وجاؤوا بكتاب من عندهم؟ هل كان هذا ما حدث؟ فهذا ما بدا أنهم يقولونه — وهو أنهم لم يستطيعوا أن يسخروا

---

١٠٢ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 13, p.426.

الكتاب المقدس لصالحهم، فلجؤوا إلى مصادر غير إنجيلية للحصول على الدعم.

ولكن مهلاً! هل هذا مسموح به؟

دعونا ننظر مالذي حدث.

لقد حاجّهم آريوس بأن الثالوث كان يتألف من ثلاث حقائق منفصلة ومتمايزة، وأن عيسى المسيح كان مخلوقًا ذا طبيعة محدودة، أو بعبارة أخرى كان بشرًا. وقد نُشر أعظم أعمال آريوس وعنوانه "*Thalia*" (ثاليا، ومعناه "المأدبة banquet" ) في العام ٣٢٣ للميلاد محدثًا ضجة كبيرة بحيث عُقد مجمع نيقية في العام ٣٢٥ لمعالجة تحديات آريوس. على سبيل المثال افترض قياس آريوس في المنطق أنه إن كان عيسى بشرًا، فلاينبغي أن نقول بأنه كان إلهًا، وإن كان عيسى إلهًا فلاينبغي أن نقول بأنه مات. واقترح آريوس أن مفهوم "الإنسان – الإله" لا يصمد أمام التحليل النقدي وأنه يستعصي على الشرح.

وإذا ما استطاع شخصٌ ما أن يشرح مفهوم "الله–الإنسان God–man concept" فإن تحديات آريوس لعقيدة التثليث سوف تغرق وتختفي تحت سطح التاريخ. إلا أن ١٧٠٠ عام من غربلة الدفاعات عن المسيحية أخفقت في الكشف عن جوهرة في منطق التثليث ذات بريق كاف من شأنه إرضاء شكوك المشككين، في حين تبرز إلى السطح بين الفينة والأخرى موضوعات تحدٍ تحاكي حجج آريوس. فعلى سبيل المثال يمكننا

أن نطرح السؤال التالي: "عندما أصبح الله إنسانًا كما يقال، هل تخلى عن قدراته الإلهية؟" فلو حدث أن تخلى عن قدراته الإلهية فإنه لن يعود إلهًا بعد ذلك، وإن لم يفعل فهذا يعني أنه لم يكن بالإنسان قط. ونسأل أيضًا: إذا كان الله—الإنسان قد مات على الصليب فهل يعني هذا أن الله قد مات حقًا؟ كلا، بالطبع لا. وعندها تسأل: إذًا فمن الذي مات على الصليب؟ أهو مجرد الجزء الإنساني من الله؟ ولكن في هذه الحالة فإن الفداء لن يتحقق بالقدر الكافي، وذلك لأن الزعم هو أنه لا يفي بتكفير خطايا البشر سوى الفداء الرباني. والمشكلة هي أن موت الناسوت أو الجزء البشري من الثالوث المزعوم لم يكن ليسهم في تكفير الذنوب على نحو أكثر من موت إنسان بدون خطيئة، الأمر الذي لا يدع أمامنا خيارات كثيرة للتفسير سوى اللجوء إلى الزعم بأن بعضًا من عناصر الألوهية قد مات. ومما لا ريب فيه أن اليهود الموحدين والمسيحيين التوحيديين والمسلمين سوف يدافعون بالقول إن من يزعم أن الله هو الذي مات فإن مثواه سوف يكون جهنم حقًا (معتقدين بأن هذه ستكون عقوبة الله لهم، لأن الله حي لا يموت).

ولاستكمال الفكرة السابقة نقول، إن عقيدة التثليث تزعم أن الله لم يصبح بشرًا فحسب بل بقي إلهًا في الوقت نفسه، وهذا مفهوم يعده الموحدون النظير المكافئ لـ لوحة إشَّر Escher "البناء المستحيل". فهذه العبارة وإن كانت تؤدي جملة قواعدية سليمة إلا أن الالتواءات المستحيلة لا يمكن لها أن تصبح واقعًا أبدًا. فالشجرة لا يمكن أن تصير أثاثًا وتبقى

شجرة، كما أن شريحة اللحم المشوية لا يمكن لها أن تظل بقرة. فما إن يتحول شيء ما عن طبيعته حتى يفقد خواصه الأصلية. ومع هذا فقد صنعت الكاثوليكية من الاستحالة [استحالة المادة أي القربان إلى لحم ودم المسيح] دينًا يزعم النقيض تمامًا — وهو أن مادتين مختلفتين هما شيء واحد.

إن الموقف التوحيدي يعلن أن الله هو الرب وأن الإنسان بشر، وأن من يخلط بين الاثنين يخفق في إدراك حقيقة أن الله لا يمكن له أن يتخلى عن ربوبيته لأن كيانه معرّف بصفاته الإلهية. كما أن الله ليس بحاجة لكي يجرّب حياة البشر من أجل أن يتفهم معاناتهم، فلا أحد يعرف حال البشر أفضل من الخالق لأنه خلق الجنس البشري وقد أحاط بكل شيء علمًا من أدق الأجسام إلى مايدور في خَلَد المرء، ومن أصغر المخلوقات إلى عقل الإنسان الباطن. فالله **يعلم** مشكلات البشر وأحوالهم ومعاناتهم، والله خلق كونًا تتجاوز تعقيداته مثل تلك الأبعاد السطحية للوجود البشري.

ويفتح محامي الدفاع مسلّمة "إن الله قادر على كلّ شيء" الباب بالسؤال التالي: "حسنًا، إذا كان الله قادرًا على كلّ شيء فلماذا لم يجعل عقيدة التثليث سهلة على الفهم؟ — على افتراض أنها عقيدة صحيحة وناجعة". ولو كان الله قادرًا على كلّ شيء لَوَضَع تفسيرًا منطقيًا لهذه العقيدة بحيث لا تستدعي اللجوء إلى "مقولات غير إنجيلية" لتفسيرها، ولكنه [سبحانه] لم يفعل، فلماذا؟ هل ترك الله البشر ليستنبطوا عقيدة

التثليث بأنفسهم، أم إن بوسع المرء الافتراض ودونما حرج بأنه لا يوجد أساس في الواقع الديني لشيء لم ينزله الله؟

إن فكرة أن الله قد أنزل وحيًا دون أن يشرح فيه طبيعته الإلهية تصطدم وفهمنا الفطري لله من كونه الرحمن الرحيم الذي بيّن للبشرية جمعاء طريق الهداية المبين.

ولكن ما رد التثليثيين المعياري؟ لو فهم الناس لآمنوا. وما رد التوحيديين؟ لا أحد يفهم عقيدة التثليث – لا أحد، ولهذا فهي لغز ديني. وإذا ما تحدثت مع رجال الدين التثليثيين لفترات طويلة وأثرت لهم الاعتراضات السابقة (وتلك التي سوف تتلو) فسيعترف لك الراسخ منهم في نهاية المطاف بأن "التثليث لغز". ولكنه سرعان ما يُتبع دفاعه بالقول: "كل ماعليك هو أن تتحلى بالإيمان". ولكنّ التوحيديين يشيرون وعلى نحو نموذجي إلى أن التثليثيين اقترحوا لتوهم أن الناس سوف يؤمنون إذا ما فهموا. إلا أنه عندما تُبذل محاولة مشروعة للفهم عن طريق البحث عن أجوبة لأسئلة مرتبطة بالموضوع، فإن ذلك الزعم يتحول إلى مسألة لغز ديني (أي لا أحد يفهم!). ويبقى الدفاع الأخير وهو المقترح التالي: "إن الطريقة الوحيدة لكي يؤمن المرء هي أن يتحلى بالإيمان" (بمعنى أن الطريقة الوحيدة لكي تؤمن هي أن تؤمن). ولكن إذا كان الإيمان الأعمى هو المنهجية التي يحضّنا الله على اتباعها فلماذا هو يأمرنا بالتدبر بقوله «هلم

نتحاجج يقول الرب...» (إشعياء ١: ١٨)؟[١٠٣]

إذًا، ما معنى مصدر غير إنجيلي؟ يمكن للمرء أن يفترض ودون حرج أن المصدر غير الإنجيلي هو المصدر الذي لم يرد في الإنجيل (أي أنه ليس من عند الله)، وبالتالي فهو من عند البشر (وما عسى ذلك أن يعني سوى المخيلة البشرية؟) ولطالما كان الأمر أسلم لو أنه تم تعديل معتقد الكنيسة كي يتوافق والحجة العقلانية، والأهم من ذلك مع الإنجيل!

ولا شك أن التمسك بالأفكار التثليثية وطّد من أمن وظيفة رجال الدين التثليثيين وإن قام هذا الأمن على أركان عقديّة مثيرة للتساؤل بعد أن أُلبست عباءة موافقة الكنيسة. وعلى نحو مماثل، فلا شك أن الثقة بتعاليم الكنيسة وهنت في أذهان مفكرين من أمثال آريوس — مفكرين ممن تابع في إبراز حقيقة أن عيسى لم يزعم البنوة أو الشراكة الإلهية، بل وكذلك لم يفعل تلاميذه. وعلاوة على ذلك، فإن الأدلة تشير إلى أن بولس لم يزعم مثل ذلك.[١٠٤](ت. م.)

---

[١٠٣] ومشكلة التلقين الأعمى أنه لا يجدي عندما يعرف المرء ما أبعد منه. فالمصاب بوسواس المرض قد يؤمن بأن الغُفل (أقراص لا تحتوي على مواد دوائية توصف أو تُعطى لتعزيز توقع المريض بأنه سيتماثل للشفاء جراء تناولها – المترجم) هو دواء إذا ما قدم له بطريقة مقنعة. وبثقة عمياء من الطبيب فقد يتغلب على أعراض المرض التي تتهيأ للمريض بإقناعه بأن حبوب السكر هي "العلاج الذي أوصى به الطبيب". ومن جهة أخرى إن اعتقد ذلك المريض أن الغُفل ما هو إلا دواء وهمي فإنه لن يكون فاعلاً. ويرى التوحيديون أن "التثليث" هو دواء استرضائي عَقَدي كبير يبتلعه معظم أبناء العالم النصراني. فالمؤمنون يعتنقون ذلك المعتقد ثقة بمرجعية كنيستهم دون أن يدركوا أنهم يغذون بمعتقد وضعي يفتقر إلى السند الإلهي أو الإثبات من الكتاب المقدس (الإنجيل).

[١٠٤] قد تفاجئ هذه العبارة القارئ، فالمسيحيون عمومًا يعتقدون بأن بولس ادعى البنوة الإلهية لعيسى. ولعله

وبعد اعترافها باعتمادها "مقولات غير إنجيلية" لتعريف رؤية الكنيسة حول علاقة المسيح بالرب فإن **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** وضعت الخطوط العريضة لبعض المعتقدات التي تم تركيبها مثل اتحاد المادة في الجوهر consubstantiality، والمولود غير المخلوق begotten and not made إلخ. ثم أتبعت ذلك بالتوكيد الصريح الذي لايمكن أن يُصدق وهو أن أوغسطين Augustine سعى للتوصل إلى العقيدة الأكثر اتساقًا مع الفطرة البشرية (أي "إن أوغسطين بحث في نفسية الإنسان وطريقة إدراكه للمكافئ الطبيعي الذي من شأنه أن يسهّل فهم الولادة الأبدية لل ابن the Son."[١٠٥]

لا يمكن لنا أن نلوم أحدًا حين يقرأ هذه العبارة ويتمتم قائلاً: "لا بد أنهم يمزحون!" وفي نهاية الأمر، أليس هذا المعتقد هو المسؤول عن محاكم التفتيش في العصور الوسطى وفي إسبانيا، والموجات الثماني من الحروب الصليبية، وعدد مما لا يُحصى من حالات الإكراه لأبناء البلاد الأصليين

---

حقًا فعل، ولكن نظرًا إلى أن اليهود لم يرجموه حتى الموت بتهمة الكفر، فهوعلى الأرجح لم يفعل. ويكمن اللبس في التفريق ما بين تعاليم بولس وتعاليم اللاهوتيين أتباع المذهب البولسي، فهما لا يتفقان بالضرورة. فبينما يبدو أن بولس قد تحدث عن المسيح عيسى بوصفه "ابن الله" بالمعنى المجازي، وهو ما كان استخدامًا لغويًا شائعًا في عصره، نجد أنه بعد ذلك بعدة قرون قام واضعو النظرية اللاهوتية البولسية بلي عنق كلماته بتفاسير أكثر حرفية. وهكذا يبدو لنا أنه ليس بولس من ألبس عيسى رداء المفهوم الحرفي للقب "ابن الله"، وإنما أولئك الذين أسسوا عقيدة باسمه. وفي نهاية الأمر فإن تلك نقطة خلاف صغيرة ولا تهمنا كثيرًا، حيث إن التباين بين تعاليم عيسى وتعاليم بولس كان كبيرًا (كما هو موضح في الفصول التالية)، إلى درجة أن المرء لايملك خيار عدم الانحياز إلى أحدهما دون الآخرى.

[١٠٥] *New Catholic Encyclopedia*. Vol 13, p.426.

على اعتناق المسيحية خلال عصر الاستعمار؟ وهي العقيدة ذات المعنى الكبير التي أودت بحياة اثني عشر مليونًا تحت التعذيب لمجرد إنكارهم مبادئ عقيدة التثليث؟ **إثنا عشر مليونًا!** [نعم] وهي العقيدة ذات المعنى الكبير التي إلى يومنا هذا تكره أبناء إفريقيا الأصليين على اعتناق المسيحية عن طريق استدراجهم بطُعم الغذاء والدواء.

وقد يستنتج رجل الشارع العادي أنه إذا كان التعذيب والإكراه ضروريين لإنعاش الذكريات، فإنه يتوجّب على أحد ما أن يعيد تعريف ما يعنيه مصطلح "الفهم الفطري innate understanding".

ولم لا؟ فلقد أعيد تعريف العديد من القيم.

فالبابا غريغوري التاسع Gregory IX أنشأ في العام ١٢٣١ محاكم التفتيش البابوية Papal Inquisition ولكنه لم يستسغ أن يتحمّل خطيئة التعذيب. مضت عشرون سنة قبل مجيء بابا Pope جديد قادر على تحمّل المسؤولية، وكانت المفارقة. فقد أصبح أسقف الكنيسة هو البابا الجديد بعد أن لقّب نفسه بـ البابا إنوسنت الرابع Pope Innocent IV (ومعنى Innocent البريء، ويالها من مفارقة)، حيث قام هذا في العام ١٢٥٢ميلادية بإصدار نشرة بابوية *Ad extirpanda* أعطى بموجبها الإذن بالتعذيب.[١٠٦] وكان ذلك من دواعي سرور بعض رجال الدين الذين لطّخوا أيديهم بالتعذيب وبشكل مباشر وشخصي. ومن أجل إراحة

---

[١٠٦] *Encyclopedia Britannica*. CD-Rom. (under "inquisition")

تلك المشاعر المسيحية السامية، "أجاز البابا التالي الكسندر الرابع Alexander IV في العام ١٢٥٦ لرجال الدين أولئك أن يحلل بعضهم الآخر من تبعات التعذيب تلك، كما خوّلهم منح زملائهم إعفاءات مماثلة. وبفعل التحايل على تلك المسألة القانونية والأخلاقية كان بوسع كلّ رجل من رجال محاكم التفتيش أن يقوم هو بالتعذيب ثم يُحِلّه أحد زملائه من فعلته."[١٠٧]

وهكذا لم يلعب الفهم الفطري دورًا رئيسًا في هذه العملية.

ويمكن للمتعاطفين أن يتخيّلوا إنسانًا جاهلاً غير ذي علم معزولاً عن الحضارة. تخيل هذا المرء يسعى إلى التعرف إلى حقيقة الله عن طريق عيش حياة هادئة من التأمل. ويمكن لنا أن نتصور سكان البلاد القاصية، ونتصور الجماهير الأمية، ونتصور فردًا ما يعيش منعزلاً في جزيرة استوائية نائية — ولنا أن نتخيّل ونتساءل أيضًا كم من هؤلاء يمكن له أن يستفيق من غفلته بعد صحوة روحية لينادي بـ الأب والابن وروح القدس؟

إن احتمال أن يكون الحكم الذي أصدره أوغسطين قد بُني على دراسة استباقية عشوائية مزدوجة ومضبوطة بالشواهد يكاد يكون معدومًا، فلو قُدِّر لملايين المسيحيين التوحيديين الذين اتهموا بالهرطقة وأعدموا بموجب حكم تثليثي جائر أن يُسألوا عن ذنبهم لتوقعنا أن يكون لديهم

---

١٠٧ Burman, Edward. 1984. *The Inquisition. The Hammer of Heresy.* NY: Dorset Press. P.62.

اعتراضات عقلانية. وفي عصرنا هذا ربما يستشهد بعضهم بالآية القرآنية، ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (القرآن الكريم ٢: ٢٥٦).

ولكن عودة إلى مسألة "ابن الله"، فثمّ صعوبة أخرى تواجهنا لدى قراءة المقتطفات التالية:

في إنجيل القديس يوحنا هناك موضعان لا يعني لقب ابن الله فيهما شيئًا سوى المسيح. وهنا يقول نثنائيل: «يا مُعَلِّمُ، أَنْتَ ابْنُ اللهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» (يوحنا ١: ٤٩) معتبرًا أن العبارتين متساويتان.[١٠٨]

ليس من الواضح دومًا المقصود بهذا التعبير [ابن الله] عندما يرد على لسان الأرواح الشريرة demons، فقد يقتصر معناه على إنسان الله [الرّباني].[١٠٩]

يبدو أن عبارة "ابن الله" التى استخدمها قائد المائة centurion عند الصلب اقتصر معناها على رجل عادل.[١١٠]

إن هذه المقتطفات تشير إلى أحد سيناريوهين محتملين: أولهما أن تعبير "ابن الله" يمكن أن يُفهم بأنه إشارة إلى المسيح أو ملك إسرائيل أو رجل رباني أو مجرد رجل صالح، وذلك لأن آيات الأناجيل المتقابلة تستخدم

---

١٠٨ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 13, p.430.

١٠٩ المرجع السابق. ص ٤٢٩. انظر متّى (٨: ٢٨-٢٩) و لوقا (٨: ٢٦-٢٨).

١١٠ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 13, p.429. قارن بين متّى (٢٧: ٥٤) و مرقس (١٥: ٣٩) وبين لوقا (٢٣: ٤٧).

هذه التعبيرات كما لو كانت مترادفة. فعلى سبيل المثال أشارت الأرواح الشريرة إلى عيسى بأنه "قدّوس الله" (the holy one of God) في موضع، وبأنه "ابن الله" (Son of God) في موضع آخر. وأشار قائد المائة الروماني إليه بأنه "ابن الله" في إنجيلي متّى ومرقس، في حين وصفه بأنه "إنسان بار" في إنجيل لوقا. فلعل هذه التعبيرات تحمل المعنى ذاته.

وأما السيناريو الثاني فهو أن الروايات المتقابلة التي نقلت الأحداث ذاتها ولكن بتعبيرات مختلفة قد تدل على خلل ما في الكتاب المقدس. وفي كلتا الحالتين ثمة مشكلة. فإذا كانت المصطلحات المختلفة مترادفة، وكان هناك من لا يستطيع الوثوق بالكتاب المقدس ثقة تامة كي يفهم معنى "ابن الله" في موضع ما، فكيف يمكن لشخص ما أن يفسّر العبارة ذاتها تفسير الواثق في موضع آخر؟ وإذا ما كانت الاختلافات هذه تمثل عدم دقة في الكتاب المقدس بحيث أصاب أحد مؤلفي الأناجيل في روايته بينما أخطأ الآخرون، فأية رواية نعتمد للوصول إلى الخلاص؟

ونورد مثالاً بسيطًا: إن اثنين من الأناجيل المذكورة أعلاه يرويان قصتين متباينتين حول الحدث نفسه. فإن الآيتين ٨: ٢٨-٢٩ من إنجيل متّى تشيران إلى شخصين أصابهما المسُّ في القبور، في حين لا تشير الآيتان ٨: ٢٦-٢٨ من إنجيل لوقا سوى إلى شخص واحد فقط. ولو دافع المرء بالقول إن الكتاب المقدس هو كلام الله الملهم لا كلامه الفعلي — فهل يلهم الله بالخطأ ... مهما كان صغيرًا؟

ويَعْجب بعضهم من سبب استخفاف المسيحيين بالتناقضات الإنجيلية، في حين يعتمد آخرون وجهة نظر أكثر استهجانًا. فالعالم المسيحي يود الاعتقاد بأن سلطات الكنيسة تكرس نفسها من أجل الحقيقة لا الخداع. ولكن كم عدد الذين يلوون عنق الحقيقة لكسب عشر الدخل الإجمالي لرعايا الكنيسة؟ ويحوم قدر كبير من الشك بأنه – ووفق مايقول جورج برناردشو George Bernard Shaw – "الحكومة التي تسرق من بطرس Peter لتدفع لـ بولس Paul بإمكانها دومًا الاعتماد على دعم بولس."[111] وبعبارة أخرى، فإن الكنيسة التي تأخذ من رعاياها العشر لتمويل مرتبات رجال الدين ونفقات معيشتهم يمكنها دومًا الاعتماد على دعم رجال الدين.

والسؤال الذي يتبع هو: "كم من حمَلَة الكتاب المقدس من قادة الكنيسة ممن يلقون المواعظ في المدارس الدينية أيام الآحاد مستعدون لتزييف الحقيقة من أجل أطماع مادية؟" إن من يتخيَل أن لا أحد منهم يفعل ذلك إما أن يكون ساذجًا أو مغفّلاً أو كذّابًا. فقضايا الساعة توثّق لأعداد لا حصر لها من الكهنة والقساوسة ممن لا يزيّفون الحقيقة وحسب بل ويتحرشون بصبية المذبح أيضًا. وقد حذر عيسى من هؤلاء الأدعياء الربانيين في إنجيل متّى (٧: ١٥–١٦): «اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَاب الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ

[111] Shaw, George Bernard. 1944. *Everybody's Political What's What?* Ch.30.

تَعْرِفُونَهُمْ...».[١١٢]

ولكننا سرعان مانجد أنفسنا نرجع مجددًا إلى السؤال الذي لم تتم الإجابة عنه، ألا وهو ما معنى "ابن الله"؟ هل تُترجم الكلمة اليهودية الأصلية "ebed" إلى "عبد" أم "خادم" أم "ابن"؟ ولو كانت الترجمة الدقيقة هي "ابن" فكيف يختلف هذا "الابن" عن غيره من "أبناء الله"، الذين لم يكونوا سوى أفراد صالحين أو – في أفضل الحالات – أنبياء؟ ففي تعليقها على نقد بولتمان R. Bultman التاريخي للعهد الجديد تقول **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة:** "لم يُسمح باستخدام عبارة ابن الله مؤخرًا في علم اللاهوت على أساس أنها —كما في كتابات العهد الجديد — جزء من حلّة أسطورية ألبستها الكنيسة البدائية لبوس الإيمان ... والمشكلة التى تعترض سبيل من يرغب في تكوين فكرة لاهوتية كافية عن

---

[١١٢] وقد أثبتوا أنهم مثمرون حقًا! فقد أوردت صحيفة The Kansas City Star (في عددها الصادر في ٣٠ كانون الثاني/يناير للعام ٢٠٠٠) أنه لا بد من البحث عن السبب في سبب إصابة مئات القساوسة من الروم الكاثوليك بمرض الأيدز وموتهم نتيجة لذلك. ووفقا لمقال في الصفحة الأولى فإن القساوسة يموتون بسبب الأيدز بمعدل أربعة إلى أحد عشر ضعفًا مقارنة بموت سكان الولايات المتحدة العاديين (ممن يموت بالمرض ذاته). وتعطل شهادات الوفاة الخادعة والمزورة التحليل لكن "العديد من القساوسة والخبراء الطبيين يقرون الآن بأن ثلاثمائة قسيس على الأقل قد ماتوا". ووفقًا للمقالة فإن بعضهم يرى أن العدد يقارب الألف. وإذا ما استبعدنا لسعات البعوض كسبب في انتقال المرض لهم، فلا بد للمرء أن يستنتج سريان تيار قوي من النفاق في أوساط رجال الدين الروم الكاثوليك. يضاف إلى ذلك أنه وفقا لما أوردته مجلة التايم *Time Magazine*، في مقال بعنوان "هل يمكن إنقاذ الكنيسة؟" في نيسان/أبريل من العام ٢٠٠٢، فإن حوالي ٥% من رجال الدين الكاثوليك يتحرشون بالأطفال. وبعد، فهذه معادن الرجال الذين اختيروا ليكونوا أئمة للمصلين وأوصياء على الدين ووسطاء للاستغفار من الذنوب.

ابن الله هي تحديد المضمون الذي تعبّر عنه تلك الفكرة."[113]

وفي ظل الانقسام في فهم ذلك التعبير فإننا نتفهم حاجة الكنيسة البدائية المبنية على البقاء لتحديد منظومة معتقد سواء أكان هذ المعتقد صحيحًا أم غير صحيح. وهذا بالضبط ما تم فعله في العام ٤٥١ الميلادي في مجلس خلقيدونية Chalcedon، الذي أُعْلن فيه التعريف العقديّ الذي ساد الشرح اللاهوتي لشخص المسيح وأعماله christology منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا: "مسيح واحد لاغيره، ابن، رب، المولود الوحيد، له طبيعتان، دون لبس، دون تغيير، دون تقسيم، دون انفصام."[114]

وأيما امرئ يؤمن بالأدلة التى يحتويها هذا الفصل يدرك أن الاقتباس أعلاه هو جملة خبرية لكنها ليست بحقيقة. فلو رأى آباء الكنيسة طبيعة عيسى على أنها "خالية من اللبس" فإن الأمر ذاته لا ينطبق على أتباعه. فاللبس والانقسام والانفصال قد حلت بالباحثين عن الحقيقة في المسيحية منذ عهد عيسى.

وكما أشار يوهانس ليهمان Johannes Lehmann في كتابه *The Jesus Report*:

١١٣ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 13, p.431.

١١٤ *Catholic Encyclopedia.* CD-Rom. 1914 edition. (under "Council of Chalcedon")

وهكذا فقد أدى مفهوم "ابن الله" إلى سوء فهم ترتب عليه عواقب لم تدر بخلد أحد. فكلّ شخص لديه معرفة سطحية بالشرق يدرك أن الشرقيين يحبون الحديث المثير للصور الذهنية ... فالكذّاب البسيط هو ابن كذبات، ومن يتفوّق على هذا الكذّاب في الكذب يصبح أبًا للكذب. وعبارة "ابن الله" هي من المستوى ذاته لهذا النمط من الحديث والتفكير.

في الاستخدام اللغوي السامي Semitic linguistic usage لا ينص هذا الوصف على أكثر من ميثاق بين الإنسان والله . فاليهودي لا يمكن له أن يحلم بمجرد التفكير بأن "ابن الله" تشير إلى علاقة جوهرية بين أب وابنه. فابن الله رجل مبارك ، مُجْتبى، يفعل مايريده الله منه. وكلّ محاولة لفهم هذه الصورة فهمًا حرفيًا وبالتالي استنباط ألوهية الابن تتصادم والحقائق.(١١٥)

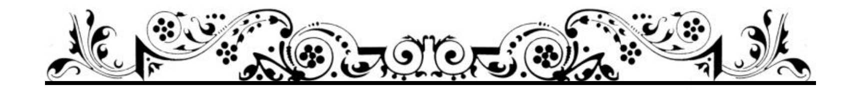
إن فهم التعبير "ابن الله" بأنه مجازي لا حرفي يفتح الباب أمام حلول للعديد من الصعوبات العقدية المسيحية. وفضلاً عن ذلك فإن الإقرار بأن عبارة "ابن الله" لا تبارح في معناها النبي أو الرجل الصالح ليس إلا، من شأنه أن يتحدّى المسيحي بالتعاليم القرآنية المركّزة، إذ يقول الله في محكم كتابه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ

١١٥ Lehmann, Johannes. 1972. The Jesus Report. Translated By Michael Heron. London: Souvenir Press. pp.138-9.

كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (القرآن الكريم ٩: ٣٠).

ولكن لكي لا يُسِيء أحد الفهم، فإن المسألة ليست أن أحد الكتب المنزلة أصاب وأخطأ الكتابان الآخران. الأمر ليس كذلك على الإطلاق. فالكتب الثلاثة العهد القديم والعهد الجديد والقرآن جميعها على صواب. فهذه الكتب الثلاثة جميعها تدعو إلى وحدانية الله وبشرية عيسى، وبالتالي فهي بهذا يدعم بعضها الآخر. وعليه فهذه الكتب السماوية الثلاثة صائبة. والذي جانب الصواب ليست الكتب السماوية المنزلة وإنما المعتقدات التى نشأت عن أصل غير شرعي لدرجة أنها لابد نجمت عن "مقولات غير إنجيلية".

# ٨- الثالوث



**الثلاثة في واحد والواحد في الثلاثة؟ لا ليس لي!**

**إني ذاهب إلى ربي**

**عله يكون براحة بالي أرحم**

**من مسيحكم الفاتر وثالوثكم المبهم.**

**تنقيح توحيدي لقصيدة Lispeth لـ**

**رُديارد كِبْلنْج *Rudyard Kipling***

الثالوث: أساس عقيدة بعضهم ومحط استهزاء بعضهم الآخر، ولكنه يبقى بالنسبة إلى الجميع لغزًا. ولكن ذلك ينبغي ألا يكون مفاجأة. ولنقتبس ما ورد في المراجع المعتمدة فنجد أنه "لا وجود لهذه الكلمة في الإنجيل..."[(١١٦)] و"عقيدة التثليث على ماهي عليه لم تنزّل لا في العهد

[١١٦] Gehman, H. S. (editor). *The New Westminster Dictionary of the Bible*. 1970. The Westminster Press. P.958.

القديم ولا في العهد الجديد..."[117]

إذًا من أين جاءت؟ ربما كان من الأسهل أن نجيب عن نقيض هذا السؤال فنقول بأنها لم تأت من المسيح أو من أحد أتباعه، وذلك "لأن اليهود المعاصرين للمسيح لم يكونوا ليعرفوا إلهًا ثالوثيًا، بل إن مفهومًا كهذا كان من شأنه أن يكون مفهومًا راديكاليًا وصادمًا، بل كان من شأنه أن يُعدّ بدعة تكفيرية."[118]

إن الكلمة اليونانية *trias* التي تعني "ثالوثًا" triad" استخدمها أوّل "من استخدمها في الألوهية ثيوفيلوس أنطاكية Theophilus of Antioch الذي دعا ثالوثًا مقولة **الله** و**كلمته** و**حكمته**،"[119] وهذا على أقل تقدير ثالوث يمكن أن يؤدي معنىً إذا ماقبل المرء أن كلام الله هو تعبير عن حكمته. أما لماذا شعر ثيوفيلوس بالحاجة كي يفصل بين الله وصفاته؟ فهذا موضوع آخر ليس له صلة مباشرة هنا.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن تِرتولْيان Tertullian وهو من كتّاب القرن الثالث بقرطاج وأحد المدافعين الأوائل عن الديانة المسيحية وواضع

---

117 McBrien, R. P. (Editors). 1995. *HarperCollins Encyclopedia of Catholicism*. NY: Harper Collins Publishers.p.1270

118 Restoration Buzzard, Anthony. 2007. *Jesus Was Not a Trinitarian*. .Fellowship. p27.

119 Cross, F. L. and E. A. Livingstone (editors). 1974. *The Oxford Dictionary of the Christian Church*. London: OUP. p. p.1393.

النظرية القائلة بالاشتراك في الألوهية بين الله وعيسى والروح القدس هو أول من اقترح الكلمة اللاتينية trinitas أي "ثالوث" في العام ٢٢٠ بعد الميلاد. وكون تِرتولْيان محاميا يدغدغ مشاعر أولئك الذين لاحظوا أن الكلمات المبهمة والمواربة تصدر في الغالب عن المحامين والسياسيين (ومعظم السياسيين محامون، مع امتلاكهم للمتطلب السياسي الإضافي المتمثل في الافتقار إلى الحد الأدنى من أخلاقيات مهنة القانون). ويعجب المرء مما كان يدور في خلد تِرتولْيان، وإلامَ استند في وضع نظريته؟ ونسأل، ما الذي أدى إلى بزوغ هذه النظرية التي غفلت عنها بطريقة ما عقول كتّاب الإنجيل والحواريين وعيسى نفسه؟ كما يجب على المرء ألا يتوقع أنه سوف يقع على إشارة إنجيلية محددة حول ذلك لأنه "في حين أننا نجد في ثنايا العهد الجديد ذكرًا للإيمان بالله الأب وبعيسى الابن وبروح الله القدس إلا أننا لا نجد ذكرًا لمعتقد إله في أقانيم ثلاثة (أو حالةَ وجودٍ)، ولا معتقد إله ثالوث، أي عقيدة التثليث."[١٢٠] وبصريح العبارة فإن، "المعتقد الرسمي للتثليث كما عرفته المجالس الكنسية الكبرى في القرنين الرابع والخامس ليس له ذكر في العهد الجديد."[١٢١]

وقصارى ما يطمح أن يعثر عليه المرء هو نصوص يبدو أنها تشير إلى التثليث من حيث المفهوم لا الاسم.[١٢٢](م.ت.) ومع ذلك فعلينا أن نتوقع

[١٢٠] Küng, Hans. 2007. *Islam, Past, Present and Future*. One World Publications. p.509.

[١٢١] Achtemeier, Paul J. p. 1099.

[١٢٢] قد يتساءل المرء عن السبب في أن الكنيسة لم تمنح تِرتولْيان Tertullian مرتبة القداسة كما منحتها

خيبة للأمل، وذلك لأن "الصيغة التثليثية وُضعت عبر عملية فكرية غاية في التعقيد ومتناقضة أحيانًا ومضنية في جميع الأحوال."[١٢٣]

وهذا هو بالضبط ما نجده.

وقد انبثق المعتقدان الرسميان للتثليث والبنوة الإلهية من مجمع نيقية ودُمج هذان المعتقدان في العقيدة النيقية Nicene Creed وهي: "إعلان عقيدة متفق عليه على الرغم من بروز **بعض الاختلاجات**، وذلك بسبب استخدام الأساقفة الذي اجتمعوا في مجمع نيقية الأول (٣٢٥ للميلاد) لمصطلحات **لم ترد في الكتاب المقدس** للدفاع عن العقيدة الحقة ضد الآريانية Arianism" (التوكيد لي).[١٢٤] ولكن مهلاً**!** لنعد الشريط ولنتأمل فيما قيل. استمد أساقفة نيقية عقيدة التثليث بناء على مصطلحات غير واردة في الكتاب المقدس وجزموا بأن عقيدتهم هي "الحق" ثم اتهموا آريوس الذي استمد عقائده التوحيدية من الكتاب المقدس بلقب **مهرطق**، في النقاش الديني عادة ما نفضل تجنب تعبيرات مثل "رأس على عقب bass ackwards"، أما في هذه الحالة ...

---

لآخرين من آباء الكنيسة مع أنه كان ذا تأثير كبير في صياغة معتقد التثليث. لماذا لم نسمع ب"القديس تِرتولْيان"؟ والإجابة عن هذا التساؤل هي أن تِرتولْيان نفسه غيَّر وجهات نظره في وقت لاحق من حياته وأصبح من أتباع المونتانية Montanism ومات على معتقدات كانت الكنيسة تعدّها هرطقية. ومع أن التقلب العقدي لا يصلح كمؤهل لنيل مرتبة القداسة فإن الكنيسة عدّت تِرتولْيان مؤهلاً بما فيه الكفاية لطرح النظرية اللاهوتية التي قامت على أساسها الكنيسة فيما بعد.

١٢٣ Küng, Hans. 2007. *Islam, Past, Present and Future*. One World Publications. p.504.

١٢٤ *New Catholic Encyclopedia*. Vol 10, p.437.

آه! أين كنا؟ تذكرت...

تصّوروا آباء الكنيسة عقب بعثة المسيح عيسى بثلاثمائة عام ونيف وهم يتسلمون عقيدة التثليث — بدعة تصوّفية لم يستطيعوا تقبلها على أنها عقيدة فطرية يفهما الطفل نجمت عن تعاليم المسيح. ولكن كيف تعاملت الكنيسة مع الأساقفة المنشقين؟ لقد نفتهم ومعهم آريوس، ولم يجرؤ أحد من الآخرين بعد ذلك على إنكار المعتقد.[١٢٥]

ولم يصادق مجلس القسطنطينية Council of Constantinople الذي عقد في العام ٣٨١ ميلادية على مبدأ التثليث والعقيدة النيقية إلا بعد التغلب على آريوس وآخرين من التوحيديين البارزين.[١٢٦]

ولكن دعونا نتأمل في ذلك: مجلس نيقية في العام ٣٢٥ ثم مجلس القسطنطينية في العام ٣٨١، كم عامًا يفصل بين المجلسين؟ دعونا نحسب: واحد وثمانون ناقص خمسة وعشرون... نأخذ واحدًا من الثمانية لنطرح خمسة من أحد عشر ويبقى أن نطرح اثنين من سبعة في خانة العشرات... الناتج عندي ٥٦ سنة. قد لا تبدو تلك فترة طويلة بمقياس التاريخ البشري، ولكنها فترة طويلة جدًا لكي تقوم فيها كنيسة بتحديد موقفها. طويلة بما يكفي لموت غالبية أعضاء المجلس الأصليين، إن لم يكن جميعهم. وبالمقارنة فإن معظم علماء الكتاب المقدس متفقون على أن بعثة

---

[١٢٥] المرجع السابق، ص 433.

[١٢٦] McManners, John. P.72.

عيسى عليه السلام لم تدم أكثر من ثلاث سنوات.

فلماذا احتاجت الكنيسة إلى ٥٦ عامًا لكي تضع اللمسات الأخيرة على عقيدة التثليث؟

في الواقع لم تحتج الكنيسة لذلك.

فكل مافي الأمر أن الكنيسة لم تحتج **للوقت** كي ينقضي بقدر حاجتها **لأناس** بعينهم أن تنقضي آجالهم، ليس إلا.

وما حدث هو التالي: أصاب الإمبراطورية الرومانية الوهن في عهد الإمبراطور قسطنطين Constantine جراء النزاعات الدينية الداخلية في الوقت الذي كانت تشن فيه حروبًا على جبهات عدة. ونتيجة لذلك فقد سعى قسطنطين إلى تقوية الإمبراطورية الرومانية على الصعيد الداخلي عن طريق توحيد إمبراطوريته تحت مظلة عقيدة مسيحية واحدة. ولهذا الغرض "لم يكتف الإمبراطور بالدعوة لعقد المجلس (مجلس نيقية) وتولي الإشراف على نظامه الداخلي فحسب بل مارس نفوذًا كبيرًا في التأثير على قراراته. ومع أنه لم يكن يُعدّ من رعايا الكنيسة الرسميين بعد — ذلك أنه لم يتلق العماد baptism حتى أصبح على فراش الموت — فإنه تصرف على أرض الواقع كما لو كان رئيسًا للكنيسة، مُحدثًا بذلك سابقة حذا فيها حذوه خلفاؤه من البيزنطيين."[١٢٧] وفي المحصلة، أليس هذا ما تبتغيه جميع

[١٢٧] Ostrogorsky, George. 1969. *History of the Byzantine State.* (Translated from the German by Joan Hussey). New

الكنائس؟ ها نحن أمام سياسي، ليس جاهلاً بأمور العقيدة فحسب بل إنه لم يكن عضوًا كامل العضوية فيها، يتولى "الإشراف على نظامها الداخلي" ويمارس "نفوذًا كبيرًا في التأثير على قراراتها".

ونتيجة لذلك، "لم تعد الخلافات العقدية همّ الكنيسة الخاص بها وحدها، بل أخذت تتأثر بالحاجات السياسية وأصبحت عنصرًا مهمًا ليس في الحياة الكنسية فحسب بل في السياسية أيضًا. وفضلاً عن ذلك، لم تكن المصالح العلمانية والكنسية متطابقة دومًا على كلّ حال، بل كان الصراع يحل محل التعاون بين السلطتين في كثير من الأحيان. وقد كان هذا كله جليًا حتى في عهد قسطنطين الذي شهد تدخل الدولة في نزاعات الكنيسة."[١٢٨] يكاد يكون صعبًا تخيل أن أناسًا أيدوا الفصل بين الكنيسة والدولة (وأيًا كان هؤلاء الناس فهم حتمًا ليسوا أباطرة رومانيين). ولكن المغزى هو أنه على الرغم من جهود قسطنطين الحثيثة، لم يستطع قط حل الخلاف التوحيدي – التثليثي.

بل في واقع الأمر أخفق في توحيد ابنيه حول هذه المسألة.

فبعد موته حكم ابنه قسطنديوس Constantius "النصف الشرقي [من الإمبراطورية الرومانية]، وأعلن موالاته للآريوسية"، في حين أن ابنه الآخر، كونستانس Constans، "سيطر على غرب الإمبراطورية وأقر

Brunswick: Rutgers University Press. pp. 47-8.

[١٢٨] المرجع السابق.

عقيدة مجلس نيقية".[١٢٩] وقد دعا الأخوان إلى انعقاد مجلس سرديقا Council of Sardica في العام ٣٤٣ للتوفيق بين وجهتي النظر هاتين، ولكنهما أخفقا.

ولكون كونستانس الأوسع نفوذًا قام بتنصيب الأساقفة التثليثيين "الأرثوذكسيين orthodox" بسلطة منه متجاهلاً اعتراضات قسطنديوس. إلا أن المنية وافت كونستانس أولاً فقام عندها قسطنديوس بقلب سياسة أخيه، وأعلن الآريوسية الدين الرسمي للإمبراطورية في مجمعي synods سيريوم Sirmium وريميني Rimini الكنسي في العام ٣٥٩ للميلاد.

وأما خليفته الإمبراطور الروماني جوليان Julian (٣٦١-٣٦٣) فقد حاول إعادة إحياء الطوائف الوثنية، التي كانت ما تزال واسعة النفوذ من حيث الوفرة والغنى على حد سواء. ولكنه سرعان ما نُحّي ليحل مكانه الإمبراطور المسيحي جوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤)، الذي ما لبث – بعد فترة حكم أقصر من سابقه – أن أزيح عن العرش ليحل مكانه ابناه فالنتِنيَن Valentinian (٣٦٤-٣٧٥) وفالِنز Valens (٣٦٤-٣٧٨)، وبذلك نعود إلى إمبراطورية منقسمة، فكما كان الحال في عهد ولدي قسطنطين، حكم فالنتِنيَن الامبراطورية الرومانية الغربية وأقر العقيدة النيقية، في حين حكم فالِنز الشرق بصفته آريوسيًا. أما خليفتهما، ثيودوسيوس الأكبر Theodosius (٣٧٥-٣٨٣)، فقد وضع حدًا لذلك كله.

---

[١٢٩] المرجع السابق، ص 49.

أصدر ثيودوسيوس هذا سلسلة مراسيم عملت على ترسيخ العقيدة المسيحية التثليثية باعتبارها الديانة المعتمدة الوحيدة للإمبراطورية الرومانية. وأكد مجلس القسطنطينية عقيدة مجلس نيقية مرسّخًا بذلك المسيحية التثليثية على أنها المسيحية الراشدة orthodox. "وهكذا فقد أصبحت المسيحية إبان حكمه [ثيودوشُس] ديانة الدولة الرسمية، مكتسبة بذلك منزلة الاحتكار، في حين حُرمت الديانات الأخرى من حق الوجود."[١٣٠]

إذًا ما الذي حدث خلال الفترة ما بين مجلس نيقية في العام ٣٢٥ ومجلس القسطنطينية الذي عُقد في العام ٣٨١؟ لاشك أنه قد حدث الكثير، فقد شُرِّعت عقيدة نيقية في عهد قسطنطين، ثم انقسمت الإمبراطورية ما بين المسيحية الآريوسية والمسيحية التثليثية في عهد ولدي قسطنطين، لتستقر بعدها على الآريوسية بمصادقة مجمعين كنسيين في عهد قسطنديوس، ثم عادت إلى الوثنية في عهد جوليان، ومنها مجددًا إلى المسيحية في عهد جوفيان، لتنقسم من جديد بين الآريوسية والتثليث في عهد فالنتِنيَن وفالِنز، لتستقر أخيرًا على مذهب التثليث إبان حكم ثيودوسيوس.

وفيما بعد عُدّت عقيدة مجلس نيقية أنها الرسمية والموثوقة في العام ٣٢٥ وذلك في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١. والباقي للأسف معروف لدى الجميع.

---

[١٣٠] المرجع السابق، ص 53.

لقد أتى اشتقاق الصيغة التثليثية مبطئًا ومتشابكًا، كما كان موضع شك لدرجة أنه "كان يصعب في النصف الثاني من القرن العشرين تقديم بيان جلي وموضوعي ومباشر للوحي وللتطوّر العقدي وللشروحات اللاهوتية للغز التثليث. فالجدال التثليثي سواء أكان لدى الروم الكاثوليك أم غيرهم، يقدم صورة مزعزعة ومبهمة إلى حد ما."[١٣١]

"مزعزعة" بالفعل: وذلك "لأن الصيغة ذاتها **لا** تعكس الوعي المباشر لعصور نشأتها، فقد كانت نتاج ثلاثة قرون من التطور العقدي ... **وهذه العودة المعاصرة للمصادر هي المسؤولة في نهاية الأمر عن هذه الصورة المبهمة وغير المستقرة**" (التوكيد لي).[١٣٢]

وبعبارة أخرى فإن المشكلة من وجهة نظر الكنيسة أن المثقفين من عامة الناس أخذوا يثقون بالنصوص المقدسة أكثر من ثقتهم بالعقول التخيلية والمصادر غير الإنجيلية التي استقت الكنيسة منها عقيدتها. وبوسعنا أن نفهم سبب قلقهم، فبالمحصلة النهائية من السهل أن تقول للناس بم عليهم أن يؤمنوا به (ومقدار ما يتوجب عليهم دفعه للكنيسة) أكثر مما يتوجب عليك التعامل معه من مسائل عويصة ناجمة عن التحليل الموضوعي، مسائل مثل، مثل، مثل... حسنًا، مسائل مثل هذه المسائل.

وعلى كلّ حال، أشعر كما لو أن المقتطف أعلاه لم يكن كافيًا،

---

١٣١ *New Catholic Encyclopedia*. Vol 14, p.295.

١٣٢ المرجع السابق، ص 295.

وتمضي **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** قائلة:

لم تترسخ الصيغة "إله واحد في أقانيم ثلاثة" بقوة، وبالتأكيد لم يتم استيعابها استيعابًا تامًا في الحياة المسيحية وبيان عقيدتها قبل نهاية القرن الرابع للميلاد. إلا أن هذه الصيغة هي بالضبط الصيغة التي استُخدم فيها عنوان "عقيدة التثليث" للمرة الاولى.

وفي أوساط الآباء الرسوليين لم يكن هناك تفكير قط ولو من بعيد يقارب هذه العقلية أو المفهوم.[١٣٣]

حسنًا، فلنرجع إلى الوراء جميعًا ، ونهرش رؤوسنا بحثًا عن فكرة جديدة.

فالكنيسة تعترف بأن التثليث لم يكن معروفًا في عهد الآباء الرسوليين،[١٣٤] وأن تلك العقيدة قد اشتُقت من مصادر غير إنجيلية، ولكنها مع ذلك تصر علينا أن نؤمن بها. لا غرو في أنها استغرقت وقتًا طويلاً لكي تشيع بين الناس.

وبعد أن صادقت مجالس الكنيسة على مبدأ التثليث لم ينتشر فورًا، بل مرّت قرون عدة قبل أن يحظى هذا المفهوم الغريب بالقبول. فقد لاحظت

---

[١٣٣] المرجع السابق، ص 299.

[١٣٤] للاطلاع على تفاصيل عقيدة الآباء في فترة ما قبل مجلس نيقية وتطور مفهوم الثالوث، انظر *The Mysteries of Jesus* للكاتبة رقية واريس مقصود، Sakina Books، Oxford، الصفحات ١٩٤ – ٢٠٠.

**الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** أن الإخلاص للتثليث لم يتحقق قبل القرن الثامن للميلاد، حين بدأت تأخذ معالمها في أديرة آنيان Aniane وطورس Tours.[١٣٥]

وفي غمرة الوعي المتزايد للفروق بين معتقد التثليث وزمن الأصول [للمسيحية]، فقد يُدهش المرء عندما يجد مجموعة ترى أنها من اتباع المسيح عيسى (وهم المسلمون) وذلك حين تقرأ الآية التالية من كتابهم السماوي (أي القرآن الكريم):

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (القرآن الكريم ٤: ١٧١).

ويحذر (القرآن الكريم):

١٣٥ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 14, p.306.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (القرآن الكريم ٥: ٧٧).

وقد يعجب المرء ما الذي في العهد الجديد يجعل هاتين المجموعتين تنقسمان هذا الانقسام الكبير في الفهم. فالتثليثيون والموحّدون والمسلمون كلّ يزعم أنه يتبع تعاليم عيسى. ولكن أيهم على صواب، وأيهم على خطأ؟

فلعدة قرون طُرِح الرأي القائل بأن المسيحيين التثليثيين يتّبعون تعاليم بولس ويفضلونها على تعاليم عيسى. ويصعب إنكار هذه التهمة لأن عيسى دعا إلى شريعة العهد القديم بينما أبطل بولس العمل بها. ودعا عيسى إلى العقيدة اليهودية الراشدة orthodox Jewish creed بينما دعا بولس إلى ألغاز في الإيمان. وتحدث عيسى عن المساءلة والمحاسبة عن الأعمال بينما طرح بولس مفهوم التبرير بالإيمان. ووصف عيسى نفسه بأنه نبي لقومه في حين جعله بولس نبيًا للعالمين.[١٣٦] وبازدرائه لآلاف

[١٣٦] لم يكن عيسى سوى نبي آخر في قائمة الأنبياء الذين بعثوا للإسرائيليين الضالين، كما أكد هو بنفسه بوضوح في قوله، «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ» (متى ١٥: ٢٤). فعندما أرسل عيسى الحواريين كي يهدوا الناس إلى الله أمرهم بالقول: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ» (متّى ١٠: ٥-٦). وخلال بعثته لم يثبت عن عيسى أنه دعا أحدًا من غير اليهود، بل في الواقع ورد أنه وبخ امرأة من الأمميين في بداية حديثهما لسعيها نيل إحسانه مشبهًا إياها بالكلب (متى ١٥: ٢٢-٢٨، و مرقس ٧: ٢٥-٣٠). وقد كان عيسى نفسه يهوديًا وكذلك حواريوه،

السنين من الوحي المنزل على سلسلة طويلة من الأنبياء المكرمين، وخلافا لتعاليم النبي الحبر عيسى نفسه، فإن بولس لم يركز على حياة عيسى وتعاليمه بل ركز على موته. وكما يقول يوهانس ليهمان، "إن الأمر الوحيد الذي يعده بولس مهمًا هو موت عيسى اليهودي الذي قضى على جميع الآمال في العتق على يد مسيح [مخلّص]. فقد جعل من المسيح اليهودي الواهن مسيحًا منتصرًا، ومن المسيح المتوفي مسيحًا حيًا، وجعل من ابن الانسان ابن الله."[١٣٧]

ويعدُّ عدد لا يستهان به من العلماء بولس المفسد الرئيس للمسيحية الرسولية ولتعاليم عيسى، وهم ليسوا وحيدين في ذلك. فقد اعتقد بوجهة النظر هذه العديد من الطوائف المسيحية المبكرة، بما فيها الطائفة المسيحية في القرن الثاني المعروفة باسم التبنيّون Adoptionists. فوفقًا لـ بارت دي. إهرمان "على وجه الخصوص، عدّ التبنيّون بولس، وهو أحد أبرز كُتاّب ما بين أيدينا من العهد الجديد، أنه أكبر المهرطقين وأنه لم يكن رسولاً."[١٣٨]

ولعل المؤيد الأكبر لهذه الحجة هو ما نجده في مخطوطات البحر الميت Dead Sea Scrolls، التي يعتقد كثير من العلماء أنها تدين بولس لتخليه

---

وجميعهم كانت دعوتهم موجهة إلى اليهود. وللمرء أن يتساءل عما يعنيه ذلك لنا في يومنا هذا، حيث إن غالبية الذين اتخذوا عيسى "مخلّصًا شخصيًا" هم من الأمميين وليسوا من «خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ» الذين بعثه الله لهم.

١٣٧ Lehmann, Johannes. Pp. 125-126.

١٣٨ Bart. D. Ehrman. 2004. *A Ahistorical Introduction to the Early Christian Writings: The New Testaent*. OUP. P. 3.

عن شريعة العهد القديم وتمرده على تعاليم عيسى وعن القيادة المسيحية المبكرة. فنهاية ماجاء في وثيقة دمشق Damascus Document على وجه الخصوص توثّق على ما يبدو شتم المجتمع المسيحي المبكر لبولس وخلعه من عضوية الكنيسة.[١٣٩]

ويخبرنا آيزنمان Eisenman بأن الإبيونيين Ebionites، وهم نسل جماعة يعقوب James المسيحية في القدس، كانوا يعدّون بولس "مرتدًا عن الناموس."[١٤٠] وكان مما كتبه عن الإبيونيين مايلي:

> كان هؤلاء بالتأكيد هم من حمل ذكرى يعقوب في وجدان الخاطر، في حين عدّوا بولس أنه "العدو" أو عدو المسيح [المسيح الدجال] ... ومثل هذا الموقف أمر منقطع النظير في النصوص الحاسمة الواردة في رسالة يعقوب من العهد الجديد. فقد بيّنا للتو أن هذه الرسالة في الرد على أحد الخصوم ممن كان يعتقد أن إبراهيم لم يكن مبررًا له إلا بالإيمان فقط، تنص على أن جَعْل ذلك الخصم من نفسه "صديقًا للإنسان" قد حول نفسه إلى "عدو الله". ومصطلح "العدو" هذا قد ورد أيضًا في "مَثل زوّان الحقل" (إنجيل متى ١٣: ٢٥-٤٠)، ولعله المثل الوحيد المعادي لل بولسية في الأناجيل حيث "عدو" يقوم بزرع "الزوان" بين الزرع

---

[١٣٩] Eisenman, Robert & Michael Wise. *The Dead Sea Scrolls Uncovered*. 1993. Penguin Books. pp.163, 184, 212-8.

[١٤٠] المرجع السابق، ص 234.

الجيد. وفي وقت "الحصاد" سيُقتلع الزوان ويُرمى "في النار".[١٤١]

وكتب يوهانس ليهمان قائلاً: "ما دعاه بولس "بالمسيحية" كان مجرد هرطقة لا يمكن لها أن تكون قد بنيت على العقيدة اليهودية أو الأصلية أو على تعاليم الحبر عيسى. بل إنه كما يقول شونفيلد Schonfield، 'أضحت هرطقة بولس هي أساس المسيحية الراشدة في حين اتُّهمت الكنيسة الشرعية بالمهرطقة التي يجب أن يتبرأ منها' الناس."[١٤٢]

ويمضي ليهمان بالقول: "أقدم بولس على فعل أمر لم يفعله الحبر عيسى من قبل بل رفض فعله، فقد وسع من الوعد الرباني بالخلاص ليشمل الأمميين Gentiles، وألغى شريعة موسى، ومنع التوسل المباشر لله بأن أدخل وسيطًا [بين العبد وربه]."[١٤٣]

ويذكّرنا بارت دي. إهرمان، مؤلف كتاب **العهد الجديد: مقدمة تاريخية للكتابات المسيحية المبكرة**، وربما أكثر الأصوات المرجعية المعاصرة، بأنه "لم تحظ وجهة نظر بولس بقبول عالمي، أو لعله يمكننا القول ولا على نطاق واسع"، وبأنه كان يوجد زعماء مسيحيون بارزون، بمن فيهم بطرس، الحواري الأقرب إلى عيسى، ممن "اختلف بشدة معه حول هذا الشأن بل إنه عدّ آراء بولس تحريفًا لرسالة المسيح الحقة."[١٤٤]

---

[١٤١] المرجع السابق، ص 234.

[١٤٢] Lehmann, Johannes.p.128.

[١٤٣] المرجع السابق، ص 134.

[١٤٤] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*. pp. 97-98.

وكتب إهرمان معلقًا على آراء بعض المسيحيين الأوائل في الكتابات الأدبية الكليمنتية المنتحلة pseudo-Clementine: "بطرس وليس بولس هو المرجع الحقيقي لفهم رسالة عيسى. أما بولس فقد أفسد العقيدة الحقة مستندًا إلى رؤيا وجيزة لا بد أنه أساء فهمها. وعليه فإن بولس هو عدو الرسل وليس زعيمهم. فهو خارج على العقيدة الحقة ومهرطق يجب حظره لا رسول يُتَّبع."[١٤٥]

وبعضهم الآخر يرفع بولس إلى مرتبة القديسية، ولكن جُوِل كَرمايكل ليس واحدًا منهم كما هو واضح ممايلي:

نحن عا لم بعيد عن عيسى، فإذا كان عيسى قد جاء « ليكمل فقط» الناموس والأنبياء: وأنه كان يعتقد بأنه «لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ»، وأن وصيتة الكبرى كانت «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»، وأنه "لا طيب إلا الله"... فماذا كان ليظن بفعلة بولس؟

إن فوز بولس كان معناه الطمس التام لعيسى التاريخي، فقد وصلنا مضمخًا في المسيحية مثله كمثل ذبابة علقت في الكهرمان.[١٤٦]

وفي حين أشار العديد من المؤلفين إلى التباين بين تعليمات بولس وعيسى ، فإن خير هؤلاء هو من تفادى التعليقات المتعنتة وركّز ببساطة على كشف الاختلافات. ويعلّق الدكتور ريد Wrede قائلاً:

---

[١٤٥] المرجع السابق، ص 184.

[١٤٦] Carmichael, Joel. p.270.

إن النقطة المركزية في تعاليم بولس هي فعل إلهي، في التاريخ بل هي متجاوزة للتاريخ، أو هي مركّب من مثل هذه الافعال يوزع بين البشرية جمعاء خلاصًا جاهز التصنيع. وأيما امرىء يؤمن بهذه الافعال وهي التجسّد incarnation والموت death وبعث كائن سماوي resurrection of celestial being يُكتب له الخلاص Salvation.

إن هذا هو مايرى فيه بولس أنه مجموع الدين، وهو الهيكل العظمي لبناء تقواه الذي بدونه ينهار كلّ شيء. فهل يمكن لهذا أن يكون استمرارية لإنجيل عيسى أم إعادة قولبة له؟ في وسط هذا كله أين يمكن لنا أن نجد ذلك الإنجيل الذي يقال إن بولس قد فهمه؟

كم يعلم عيسى من ذلك الذي يعدّه بولس جماع الأمر كله ؟ لا شيء أبدًا.[١٤٧]

وهنا يسهم الدكتور جونَس وايس Johannes Weiss بالقول: "من هنا فإن إيمان الكنائس البدائية وبولس بالمسيح كان بدعة إذا ماقورن بتعاليم عيسى، لقد كان ضربًا جديدًا من الديانة."[١٤٨]

---

١٤٧ Wrede, William. 1962. *Paul*. Translated by Edward Lummis. Lexington, Kentucky: American Theological Library Association Committee on Reprinting.p.163.

١٤٨ Weiss, Johannes. 1909. *Paul and Jesus*. (Translated by Rev. H. J.

ويلخص كلّ من بايجنت Baigent وليه Leigh الوضع بإتقان على النحو التالي:

في كلّ ما تبع من تقلبات لا بد من تأكيد أن بولس هو بالنتيجة المهرطق المسيحي الأول وأن تعاليمه التي أصبحت فيما بعد أساس المسيحية هي انحراف صارخ عن الشكل "الأصلي" أو "النقي" التي مجّدتها القيادة ... وقد بيّن آيزنمان أن يعقوب كان حارسا مَتِنًا للتعاليم الأصلية، وأس الصفاء العقدي والالتزام الصارم بالناموس، وأن آخر ما كان يدور في خلده هو تأسيس "ديانة جديدة"، في حين أن بولس فعل نقيض ذلك كله. إلا أنه ومع توالي الأحداث، فإن فروع التيار الرئيس للحركة الجديدة أخذت تلتقي تدريجيًا خلال القرون الثلاثة التالية في مصب بولس وتعاليمه. وهكذا ولد دين جديد على يد بولس، ولابد أن هذا قد أرعب يعقوب وصحبه في قبورهم— دين سرعان ما أخذت تعاليمه بالابتعاد شيئًا فشيئًا عما جاء به مؤسسه المفترض.[١٤٩]

فأيّ اللاهوتين انتصر إذًا، ولماذا، وكيف؟ إنه سؤال من الأفضل تركه إلى تحليلات المؤلفين المذكورين آنفًا. وإذا ما أدركنا أن تعاليم بولس

Chaytor). London & NY: Harper and Brothers.p.130.

[١٤٩] Baigent, Michael and Richard Leigh. 1993. *The Dead Sea Scrolls Deception*. Simon & Schuster. pp.181-187.

وعيسى يناقض بعضها الآخر فإننا سوف نكون مجبرين على الانحياز إلى أحدهما. وقد كتب مايكل هارت Michael Hart مايلي في مؤلفه المدرسي الضخم **المائة: ترتيب لأعظم الشخصيات التي ظهرت على مر التاريخ** The 100: a Ranking of the Most Influential Persons in History: "على الرغم من أن عيسى كان مسؤولاً عن المبادىء السلوكية والأخلاقية الرئيسة في المسيحية (إلى الحد الذي اختلفت فيه هذه المبادئ عن مثيلاتها في اليهودية)، إلا أن القديس بولس كان المطوّر الرئيس للاهوت المسيحي والداعي الأساسي لهذا اللاهوت والمؤلف لجزء كبير من العهد الجديد."[١٥٠]

"جزء كبير من العهد الجديد"؟ فمن بين الأسفار والرسائل الإنجيلية الـ ٢٧ كتب بولس ١٤ — أي أكثر من النصف. ويمثل هذا سلطة أدبية كبيرة لها من القوة ماكان يكفي آنئذ للدفع بنظريته اللاهوتية إلى القمة. وفيما يتعلق بوجهة نظر بولس، "فهو لا يسأل عما أدى إلى وفاة عيسى، بل يرى فقط ما يعني ذلك له شخصيًا، وينادي برجل دعا الناس للعودة إلى الله بأنه المخلّص، ويحول حركة يهودية راشدة إلى ديانة عالمية اصطدمت في نهاية المطاف باليهودية."[١٥١]

---

١٥٠ Hart, Michael H. *The 100, A Ranking of the Most Influential Persons in History*. P.39 of the 1978 edition by Hart Publishing Co.; p.9 of the 1998 edition by Citadel Press.

١٥١ Lehmann, Johannes. P. 137.

وفي الواقع فإن تعاليم بولس قد فسخت المسيحية التثليثية من جذع العقيدة التوحيدية المنزّلة. وفي حين أن التعاليم التوحيدية التي بلّغها كلّ من موسى وعيسى ومحمد [عليهم السلام] يترادف بعضها خلف بعض في استمرارية سلسة، نجد كيف تبرز تعاليم بولس بروزًا يخالف الجميع.

فبادئ ذي بدء دعا عيسى إلى وحدانية الله: «فَأَجَابَهُ يَسُوعُ:"إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: 'اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ". هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى'."» (مرقس ١٢: ٢٩-٣٠). ولم يؤكد عيسى أهمية كلماته بوضعها في قلب هذه الآية التي تتكرر مرتين «هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى (ويقول بعض المترجمين "الوصية الأعظم")» وحسب، بل إن أهمية هذه التعاليم قد تم التركيز عليها بالقدر نفسه في إنجيل متى (٢٢: ٣٧) وإنجيل لوقا (١٠: ٢٧). وإدراكًا منه بأن دعوته هي استمرارية للدعوة اليهودية، فقد بلغ عيسى كلماته كما ورد في سفر التثنية (٦: ٤-٥) (كما هو معترف به في جميع شروحات الكتاب المقدس المعروفة).

وهنا يسهم هانز كونغ بالقول: "بصفته يهوديًا تقيًا، كان عيسى نفسه يدعو إلى التوحيد الخالص. فهو لم يدّع بأنه الله قط، بل على النقيض يقول: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ» (مرقس ١٠: ١٨)... ليس هناك في العهد الجديد ما يشير إلى أن عيسى كان يعدّ نفسه الأقنومة الثانية في شخص الله وأنه شهد خلق العالم. فالله في العهد الجديد ('ho theos', 'the God,' 'God') هو دومًا الله الواحد

والأب – وليس الابن."[152]

ومع ذلك فإن نظرية بولس اللاهوتية قد توصلت بطريقة ما إلى الصيغة التثليثية. ولكن كيف؟ لقد اتخذ عيسى العهد القديم مرجعًا. فماذا كان مرجع لاهوتيو بولس؟

من الأهمية بمكان القول بأنه لايوجد في تعاليم المسيح مايدل على أن عيسى جعل نفسه شريكًا لله. وليس ثمة مكان أفضل من ثنايا العهد الجديد لعيسى كي يزعم شراكته في الألوهية، لو كان ذلك صحيحا. إلا أنه لم يفعل ذلك، وهو لم يقل: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد —— لكن الأمر ليس بتلك الدرجة من البساطة، لذا دعوني أشرح لكم... »

ولنستعرض المسائل ذات الصلة في هذا النقاش، فَنَقُلْ:

١. تبلورت الصيغة التثليثية في القرن الثالث ووضعت قواعدها في القرن الرابع، وكانت بعيدة من الناحيتين الزمنية واللاهوتية عن فترة نزول الوحي.

٢. كانت الصيغة التثليثية مجهولة تمامًا لدى الآباء الرسوليين Apostolic Fathers.

٣. لا يوجد ذكر للثالوث في العهدين القديم أوالجديد، سواء بالاسم

---

١٥٢ Küng, Hans. 2007. *Islam, Past, Present and Future*. One World Publications. p.492.

أو بالمفهوم.

٤. إن "الإنجاز" الذي حققته نظرية بولس اللاهوتية – أي الصيغة التثليثية – كان من تصور رجال اعتمدوا فيها على تكهنات بولس الصوفية وهي تتنافى وبشكل مباشر مع مبدأ التوحيد الحازم كما جاء به العهد القديم ونادت به تعاليم عيسى المسيح.

وعليه نقول، فإذا كانت جميع هذه البراهين تدحض عقيدة الثالوث فما الأدلة التي **تدعمه؟**

إن الإجابة تعتمد على من تطرح عليه السؤال.

فالعوام من المسيحيين مغرمون باقتباس الفاصلة اليوحناوية Johannine Comma (رسالة يوحنا الأولى، الآيات ٥: ٧–٨)، مع أنه ما من عالم إنجيلي يفعل ذلك، وهناك سبب وجيه وراء ذلك. فالآيات تقول: «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ». إلا أن ثمة مشكلة، فقد أُقِرّ منذ أمد بعيد بأن العبارة «الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» مدسوسة (أي إنها إقحامٌ مضلل في النص).

ويعلق **إنجيل المفسّر** *Interpreter's Bible* بما يلي:

هذه الآية في طبعة الملك جيمس مرفوضة (في الطبعة المعتمدة

المنقحة). ولا ترد في نصّ من نصوص المخطوطات اليونانية ولم يستشهد بها أب يوناني، ولا توجد في الطبعات إلا في الطبعة اللاتينية، وحتى هنا فإنها لا ترد في مصدر من مصادر الطبعة اللاتينية. وكما يذكّرنا دُود Dodd (في الرسائل اليوحناوية، ص ١٢٧)، فإن هذه العبارة اقتبست أول ما اقتبست على أنها جزء من رسالة يوحنا الأولى على يد برسيليان Priscillian، المهرطق الإسباني الذي مات في العام ٣٨٥ ميلادية، ثم شقّت طريقها تدريجيًا إلى مخطوطات الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس إلى أن حظيت بالقبول في النص اللاتيني المعتمد.[153]

ويؤكد الدكتور سي. جِ. سكوفيلد C.J.Scofield – يدعمه في ذلك ثمانية آخرون من حملة الدكتوراه في اللاهوت – ما ذكر آنفًا على نحو أكثر وضوحًا في حاشيته حول هذه الآية: "من المتفق عليه عمومًا أن هذه الآية ليس لها أصل في المخطوطات كما أنها مقحمة."[154]

"متفقون عمومًا"؟ وبعبارة الأستاذين كيرت Kurt وباربرا آلند Barbara Aland، فإن "نظرة سريعة إلى بيانات تعليقات نستله – آلند النقدية النصية (وهي بالغة الدقة لأغراض هذا النص) من شأنها أن تجعل

١٥٣ *The Interpretter's Bible*.1957.Vol.12.Nashville: Abingdon Press. pp. 293-294.

١٥٤ Scofield, C.I., DD (editor). 1970. *The New Scofield reference Bible*. NY: OUP. p. 1346.
(حاشية الآية (٥: ٧) من رسالة يوحنا الأولى).

كلّ التعليقات الأخرى لا داعي لها للتدليل على الطابع الثانوي لهذه الإضافة واستحالة كونها ذات صلة بالصيغة الأصلية لنص رسالة يوحنا الأولى".(١٥٥)

ويقول الأستاذ مِتزغر Metzger، الذي يعزو هذا النص أيضًا إلى برسيليان أو تابعه الأسقف إنستانتيوس Instantius، "من المؤكد أن هذه الكلمات مزورة ولا يحق لها أن تكون في ثنايا العهد الجديد..."(١٥٦) ويضيف في كتاب آخر له قائلاً: "إلا أن علماء الإنجيل الروم الكاثوليك المعاصرين يدركون أن تلك الكلمات لا تنتمي إلى النصوص اليونانية للعهد الجديد..."(١٥٧)

كيف غزت الآية ٥: ٧ من رسالة يوحنا الأولى الكتاب المقدس إذًا؟ إن هذا ليس باللغز المحير بالنسبة إلى طلاب اللاهوت. إذ يبدو أن أحد نسّاخ المخطوطات من المراحل المتأخرة دوّنها في حاشية الكتاب المقدس.

---

١٥٥ Aland, Kurt and Barbara Aland. 1995. *The Text of the New Testament: An Introduction to the Critical Editions and to the Theory and Practice of Modern Textual Criticism*. William B. Eerdmans Publishing Co.p.311.

١٥٦ Metzger, Bruce M. 2005. *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. Deutsche Bibelgesellschaft, D-Stuttgart.p.647.

١٥٧ Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. 2005. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. OUP. p.148

وقام أولئك الذين سعوا إلى حشد التأييد لعقيدة التثليث بنقل هذه العبارة من الهامش إلى متن النص ودمجها في نسخة الترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس في وقت ما خلال القرن الخامس.[١٥٨] وبهذه الطريقة اعتمدت هذه الآية، لا لصحتها، بل لكونها مفيدة. وبعبارة إي. غِبون E. Gibbon:

إن النص المعهود الذي يؤكد وحدة الثلاثة الذين يشهدون في السماء مدان بالصمت العالمي للآباء الأرثوذكس، وبالنسخ القديمة، وبالمخطوطات الأصلية ... وقد غزا تأويل مجازي — ربما كان على هيئة حاشية — الأناجيل اللاتينية التي جُددت وصُححت في فترة مظلمة امتدت لعشرة قرون. وبعد اختراع الطباعة انقاد محررو الإنجيل اليوناني لأهوائهم أو للأهواء التي كانت سائدة في عصرهم، وإلى التقوى الزائفة التي تم اعتناقها بالحماس ذاته في كلّ من روما وجنيف التي تضاعف معتنقوها بأعداد لاحصر لها في كلّ بلد وكل لغة في أوروبا الحديثة."[١٥٩]

[١٥٨] من يود الاطلاع على أبلغ ما قيل في فضح الطريقة التي تم بها ذلك والأدلة الداعمة لهذا الاستنتاج يمكنهم الرجوع إلى:

Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. pp.146-149, and to Metzger, Bruce M. *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. pp. 647-649.

[١٥٩] Gibbon Edward, Esq. Vol.4, Chapter 37, pp. 146-7.

ويكشف إهرمان ببراعة في كتاب **الإساءة للمسيح** Misquoting Jesus كيف تسللت هذه الآيات إلى النصوص اليونانية على هيئة تزوير من القرن السادس عشر.[١٦٠]

وهذا كله يفسر سبب عشق العوام دون العلماء للآية ٥: ٧ من رسالة يوحنا الأولى.

ومع أن نسخة الملك جيمس King James ونسخة دواي – ريمز الكاثوليكية Catholic Douay-Rheims قد أبقتا على نص الآية الواردة في رسالة يوحنا الأولى (٥: ٧) فإن علماء اللاهوت قاموا دون مراسيم بحذف هذه الآية من العديد من ترجمات الكتاب المقدس الأكثر حداثة وشهرة بما في ذلك النسخة المعتمدة المنقحة لعام ١٩٥٢ وعام ١٩٧١، والنسخة المعتمدة الجديدة المنقحة للعام ١٩٨٩، والإنجيل المعتمد الأمريكي الجديد New American Standard Bible، والنسخة الدولية الجديدة، وإنجيل البشائر، والإنجيل الإنجليزي الجديد، وإنجيل القدس The Jerusalem Bible، وترجمة داربي الجديدة Darby's New Translation، وغيرها. إلا أن أكثر ما يلفت النظر ليس عدد الترجمات التي حذفت منها هذه الآية بل عدد الترجمات التي أبقتها بالرغم من افتقارها إلى مستند شرعي من المخطوطات. فماذا نستنتج من ذلك — هل هذا الصدق هو من أجل الحقيقة أم من أجل التقاليد العقدية؟ ويبدو

١٦٠ Ehrman, Bart D. 2005. *Misquoting Jesus*. HarperCollins.pp.81-83.

أن طبعة الملك جيمس الجديدة بإحجامها عن تصحيح طبعة العام ١٦١١ خوفًا من فقدان جمهورها تقع ضمن فئة الصدق من أجل التقليد العقدي.

وكذلك مرجع سكوفيلد الجديد للإنجيل أبقى على الآية، وفي هذا مثال ساطع على عدم البراعة في ترجمة الإنجيل. إن مرجع سكوفيلد للإنجيل مخصص لتلبية احتياجات علماء اللاهوت وطلابه، وبالتالي فإنه يعترف بعدم شرعية الآية ٥: ٧ من رسالة يوحنا الأولى عبر الحاشية المقتبسة أعلاه. أما **إنجيل سكوفيلد للدراسة** The Scofield Study Bible فهو مصمم للعامة من المسيحيين ممن لا يتمتع بالقدر نفسه من البراعة في النقد، وبالتالي فهو يبقي على الآية دون أن يلمح إلى افتقارها إلى الشرعية. يبدو أن النزاهة في الترجمة تتغير بتغير جمهور القراء.

إذًا، بم يستشهد العلماء كدليل على الثالوث من الكتاب المقدس؟

بالنزر اليسير. فـ **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** تصرح بالتالي: "لا يوجد في الأناجيل دليل صريح على التثليث سوى في الصيغة المعمودية الواردة في متىّ (الآية ٢٨: ١٩)".[١٦١] وما هي الصيغة المعمودية الواردة في متىّ؟ في هذه الآية يُزعم أن عيسى أمر حوارييه قائلاً: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ». وهذا هي الآية الوحيدة في الإنجيل التي تذكر الأب والابن والروح القدس

---

[١٦١] *New Catholic Encyclopedia.* Vol 14, p.306.

مجتمعين على هذا النحو من الصراحة.[١٦٢] وينبغي ألا نعجب عندما نجد ما يحاكيها في تعاليم بولس وهو «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ» (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣: ١٤).

ومع ذلك فإننا وإن ردَّدنا هذا التبرّك ألف مرة فلسوف تبقى هناك هوة عميقة بين الآية ٢٨: ١٩ من إنجيل متى وجدار معتقد التثليث الصامد — هوة تتطلب وثبة إيمانية غير محمية بشبكة من الأدلة الجامدة. فلا يمكن لأحد أن يقرأ العبارة "أسود ونمور ودببة، ويالنفسي" يمكن له أن يتصور حيوانًا مفترسًا ثالوثيًا، فلماذا إذًا يُطلب منا أن نتصور إلهًا ذا أقانيم ثلاثة عندما نقرأ التبرك المذكور آنفًا؟

إن الآيات (١٦: ١٥-١٦) في إنجيل مرقس تقول بـ "التكليف العظيم" نفسه الذي جاءت به الآية (٢٨: ١٩) من إنجيل متى، ونجد مع ذلك أن صيغة "الأب والابن والروح القدس" تغيب غيابًا جليًا هنا في إنجيل متى. فلماذا؟ إن كلا الإنجيلين يصف وصية عيسى الأخيرة لحوارييه، ولكن في حين أن اللاهوتيين التثليثيين قد دجّنوا إنجيل متى (الآية ٢٨: ١٩) كي يخدم مآربهم (وأكرر هنا القول بأنها الآية **الوحيدة** في الإنجيل التي تذكر الأب والابن والروح القدس مجتمعين صراحة)، إلا أننا لانجد مثل هذا الدليل في إنجيل مرقس (١٦: ١٥-١٦). وهنا نسال: ترى أي مؤلفي

[١٦٢] المرجع السابق.

الأناجيل هؤلاء روى الرواية الصحيحة؟ وأيهم أخطأ فيها؟ وكيف لنا أن نعرف المصيب من المخطئ؟

إن إحدى الطرائق التي تمكننا من معرفة أي النصين هو الصحيح هي التدقيق فيما فعله حواريو عيسى بالفعل. فرسائل بولس تكشف أن التعميد كان يتم في عصور الكنيسة الأولى باسم عيسى (وتتضمن الأمثلة على ذلك أعمال الرسل ٢: ٣٨، و٨: ١٦، و١٠: ٤٨، و١٩: ٥ والرسالة إلى أهل رومية ٦: ٣)، لا "باسم الأب والابن والروح القدس". ولو افترضنا أن الحواريين فعلوا حقًّا ما أمروا به فإن أفعالهم تؤيد ما ورد في إنجيل مرقس (١٦: ١٥-١٦) وتدين ما ورد في إنجيل متى (٢٨: ١٩) وكورنثوس الثاني (١٣: ١٤). ومن جهة أخرى، إن كان الحواريون لم يفعلوا ما أمروا به، فإنه ليس ثمة ما يدعونا للوثوق بشيء مدوّن عنهم من قول أو فعل. وإذا كان **الحواريون** ليسوا أهلاً للثقة فكيف يمكن الوثوق ببولس الذي لم يقابل عيسى البتة؟

ولكن هناك ماهو أشد وأنكى من هذه المناقشة التثليثية الواهية، التي يحجم الكثير من اللاهوتيين عن مناقشتها، والمسألة هي على النحو التالي: على الرغم من أن الكتاب المقدس ينسب "التكليف العظيم" الوارد في (مرقس ١٦: ١٥-١٦، ومتى ٢٨: ١٩) إلى عيسى المسيح، إلا أن أحدًا من العلماء المائتين عالم من المنتدى اليسوعي لم يقل بشيء منهما."[١٦٣]

---

١٦٣ Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus.* Pp٣٦-.

كيف يمكن لنا إذًا أن نعد بعقلانية أن كلتا الآيتين هما دليل على عقيدة التثليث؟

وعندما تبوء التبريرات المذكورة آنفًا بالإخفاق فإن رجال الدين وعامة الناس على حد سواء يلجؤون إلى الاستشهاد بوابل من الآيات الإنجيلية، وكل واحدة منها يمكن تفنيدها باقتضاب كبير. فعلى سبيل المثال نقرأ في إنجيل يوحنا (١٠: ٣٨) أن «الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»، وتشير الآية (١٤: ١١) من إنجيل يوحنا إلى الشيء ذاته تقريبًا. ولكن ما معنى هذا؟ فإذا ما افترضنا أن هذه الآيات تعزز مفهوم الشراكة في الألوهية، فإنه يتوجب علينا أن نأخذ في المعادلة الآية (١٤: ٢٠) من إنجيل يوحنا التي نصها: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ [والإشارة للحواريين] أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ». وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن اللغتين الآرامية والعبرية تتمتعان بمقدرة أوسع بكثير من اللغة الانجليزية من حيث استخدام المجاز، فان النتيجة المنطقية الوحيدة هي أن هذا الاستخدام اللغوي مجازي، وعليه فإن أيًا من الآيات المقتطفة أعلاه لا يمكن لها أن تدافع عن معتقد التثليث. وأما الخيار الوحيد المتبقي فسيكون كفرًا، وهو أن مجمع نيقية أخفق في الاعتراف بحوالي اثني عشر حواريًا أنهم شركاء مع عيسى ومع الله [في الألوهية]. ولامناص من أن الشيء الأكثر منطقية هو الاعتراف بأن التعبيرات الدارجة منذ ألفي عام إلى الآن ما هي إلا تعبيرات منمقة إذا ما أُخذت بحرفيتها فإنها سوف تعد تشويهًا للحقيقة. إن اللغة الإنجليزية

---

٣٧، ١٢٧، ٢٧٠.

القديمة التي يعود تاريخها إلى سبعة قرون مضت لايمكن لأحد أن يفهمها الآن سوى العلماء. فماذا نعرف إذًا عن النصوص اليونانية القديمة التي تعود لألف وستمائة عام والمترجمة عن اللغتين العبرية والآرامية القديمتين، ناهيك عن التعبيرات العامية التي كانت سائدة آنئذ؟

فلننظر إلى دليل آخر مزعوم.

يروي إنجيل يوحنا (١٤: ٩) عن عيسى أنه قال، «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ». ولو افترضنا أن المعنى هنا حرفي، وهو افتراض جريء، فإن علينا أن نصحح هذه بمقارنتها بالآية (٥: ٣٧) من الإنجيل نفسه التي تقول: «لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته». وتعدّ الآية (١: ١٨) من إنجيل يوحنا أكثر توكيدًا: «اَللهُ لَمْ يَرَه أَحَدٌ قَطُّ». وإذا ما تجاهلنا صديقنا مَلِيكا صادق الذي هو «بلا نهاية حياة» في الرسالة إلى العبرانيين (٧: ٣) فيبدو لنا أن بولس يوافقه الرأي في قوله: «[الله] الَّذِي وَحْدَه لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَىَ مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَه أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ...» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ١٦). كما أن الوصف في الآيتين «لا يدنى منه» و«لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه» لا تتناسبان البتة وشخص عيسى الذي كان الناس يرونه ويدنون منه. ويتبين بطلان مقولة إنجيل يوحنا (الآية ١٤: ٩) إذا أعملنا النظر فيها. وبالتقدم خطوة واحدة إلى الأمام ترانا نتراجع ثلاث خطوات عندما نعلم أن عيسى وقف جسديًا أمام ناظر حوارييه قائلاً لهم: «لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته».

وعندما يبوء كلّ شيء بالإخفاق، فإن الآية (١٠: ٣٠) من إنجيل يوحنا تروي عن عيسى قوله: «أنا والآب واحد». فيا لها من مقولة مختصرة ومقتضبة ومباشرة ولكن كم لها من نقاط ضعف مريعة. إن المقابل اليوناني من المخطوطات في هذه الآية لكلمة "واحد" في الإنكليزية هو "*heis*".[١٦٤] كما ترد هذه الكلمة أيضًا في إنجيل يوحنا (١٧: ١١) و(١٧: ٢١-٢٣). وتنص الآية (١٧: ١١) من إنجيل يوحنا على ما يلي: «أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، **لِيَكُونُوا وَاحِدًا** كَمَا نَحْنُ». (التوكيد لي). هل هذه حقيقة أم مجاز؟ ويعزز إنجيل يوحنا (الآية ١٧: ٢١) المجاز بهذه الكلمات «لِيَكُونَ **الْجَمِيعُ وَاحِدًا** [أي جميع المؤمنين] ، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، **لِيَكُونُوا هُمْ أيضًا وَاحِدًا فِينَا** [أي جميع المؤمنين]، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي»(التوكيد لي). وإذا أردنا أن نكون أوفياء للمعادلة الرياضية فإن المجموع الكلي يبلغ أكثر من ثلاثة في واحد، وهنا على المرء إما أن يجمح بخياله أكثر ويفتري على الله أو أن يعيد كتابة قواعد الحساب إن كان هناك رغبة في الإبقاء على التثليث.

وتستحق الآية (١٠: ٣٠) من إنجيل يوحنا التي يُساء تطبيقها على نطاق واسع، دراسة أعمق. فالمسيحية التثليثية تجادل أن عيسى أعلن، «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» والتي بموجبها استعد اليهود لرجمه بسبب كفره إذ اتهمه

---

[١٦٤] *Strong's Exhaustive Concordance of the Bible*.1980. World Bible Publishers.

هؤلاء: «فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا» (يوحنا ١٠: ٣٣). فالمسألة هي أن اليهود فهموا زعم عيسى أنه الله، وبالتالي علينا جميعًا أن نفهم (يوحنا، ١٠: ٣٣) على نحو مشابه. وقد يبدو هذا الرأي معقولا للوهلة الأولى، شريطة إخراج العبارة من سياقها.

ولتحليل النص تحليلاً مناسبًا يمكننا أن نبدأ بالآية السابقة يوحنا (١٠: ٢٩) التي تؤكد طبيعة الله المستقلة والمتميزة عن طبيعة عيسى — فأحدهما هو المعطي والآخر المتلقي. ويتوصل العديد ممن يقرؤون يوحنا (١٠: ٣٠) في وقت لاحق إلى إدراك أن هذه الآية تخبرنا بأن عيسى والله متوافقان، واحد من حيث الفهم، أو واحد من حيث الهدف. ودعونا نلحظ ردة فعل عيسى على اتهام اليهود له بادعاء الألوهية. فهل وقف عيسى بثقة إلهية وأصر على القول: "قد سمعتم ما قلته على نحو سليم — قلتها مرة، وسأعيدها ثانية؟" بل على النقيض من ذلك تمامًا، فقد أخبرهم بأنهم أساؤوا فهمه واستشهد بالمزامير (٨٢: ٦) ليذكّر اليهود بأن العبارتين اللتين ترجمتا إلى «ابن الله» و«أنتم آلهة» هما عبارتان مجازيتان. وبكلمات الكتاب المقدس:

«أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: "أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: 'أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ'؟" (المزامير ٨٢: ٦) إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: 'إِنِّي ابْنُ اللهِ'؟"» (يوحنا ١٠: ٣٤-٣٦).

ونجد هنا أن عيسى شمل نفسه في زمرة أولئك "الذين جاءهم كلام الله (الوحي)"، الذين عُرِّفوا في النص المشار إليه (المزامير، ٨٢: ٦) بأنهم "آلهة" (وليس الله) أو "أبناء الله". ويستخدم نص المزامير (٨٢: ١) استعارة جريئة بتشبيهها القضاة بـ الآلهة، لا بوصفهم صالحين، أو أنبياء، أو أبناء الله، بل بوصفهم **آلهة**. وعلاوة على ذلك فإن المزامير (٨٢: ٦–٧) لا تترك مجالاً للشك في أن عبارة "أبناء الله" تشير إلى بشر فانين: «أَنَا [الله] قُلْتُ: "إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. لكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ"» وأخيرًا، علينا ألا ننسى أن الكلمة اليونانية "*huios*" المترجمة إلى "ابن" في النص أعلاه كانت "شائعة الاستخدام للإشارة إلى القرابة المباشرة أو البعيدة أو المجازية".[١٦٥]

وهكذا فبقرائتنا للآية ١٠: ٣٠ من إنجيل يوحنا ضمن سياقها نجد أن عيسى صنّف نفسه مع القوم الصالحين من البشر مؤكدًا على المعنى المجازي لـ "ابن الله" ونافيًا عن نفسه الألوهية، متصرّفًا كما هو متوقع من كلّ نبي خلق من لحم ودم. وخلاصة الأمر، لو كان عيسى شريكًا في الألوهية أفما كان سيدافع عن منزلته تلك دفاع الإله القدير الواثق بنفسه؟

وبالمثل، فمقابل كلّ آية تستخدم دليلاً على الثالوث، هناك آية أو أكثر تناقضها أو تعرّيها. ولخيبة أمل العالَم المسيحي فإن المواضع من الكتاب المقدس التي تؤكد أن عيسى دعا لعقيدة التثليث هي ليست نادرة

[١٦٥] المرجع السابق.

وحسب بل معدومة. بل في واقع الأمر إن النقيض هو الصحيح، فقد ورد عن عيسى ثلاث مرات تأكيده على الوصية الأولى من الوصايا العشر: «الرب إلهنا رب واحد» (مرقس ١٢: ٢٩، ومتّى ٢٢: ٣٧، ولوقا ١٠: ٢٧). كما أن عيسى لم يشر في شيء من هذه الأمثلة الثلاثة إلى الثالوث من بعيد أو قريب، ونقول: من ذا الذي لديه مرجعية إنجيلية أكثر من عيسى؟

وبالمثل فإن القياسات العقيمة تخر من قواعدها.

وتبدو المقولة التثليثية بأن "الله واحد إلا إنه ثالث ثلاثة مثل مقولة إن للبيضة كيانًا واحدًا ولكنها تتألف من ثلاث طبقات مستقلة ومتباينة"، ذات وقع جميل إلا أنها غير كافية.[١٦٦](م.ت.) ففي يوم من الأيام كان العالم مسطحًا ويقع في مركز الكون. وكان بالإمكان تحويل المعادن الأساسية إلى ذهب، وينبوع الشباب يحمل الوعد بالخلود لمن يستطيع العثور عليه. أو

[١٦٦] ومع ذلك فان قياسات مثل البيضة وطبقات الماء الثلاث تستحق الشرح. ويرفض الكثيرون في الأصل الانحدار بجلال الله لمقارنته بأي شيء من الخلق لا سيما مقارنته بما تلقه دجاجة من قذارة من مذرقها. يضاف إلى ذلك أنه لا يوجد شيء معروف لدى الانسان في حالته الثالوثية ذلك أن الحالة الثالوثية لا تعرّف فقط بأنها ثلاثة عناصر تكوّن كلاً واحدًا بل ثلاثة عناصر من الجوهر ذاته — جميعها واحدة في الجوهر ومتماثلة في الأزلية ومتساوية أيضًا. فقد يكون الماء عند النقطة الثلاثية واحدًا في الجوهر: كله ذو تركيب جزيئي متكافئ. إلا أن الروابط بين الجزيئية مختلفة، والحالات الثلاث لكل من البخار والماء والجليد ليست متماثلة. فليس بوسع أحد أن يصنع شايًا من الجليد أو شراب الفواكه المثلج من البخار. كذلك فإن أجزاء البيضة الثلاثة هي ليست من الجوهر ذاته وليست متماثلة في الأزلية كما أنها غير متساوية. لا يمكن للمرء أن يحضر العجة بقشرة البيضة أو كعكة المرنغ meringue بمحها، ومن يحاول أن يختبر نظرية "التماثل في الأزلية" سيجد أن الفرضية سرعان ما تتعفّن بعد حين.

هكذا اعتقد الناس. إلا أن التفسيرات الجيدة لا تصنع حقيقة. فالمسألة لاتتمثل فيما إن كان ثمة قياس ناجع لمفهوم التثليث بل فيما إن كان ذلك المعتقد صحيحًا أم لا في المقام الأول. وكذلك فيما إن كان عيسى حقًا دعا إليه أم لا؟ والإجابة وفقًا للمعلومات المذكورة آنفًا هي "لا" ثم "لا".

وبالنتيجة فقد نفدت حجج أنصار عقيدة التثليث. ولافتقارهم إلى الأدلة من الكتاب المقدس فقد ذهب بعضهم إلى درجة اقتراح أن عيسى قد دعا إلى التثليث سرًا. حتى هذه المقولة يمكن الإجابة عنها لأن الكتاب المقدس يروي عن عيسى قوله: «أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلاَنِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. **وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ**». (يوحنا ١٨: ٢٠، والتوكيد لي).

وهكذا فإن موسى قد دعا إلى وحدانية الله وكذلك فعل عيسى ولكن سلطات الكنيسة تدعونا إلى الإيمان بما تقوله هي لنا وليس ما نقرؤه في الكتاب المقدس بأم أعيننا. فمن الأجدر بالتصديق، عيسى المسيح أم لاهوتيّو بولس؟ وأين نضع ثقتنا؟ أفي النصوص المقدسة أم في العقيدة؟ وإذا ما وثقنا بالعقيدة فهل علينا أن نثق بعقيدة مبنية على مصادر غير إنجيلية؟

من الجدير بالذكر أن القرآن الكريم لا يؤكد وحدانية الله فحسب بل ويدحض التثليث، ليمد بذلك خيطًا متصلاً من التوحيد بين تعاليم موسى وعيسى وبين القرآن الكريم:

١. ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ﴾ (القرآن الكريم ٤: ١٧١).

٢. ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ ﴾ (القرآن الكريم ٥: ٧٣).

٣. ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (القرآن الكريم ١٨: ١١٠).[١٦٧]

هذا بعض من تعاليم القرآن الكريم، ولكن كم سيكون طريفًا تخيل ما يمكن لعيسى أن يقول بغير ذلك لو استطعنا تجاذب أطراف الحديث. معه يمكننا جميعًا تخيله يجلس محني الظهر، ويهز رأسه المتواضع ببطء وتؤدة يمنة ويسرة متمتمًا بالقول: "قلتُ لهم إن الله واحد. قلتها مرة ومرتين وثلاث مرات. ماذا كانوا يريدون مني أن أفعل؟ أن أنقشها في الصخر؟ لم يجد ذلك نفعًا مع موسى، ما أظنه كان سينفعني أكثر منه."

إنه لمن الأسهل كثيرًا تخيّل عيسى وهو يردد: ﴿لا تقولوا ثلاثة، انتهوا

[١٦٧] ولعله تجدر الإشارة هنا إلى أنه لو كان محمد نبيًا كاذبًا لكانت هذه الآيات غاية في الجرأة. ولو أن الأدلة على التثليث وُجدت في الكتاب المقدس فعلاً لسهل تفنيد مقولة أن القرآن الكريم هو وحي من عند الله. أضف إلى ذلك أن مثل هذا الإنكار القاطع للتثليث كان حتمًا سيبدو أسلوبًا غريبًا للغاية من أساليب محاولة استقطاب المسيحيين إلى رحاب الإسلام. فمن جهة يقرّ القرآن بولادة مريم العذراء ونبوة عيسى إلى الحد الذي يقصي فيه اليهودية. ومن جهة أخرى ينكر القرآن الثالوث لدرجة تغضب فيها المسيحية. ولكن القرآن الكريم يدين الوثنية بكلمات أشد صرامة. ولو كان القرآن الكريم محاولة شخص لحشد أتباع وراءه فمن المؤكد أنه كان يفتقر إلى الجاذبية الدبلوماسية في نظر اليهود والمسيحيين والوثنيين، وهؤلاء هم من كان في جزيرة العرب في عهد محمد.

خيرًا لكم... ﴾ أو ﴿كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ من تخيله وهو يقول، "أجل، قد قلتُ بالفعل إن الله واحد ولكن ما عنيته بالواقع هو ..."

وقد يتساءل بعضهم بعد رؤية وضوح العقيدة التوحيدية الإسلامية إذا ما قيست بالإيديولوجية التثليثية المعقدة والمتعذر تبريرها: "حسنًا، ما الضّير في الإسلام إذًا؟" ويستمر آخرون في اعتراضهم بالقول "لكن عيسى هو الله!" على أساس وجهتي النظر المتعارضتين هاتين تُرسم حدود في الخلافات الدينية، وتنشب الحروب، وتقتل الأنفس، والأهم من ذلك هو ضياع الأرواح.

# ٩- تحقيق في ألوهية عيسى



**خُلق الإنسان كي يَعبُد وكي يطيع، ولكن إن أنت لم تحكمه أو أنت لم تعطه شيئًا كي يعبده، فسوف يكوّن آلهته الخاصة به، ويجد زعيمًا لنفسه في ثنايا عواطفه.**

بنجامن دزرائيلي *Benjamin Disraeli*
من رواية *Coningsby*

يكمن الاختلاف الحاسم بين تعاليم عيسى والصيغة التثليثية في رفع عيسى إلى منزلة الألوهية – وهي منزلة ينكرها عيسى في الأناجيل:

«لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ». (متى ١٩: ١٧، مرقس ١٠: ١٨ ، لوقا ١٨: ١٩)

«لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي» (يوحنا ١٤: ٢٨)

«وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي» (يوحنا ٨: ٢٨)

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا... » (يوحنا ٥: ١٩)

«أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٧: ٢٩)

«وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (لوقا ١٠: ١٦)

"وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي... » (يوحنا ١٦: ٥)

«أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ:تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٧: ١٦)

«لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ» (يوحنا ١٢: ٤٩).[(١٦٨)]

ماذا تقول نظرية بولس اللاهوتية؟ إن عيسى شريك في الألوهية، تجسيدٌ لله؟ من نصدّق إذًا؟ أنصدّق عيسى؟ – إذًا لنستمع إلى ما يمكن أن يقوله أيضًا:

«إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ **إِلهُنَا** رَبٌّ وَاحِدٌ» (مرقس ١٢: ٢٩)

«وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، **وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ** الأَبُ» (مرقس ١٣: ٣٢)

---

[١٦٨] انظر أيضًا متىّ (٢٤: ٣٦)، ولوقا (٢٣: ٤٦)، ويوحنا (٨: ٤٢)، ويوحنا (١٤: ٢٤)، ويوحنا (١٧: ٦–٨)، وغيرها.

«لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ **وَحْده** تَعْبُدُ» (لوقا ٤: ٨)

«طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي... » (يوحنا ٤: ٣٤)

«أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ **مِنْ نَفْسِي** شَيْئًا ... لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٥: ٣٠).

«لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٦: ٣٨)،

«تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٧: ١٦)

«إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى **أَبِي** وَأَبِيكُمْ **وَإِلهِي** وَإِلهِكُمْ» (يوحنا ٢٠: ١٧)

ليس المقصود من وضعي خطًا تحت بعض الكلمات في الآيات أعلاه أن عيسى شدد على بعض النقاط دون غيرها، كما لايمكن القول أيضًا بأنه لم يشدد عليها. إن ما تؤكّده هذه الآيات حقيقة هي أن عيسى لم يدَّع الألوهية قط. ليس هذا فحسب بل كان أول من أنكرها. وبعبارة جُوِل كَرمايكل، "إن فكرة هذا الدين الجديد، الذي نُصّب فيه عيسى إلهًا، كان شيئا لم يلمح إليه [المسيح عيسى] من قريب أو بعيد البتة. وكما قال تشارلز جوغنبرت Charles Guignebert، 'لم تدر تلك الفكرة في خلده على الإطلاق'."[١٦٩]

فإذا كان عيسى لم يدّع الألوهية قط، فماذا كان حاله بالضبط؟ لقد

١٦٩ Carmichael, Joel. P.203.

أجاب عن ذلك السؤال بنفسه بقوله:

«لَيْسَ **نَبِيٌّ** بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ» (مرقس ٦: ٤)

«وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ:«لَيْسَ **نَبِيٌّ** بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ»". (متى ١٣: ٥٧)

«لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ **نَبِيٌّ** خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ!» (لوقا ١٣: ٣٣)

وأولئك الذين عرفوه أقروا ذلك بقولهم، «فهذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ» (متى ٢١: ١١)، و«قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ... » (لوقا ٧: ١٦). وعرف الحواريون عيسى بأنه، «كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الفعل... » (لوقا ٢٤: ١٩)، وانظر أيضًا إنجيل متّى (١٤: ٥، ٢١: ٤٦، ويوحنا ٦: ١٤) فإذا كانت تلك العبارات غير دقيقة فلماذا لم يصححها عيسى ؟ ولماذا لم يحدد ألوهيته، هذا إن كان إلهيًا حقًا؟ وعندما قالت المرأة عند البئر، «يا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!» (يوحنا ٤: ١٩) لماذا لم يشكرها على تقليلها من شأنه ويشرح لها بأن في جوهره ما هو أكثر من مجرد النبوة؟

أم لعله لم يكن لديه ما يشرحه.

إن عيسى المسيح هو مجرد إنسان؟ هل يعقل ذلك؟ وتتساءل نسبة كبيرة ممن يسبرون أغوار معتقداتهم الدينية في العالم "ولِمَ لا؟" ويصف إنجيل أعمال الرسل (٢: ٢٢) عيسى بأنه «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ

تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أيضًا تَعْلَمُونَ». وروي أن عيسى نفسه قد قال: «وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ...» (يوحنا: ٨: ٤٠) والمدهش أن القرآن الكريم يحتوي على وصف شبيه بهذا: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (القرآن الكريم ١٩: ٣٠).

فهل كان عيسى "عبد الله"؟ وفقًا لما يقوله الكتاب المقدس فالإجابة هي "نعم". أو على الأقل، هذا ما نفهمه من إنجيل متى (١٢: ١٨): "هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ...". وعلاوة على ذلك فإن إنجيل أعمال الرسل يتتبع تطور الكنيسة المبكرة للسنوات الثلاثين الأولى بعد بعثة عيسى، ولكنّ حواريي عيسى لم ينادوه بـ "الله" في موضع واحد أو أكثر من إنجيل أعمال الرسل. بل أشاروا إلى عيسى بأنه إنسان وعبدٌ لله.[١٧٠]

بل الواقع إن الآية الوحيدة في العهد الجديد التي تؤيد معتقد التجسّد موجودة في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (٣: ١٦).[١٧١] إلا أن غِبون

---

[١٧٠] أشاروا إليه بأنه إنسان في أعمال الرسل (٢: ٢٢، ٧: ٥٦، ١٣: ٣٨، ١٧: ٣١)، وخادم الله في أعمال الرسل (٣: ١٣، ٣: ٢٦، ٤: ٢٧، ٤: ٣٠).

[١٧١]. وقد حاول بعض اللاهوتيين في الماضي إضفاء الشرعية على التجسّد على أساس يوحنا (١: ١٤) ورسالة بولس إلى أهل كولوسى (٢: ٩). إلا أن هذه الجمل قد فقدت رونقها في ظل النقد النصي الحديث، ولسبب وجيه. فإنجيل يوحنا (١: ١٤) يتحدث عن "الكلمة The word" وهي لا توحي بالألوهية على كل حال من الأحوال وكذلك عن «وَحِيدٍ مِنَ الآبِ» وهي ليست ترجمة دقيقة إطلاقًا. وقد تمت مناقشة هذين الموضوعين وتفنيد مصداقيتهما في فصول سابقة. أما رسالة بولس إلى أهل كولوسى فتحيط بها مشكلات

Gibbon يورد الملاحظة التالية بخصوص هذه الآية (التي تنص على أن "الله ظهر في الجسد"): "يمكن تبرير هذا التعبير القوي باللغة التي استخدمها القديس بولس (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٣: ١٦) إلا أن أناجيلنا الحديثة تخدعنا. فكلمة (الذي) قد بُدّلت كي تصبح (الله) في القسطنطينية في مطلع القرن السادس: والقراءة الصحيحة لهذه العبارة كما هو واضح في النسخ اللاتينية والسريانية ما زالت موجودة في أقوال الآباء اليونانيين واللاتين ومبرراتهم. وقد اكتشف السير إسحاق نيوتن Isaac Newton هذا الاحتيال إضافة إلى زيف مقولة «الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ» في رسالة يوحنا الأولى."[١٧٢]

احتيال؟ يا لها من كلمة ذات وقع قوي! ولكن إذا ما نظرنا في الأبحاث العلمية الحديثة فإننا نجد أن هذه الكلمة جاءت في مكانها، حيث "تم تعديل بعض نصوص العهد الجديد للتأكيد على نحو أكثر دقة على أن عيسى كان نفسه إلهيًا."[١٧٣]

هل عُدّل الكتاب المقدس؟ ولأسباب عقدية؟ نظرًا للظروف، يصعب إيجاد كلمة ملائمة أكثر من "احتيال" تناسب هذه الظروف.

---

تتجاوز الصياغة المستعصية على الفهم، فضلاً عن الاعتقاد السائد الآن من أنها مزورة. لمزيد من التفاصيل، انظر كتاب *Lost Christianities* لـ .Ehrman, Bart D، ص ٢٣٥.

١٧٢ Gibbon Edward, Esq. Vol.5, Chapter 47, p.207.

١٧٣ Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. 2005. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. p.286.

في الفصل المعنون "التغيرات ذات الدوافع العقدية في النص" من كتاب **الإساءة للمسيح** يستطرد الدكتور إهرمان في الحديث عن الفساد الذي طال الآية ٣: ١٦ من رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس التي لم يكتشفها السير إسحق نيوتن وحده بل كذلك العالم جوهان ج. وِتستين Johann J. Wettstein. يقول إهرمان: "لقد بدّل ناسخ من المتأخرين القراءة الأصلية لكلمة "الذي" بلفظة "الله" في الموضع ماقبل «ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ». وبعبارة أخرى، فإن هذا المنقِّح قام بتبديل النص بحيث يؤكد ألوهية المسيح ... إلا أن أقدم المخطوطات التي بين أيدينا وأفضلها تتحدث عن المسيح "الذي" ظهر في الجسد دون أن تصف عيسى جهارًا بأنه الله."[١٧٤]

ويشدد إهرمان على أن هذا الفساد [في العقيدة] بائن في خمسة من المخطوطات اليونانية المبكرة. ومع ذلك فإن النسخة المحرفة وليست المخطوطات الإنجيلية "الأقدم والأفضل" هي التي سادت في كلّ من مخطوطات العصور الوسطى والتراجم الإنجليزية المبكرة.[١٧٥] وبالتالي فقد عانت العقيدة المسيحية منذ العصور الوسطى من التأثير المفسد لكنيسة كرست نفسها للعقيدة أكثر مما كرّست نفسها للواقع.[١٧٦]

---

١٧٤ Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus.* p. 157.

١٧٥ المرجع السابق.

١٧٦ للمزيد من الإيضاح، انظر Metzger, Bruce M. *A Textual Commenatry on the Greek New Testament.* pp.573-4.

ويضيف إهرمان: "ومع مواصلة وِتستين لتحقيقه فقد وجد نصوصًا أخرى تم استخدامها على نحو مثالي لتأكيد معتقد ألوهية المسيح ولكنها في واقع الأمر تمثل مشكلات نصية. ولدى معالجة هذه المشكلات على أساس التحليل النقدي للنصوص فإن الإشارات إلى ألوهية عيسى اختفت في معظم الحالات."[١٧٧]

وفي ظل ما تقدم فإنه ينبغي ألا نعجب كثيرًا من أن مسيحية القرن العشرين قد اتسعت لتضم أولئك المنكرين لألوهية عيسى المزعومة. وإحدى العلامات ذات المغزى الدالة على ذلك الإدراك التقرير التالي الوارد في صحيفة ديلي نيوز اللندنية London *Daily News*: "أكثر من نصف عدد الأساقفة الأنجليكانيين Anglican في إنجلترا يقولون بأنه ليس من الواجب على المسيحيين الاعتقاد بأن عيسى المسيح هو الله وذلك وفقًا لدراسة ميدانية نُشرت اليوم."[١٧٨] ومن الجدير بالذكر أن الذين جرى عليهم الاستفتاء لم يكونوا رجال الدين العاديين بل أساقفة، تاركًا بلا شك العديد من رعايا الكنيسة في حيرة من أمرهم حول من يصدقون إن لم يصدقوا أساقفتهم!

وبعيدًا عن وجهة النظر الرومانسية التي يحملها كلّ الذين نذروا أنفسهم للبحث في الأصول الدينية، فإن الحقيقة المؤلمة هي أن جميع الأنبياء سوى آدم قد ولدوا في مغتسل الحمض الأميني الذي يتدفق من

---

١٧٧ Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus*.p. 113

١٧٨ London *Daily News*

الرحم ليُخرج كلّ جنين – بمن فيهم المسيح عيسى. ولا شك أن أم عيسى أرضعته بالطريقة الطبيعية التي ترضع فيها الأم طفلاً بشريًا، ولكن فيما يمكن أن يبدو أنه ليس من أوامر الله، وذلك لأن العلاقة [بين هذه الأم وطفلها] سوف توحي بأن الله يعتمد على خلقه.

إلا أن هذا أمر غير لائق بحق الله لأن العلاقة (بين الأم والطفل) توحي باعتماد الله على خلقه. ويتوقع المرء أن يكون عيسى قد زحف على أرض متسخة؛ وأنه نما نموًا بشريًا كاملاً حيث كان يأكل الطعام ويشرب (وبالتالي كان يخرج للحمّام ويتغوّط مثل سائر البشر). وقد وصف الكتاب المقدس عيسى وصفًا دقيقًا بأنه يجوع ويظمأ ويغضب ويألم ويتعب ويحزن ويقلق ويشعر بخيبة الأمل كجميع البشر.

الله واسع العلم، ولكن في إنجيل مرقس (٥: ٣٠) لم يعرف عيسى من الذي لامس ثيابه؟ والله هو القدير، ولكن الآية (٦: ٥) من إنجيل مرقس أن عيسى لم يستطع أن يقوم بمعجزات (أو كما تقول بعض الترجمات لم يملك "وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً") في وطنه. أضف إلى ذلك أن عيسى في مرقس (٨: ٢٢-٢٥) لم يفلح في إبراء الأكمه في محاولته الأولى. والله لا يصيبه الوهن، ومع ذلك هبّت الملائكة لدعم عيسى كلما احتاج لما يقوّيه (مرقس ١: ١٣، ولوقا ٢٢: ٤٣).

وعيسى كان ينام والله لا تأخذه سِنة ولا نوم (المزامير ١٢١: ٤)، وعيسى أغواه الشيطان (لوقا ٤: ١-١٣) إلا أن يعقوب (١: ١٣) يقول

للناس «اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ...». كما أن عيسى صلى وشكر (ولكن شكر من؟) وصام (لماذا؟) وأبلغ تعاليم الله، وفي نهاية المطاف عانى من الإذلال والتعذيب على أيدي طغاة ضالين. أكان عيسى رجلاً اضطهده حكام طغاة أم كان إلهًا ظلمه خلقه الذين سيحاسبهم هو بنفسه يوم القيامة؟ ويرى العديد من الناس (وليس فقط المسلمون) أن موقف الإسلام أكثر تبجيلاً لله ونبلاً من حيث النظرة إليه [سبحانه] بأنه الذات الإلهية العُلْوِية المتسامية، كما أن هذا الموقف أكثر واقعية من حيث النظر إلى عيسى بصفته نبيًّا وبشرًا.

والسؤال الذي يستجدي جوابًا هو: "و لماذا **يجب** أن يكون عيسى الله؟ وليس مجرد بشر؟"

إن غالبية المسيحيين يؤكدون أن بني البشر كانوا بحاجة لـ ذبيح كي يفتديهم من خطاياهم، وماكان لقربان بشري عادي أن يفي بالغرض، بل ينبغي أن يكون قربانًا إلهيًا. وهنا قد يعترض الموحدون الملتزمون— سواء أكانوا من اليهود الأرثوذوكس أم من المسيحيين التوحيديين أم من المسلمين—كما سنرى في هذا الحوار النموذجي:

**التوحيدي:** إذًا فأنت تؤمن بأن الله مات؟

**التثليثي:** كلا، معاذ الله! الذي مات هو الناسوت.

**التوحيدي:** في تلك الحالة، لم يكن الأمر يقتضي أن يكون القربان إلهيًا إذا كان الذي مات هو الناسوت.

**التثليثي**: كلا ،كلا، كلا. الناسوت هو الذي مات ، لكن عيسى/الله كان عليه أن يعاني على الصليب كي يكفّر عنّا خطايانا.

**التوحيدي**: ماذا تقصد بـ "كان عليه"؟ لايمكن أن يقال لله "كان عليه" أي شيءٍ.

**التثليثي**: احتاج الله قربانًا، ولا يمكن أن يكون ذاك القربان من البشر. احتاج الله قربانًا كبيرًا لدرجة تكفي للتكفير عن خطايا البشر، ومن هنا فقد ابنه المولود الوحيد.

**التوحيدي**: إذًا لدينا تصور مختلف عن الله. فالله الذي أؤمن به غني عن خلقه، وإلهي يستطيع فعل أي شيء يريده دون الحاجة لإذن على الإطلاق وإلهي لا يقول أبدًا: "أريد فعل هذا، ولكنني عاجز عن ذلك. أحتاج أولاً إلى معين. دعني أرى أين يمكنني أن أجده". وبموجب ذلك السيناريو فالله بحاجة إلى معين يمكن أن يلبي له احتياجاته المختلفة. وبعبارة أخرى، فالله لابد أن يكون له إلهٌ أعلى منه، وهذا غير ممكن بالنسبة للتوحيدي الملتزم لأن الله واحد أحد، عليّ صَمَد خالق كلّ شيء. وللبشر حاجاتهم أما الله فليس له حاجات. ونحن البشر بحاجة إلى هدايته ورحمته ومغفرته أما هو فليس **بحاجة** لشيء في المقابل. وهو يريد أن نعبده ونطيعه ولكنه لا **يحتاج** ذلك منا.

**التثليثي**: ولكن ذلك هو مربط الفرس – فالله يأمرنا بأن نعبده ونحن نمتثل لأمره بالصلاة. ولكن الله طاهر وقدّوس والبشر آثمون، فلا يمكننا أن

نتوجه بالصلاة لله مباشرة بسبب دنس ذنوبنا. وعليه فإننا نحتاج إلى شفيع ندعو الله من خلاله.

**التوحيدي:** سؤال – هل اقترف عيسى إثمًا؟

**التثليثي:** كلا، فقد كان معصومًا.

**التوحيدي:** كم كان طاهرًا؟

**التثليثي:** عيسى؟ كانت طهارته مائة بالمائة. كان ( إلها/ ابن إله) وهكذا كان مقدسًا مائة بالمائة.

**التوحيدي:** إذًا في تلك الحالة ووفقًا للمعيار الذي وضعته فنحن لا نستطيع أن نقترب من عيسى أكثر مما نقترب من الله. إن فرضيتك تقضي بأن بني البشر لا يمكنهم أن يتوجهوا بالصلاة إلى الله مباشرة بسبب عدم التوافق بين الإنسان الآثم وطهارة أي شيء مقدس مائة بالمائة. فإذا كان عيسى مقدسًا مائة بالمائة فإنه لا يمكننا التوجه إليه مباشرة تمامًا كما هو الحال بالنسبة إلى التوجه لله. ومن جانب أخر، إذا لم يكن عيسى مقدسًا مائة بالمائة فقد كان إذًا مدنسًا بالخطايا وليس بوسعه التوسل إلى الله مباشرة فضلاً عن أن يكون إلهًا أو ابن الله أو شريكًا لله.

ولإجراء قياس عادل يمكن أن نتمثّل أننا ذاهبون لمقابلة رجلٍ في منتهى الاستقامة ـــــ أكثر الأحياء ورعًا، من تشع القداسة منه وينفذ التقى عبر مساماته. إذًا ننطلق لرؤيته ولكن نواجَه بالقول بأن "القديس" لن يوافق

على المقابلة، بل إنه لا يطيق أن يكون في ذات الغرفة مع بشر دنستهم الذنوب. يمكننا أن نتحدث مع موظف استقباله، ولكن هيهات مع القديس نفسه. فهذا ليس ممكنًا! ولكن لماذا؟ لأننا مخلوقات لانرتقي لمرتبته. فكيف يبدو لنا هذا القديس؟ هل يبدو لنا تقيًا أم مجنونًا؟

إن المنطق العام يقضي بأن الأتقياء ودودون — وأنّه كلما ازداد المرء قداسةً ازداد ودًا. فلماذا إذًا نحتاج إلى شفيع يتوسط بيننا وبين الله؟

ويصل الإحباط عادةً مستوى حرجًا بالنسبة لكلّ شخص يحاول المجادلة في مثل هذه المسائل، وذلك لأن التبريرات المشحونة بالعواطف قد تحل محل المناقشة العقلانية، فعلى سبيل المثال عندما تخفق الأدلّة الإنجيلية فإن الذين يجادلون بناء على أساس معتقد غير إنجيلي يُرغمون على إغلاق الكتاب الذي يزعمون أنهم يستهدون بهديه (أي الكتاب المقدس) وينتقلون بمناقشتهم بناء على ماهو تصوّفي. فمن ذا الذي بوسعه أن يجادل في أسئلة ذات نبرة استعلائية مثل، "هل سبق وأن شعرت يومًا بقدرة عيسى في حياتك؟"

ولا أدري هل كان المرء (بمن في ذلك السائل نفسه) يعي هذا السؤال أم لا؟ فتلك مسالة منفصلة. ويمكن للموحدين المتشددين أن يسرعوا في الإجابة التوكيدية، لكن مع إدخال تعديل مفاده أن الحقيقة التي دعا إليها عيسى أعظم من الكفر الذي تنامى فيما بعد وهيمن على المسيحية. كما قد يتساءل هذا الموحّد المتشدد، سواء أكان يهوديًا أرثوذكسيًّا أم مسيحيًا

توحيديًا أم مسلمًا، عن حقيقة قوة زيف الشيطان. ولنا أن نتوقع أن تكون هذه الحقيقة ماكرة ومُقنِعة، إذ كيف يمكن للشيطان أن يضل الأنفس ما لم يلبس عباءة الصلاح والتقى؟

إذًا كيف ندرك الفرق بين الحق الرباني والخداع الشيطاني؟ فإذا اخترنا دينًا يقوم على العواطف لا على التفكير العقلاني فكيف لنا أن نطمئن بأننا على الصراط المستقيم؟ فملكة الحكم على الأمور التي وهبنا الله إياها تقوم على العقل المعرفي، والاعتقاد بغير ذلك يعني افتراض أنّ الله وهب قانونًا غير عقلاني لمخلوق عقلاني. فالله يرشد البشر في إنجيل إشعياء (١: ١٨) بقوله: "هلمَّ نتحاجج...". ولا يأمرنا الله في كلّ موضع البته أن "تحسسوا طريقكم في هذه الحياة". فالباب الذي يعبرالشيطان من خلاله يتألف في جملته من ثغرات التصدع في الضعف البشري ومن العواطف الدنيا. فلا يمكن لأحد أن يجلس أمام كوب شاي حار عند مغيب الشمس في الشفق زاهي الألوان ليعدد مزايا الزنا والسرقة والجشع ومساوئها. فلا يمكن لأحد يقوده تعليله المنطقي أن يرتكب المعاصي – فذلك لا يمكن أن يحدث. إن مايوصل بني البشر لارتكاب المعاصي هو انصياعهم لغرائزهم الشهوانية بدلاً من اتباعهم المنطق العقلانيِّ. فمعاصي الجسد هي من الخطورة بما يكفي من المنظورين الدنيوي والأخروي، فما بالك بخطورة الأخطاء الدينية القائمة على الافتتان العاطفي عبر طروحات الكلّية الروحانية؟

في الماضي كانت مثل هذه المزاعم بشأن الكلّية الروحانية مقتصرة إلى

حد بعيد على نطاق الأَدْريّون Gnostics [من يؤمنون بأن المعرفة وليس الإيمان هو سبيل الخلاص] الذين أُحرقوا علنًا بصفتهم هراطقة إلى زمن الوقت (أو هكذا يبدو) الذي وجد فيه المعتقد التثليثي نفسه عاريًا وعاجزًا عن الوقوف في خضمّ الجدل اللاهوتي. وعلى الرغم من أن الاعتماد على "الروح القدس" و"النور الهادي" كدفاعات تصوفية دينية كانت تعد في الماضي هرطقة معرفيّة، فإنها سرعان ما أضحت العلامة التجارية للمسيحية الأرثوذكسية. وقد قدّم ذلك خدمة جليلة لهم. ويمثّل الزعم القائل بأن المرء يفتقر إلى "الروح القدس" ما لم يؤمن بعقيدة معينة مصد الرياح الأخير للنقاش الديني محّولا الضغط الشديد للجدال العقلاني بعيدًا عن أسماع أولئك الذين يفضلون أن يتلاشى الدليل بدلاً من أن يواجهوا بمساوئ هذا الدليل. ويواجه الزعم القائل بأنه لا يمكن للمرء أن يفهم عيسى ما لم يؤمن بـ "الروح القدس" مقاومة من أولئك الذين يسعون لتفادي مثل تلك الإيديولوجية المعرفية، إيديولوجية تتضمن القول بوجود طبيعة اعتباطية لله الذي يهب بعضهم فهمًا تصوفيًا ويقبض ذلك عن بعضهم الآخر.

وقد يحاول بعض الموحدين المتشددين إعادة توجيه النقاش إلى المربع الأول. فعلى سبيل المثال تؤمن العديد من المجموعات الدينية (بمن فيهم المسلمون) بعيسى لكن بصفته نبيًا من أنبياء الله، وهم يصدّقون بما دعا إليه مرارًا وتكرارًا وعلى الملأ من أنه لم يكن إلا نبيًا وبشرًا، وعلى النقيض من ذلك، فالعديد من الناس لا يصدّقون ما دعا إليه لاهوتيو بولس، ويفضّلون الاعتماد على الحقيقة الساطعة التي جاء بها الأنبياء بدلاً من

التناقضات المضطربة التي ابتدعها من جاء بعدهم. ومهما بدا بولس مخلصًا فإنه لم يكن حواريًا ولم يقابل عيسى يومًا بل إن مافعله بولس في الواقع هو أن اضطهد أتباع المسيح وسجنهم وقتلهم (أعمال الرسل ٢٢: ١٩، و٢٦: ٩-١١) ووافق على رجم ستيفن Stephen (أعمال الرسل ٧: ٥٨-٦٠، و٢٢: ٢٠) وسطا على الكنيسة (أعمال الرسل ٨: ٣).

ويقر العديد بأن بولس قد يكون رأى رؤيا أو حلمًا مضلِّلاً لكنهم يؤكدون أن المهندس الذي كان وراء ستارة الأوهام على طريق القرميد الصفراء تلك والمؤدية إلى دمشق ماكان له أن يكون إلهيًا فيما لو تناقض زعم الإلهام الذي جاء به مع الوحي المنزل. وتنص العقيدة الاسلامية وعقيدة المسيحيين التوحيدين على أن الله منزّه عن تقلب الآراء وعدم الاتساق. وعلينا أن نتذكر أن عيسى قد حذر حوارييه قائلاً لهم: «انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ» (متى ٢٤: ٤-٥. وانظر أيضًا لوقا ٢١: ٨). وعلى الرغم من هذا التحذير فقد بنى بولس إلهامه على صوت قدم إليه من السماء قائلاً: «أنا عيسى». (أعمال الرسل ٩: ٥، ٢٢: ٨، ٢٦: ١٥).

ووجهة النظر المختصرة تقول بأن عيسى حذر حوارييه من الانسياق وراء خداع أولئك الذين يزعمون أنهم هو، إلا أن بولس استمد إلهامه من صوت زعم ... ابقوا معي هاهنا ... لأكون المسيح.

ويرى الذين ينكرون زعم بولس بالإلهام الرباني عقب رؤياه المزعومة أنه واصل تدميره للكنيسة لكن هذه المرة من الداخل. قد يسمي بعضهم ذلك مكرًا. إلا أن آخرين على ما يبدو يعدّون أفعاله كافية لنيل مرتبة القداسة، وليست كلّ قداسة، بل قداسة من المرتبة الأولى.

إن كلّ تبادل لمثل تلك الآراء من شأنه أن ينتهي على حين غرّة، وذلك لأن التنافر بين العاطفية الجياشة والعقلانية الهادئة لا بدّ له أن يُحبط كلا الفريقين، حيث نرى أن أحد الفريقين يتأمل في مسألة خيالية مفادها "ما عسى المسيح أن يفعله؟" في حين يركز الفريق الثاني على مسألة موثّقة وهي "ماذا فعل المسيح حقًا؟" إن الغالبية العظمى من المسيحيين يزعمون أنهم يتبعون ماجاء به عيسى في حين تراهم في واقع الأمر لا يتبعون إلا ماجاء به الآخرون عنه. ويزعم المسيحيون التوحيديون والمسلمون أنهم يتبعون عيسى، وفي واقع الأمر هم يفعلون كذلك. وينبغي على المسيحيين الذين يزعمون بأنهم يستمدون تعاليمهم من عيسى أن يشعروا بالخزي عندما يجدون أن تعاليمه تتمثل في سلوك المجتمع الإسلامي على نحو أفضل مما هو قائم عليه في لدى المسيحيين أنفسهم.[١٧٩](م.ت.) وتتضمن الأمثلة العملية ما يلي:

---

[١٧٩] قد يكون هذا المثال ناجحًا فقط عندما نعقد مقارنة بين المسلمين والمسيحيين الممارسين لدينهم. وللأسف، فإن غالبية من يدعون أنفسهم بالمسلمين في الغرب تراهم إما أنهم غير متمسكين بدينهم أو أنهم قدوة سيئة للأخلاق الإسلامية، ومن هنا و للإنصاف فلا بد للمرء من البحث عن نماذج أفضل من القدوات بين المسلمين لكي تصح المقارنة.

## المظهر

١. من المعروف عمومًا أن عيسى كان ملتحيًا. فأين تُطبق هذه الممارسة على نحو أفضل بين المسلمين أم بين المسيحيين؟

٢. ومن المعلوم أيضًا أن عيسى كان محتشمًا في ملبسه. فلا أحد يتصور عيسى مرتديًا سروالاً قصيرًا وقميصًا قصير الأكمام T-Shirt. وإذا ما أغمضنا أعيننا لنكوّن صورة ذهنية فإننا سوف نتخيل عيسى مرتديًا رداء فضفاضًا ينسدل من معصميه حتى كاحليه. ونسأل: عندما ألقى عيسى خطبة الجبل هل كان صاحب كرش؟ لا نريد الظن بذلك ولكن في واقع الأمر لا أحد يعرف، وربما يعود السبب لثيابه الفضفاضة. ولطالما نجد بين المسلمين الملتزمين من يحاكي المسيح في احتشام الملبس؟ ولعلنا نجد في الثوب العربي التقليدي والزي الهندي-الباكستاني [القميص والسروال] أفضل الأمثلة، في حين تمثل الثياب الفاضحة المغرية المنتشرة بين الثقافات الغربية أسوأ الأمثلة.

٣. كانت أم المسيح ترتدي غطاء للرأس، وحافظت النساء المسيحيات في الأرض المقدسة على هذه الممارسة حتى منتصف القرن العشرين. وكلّ صورة لاحتفال أو تجمع كان يقيمه اليهود الأورثوكس أو المسيحيون الفلسطينيون في الفترة ما قبل العام ١٩٥٠ كان يظهر حشودًا من النساء وقد غطين رؤوسهن. ولكن

نسأل الآن: أي التقيّات من النساء يتحجبْن اليوم — المسيحيات الملتزمات أم المسلمات الملتزمات؟

## الأخلاق

١. كان عيسى يركّز على الدار الآخرة وكان همَّه أن يجاهد للنجاة من النار، فكم من المسيحيين "الصالحين" تنطبق عليهم مقولة "عليك بيوم الأحد وحسب"؟ وفي المقابل نسأل "كم من المسلمين من يحافظون على الصلوات الخمس في كلّ يوم وعلى مدار العام"؟

٢. كان عيسى متواضعًا ودمثًا في حديثه ولم يكن محبًا للاستعراض، وعندما نفكر في خطبه لا يتبادر إلى أذهاننا البتة التمثيل المسرحي، فقد كان رجلاً بسيطًا معروفًا بالأخلاق الكريمة والصدق. فكم هو عدد الوعَّاظ والمبشرين ممن يحذون حذوه اليوم؟

٣. وقد دعا عيسى حوارييه لأن يحيّوا بتحية «السلام» (لوقا ١٠: ٥)، ثم شرّع القدوة الحسنة في ذلك بأن نحيي بتحية Peace be with you «السلام عليكم» (لوقا ٢٤: ٣٦، ويوحنا ٢٠: ١٩، ويوحنا ٢٠: ٢١، ويوحنا ٢٠: ٢٦). فمن الذي ما زال يحافظ على هذه التحية حتى يومنا هذا، المسيحيون أم المسلمون؟ إنها تحية المسلمين، ومن الطريف أننا نجد هذه التحية في الديانة اليهودية كذلك (في سفر التكوين ٤٣: ٢٣، والعدد ٦: ٢٦،

والقضاة ٦: ٢٣، وصموئيل الأول ١: ١٧، وصموئيل الأول ٢٥: ٦).

## الممارسات الدينية

١. لقد خُتِن عيسى (لوقا ٢: ٢١). أما بولس فقال إن الختان ليس ضروريًا (الرسالة إلى أهل رومية ٤: ١١، والرسالة إلى أهل غلاطية ٥: ٢). ويؤمن المسلمون بضرورة الختان. فأي الجماعات الدينية تتبع عيسى وأيها تتبع بولس؟

٢. عيسى لم يأكل لحم الخنزير امتثالاً لشريعة العهد القديم (اللاويين ١١: ٧، والتثنية ١٤: ٨)، والمسلمون أيضًا يؤمنون بأن لحم الخنزير محرّم. أما المسيحيون... حسنًا، أظن الفكرة وصلت.

٣. لم يتعامل عيسى بالربا امتثالاً للتحريم الوارد في العهد القديم (الخروج ٢٢: ٢٥). فالرّبا محرم في العهد القديم وفي القرآن الكريم كما حُرِّم في ديانة عيسى. إلا أن اقتصاد غالبية الدول المسيحية يقوم على الربا.

٤. لم يزنِ عيسى وتعفف عن إقامة علاقات غير شرعية مع النساء. فكم من المسيحيين يقتدون به في هذا المجال؟ ملحوظة: المسألة تتعدى الزنا لتشمل كلّ اتصال جسدي بالجنس الآخر، وباستثناء

القيام بالطقوس الدينية ومساعدة المحتاجين فإنه لم يثبت أن عيسى **لامس** امرأة غير أمه. ومازال اليهود الأرثودوكس الملتزمون يحافظون على هذا إلى اليوم اقتداء بناموس العهد القديم، وعلى غرار ذلك فإن المسلمين **الملتزمين** لا يصافحون النساء، فهل باستطاعة رعايا الكنائس المسيحية ذوي شعارات "احتضن جارتك" و"قبّل العروس" أن يزعموا الشيء ذاته؟

## شعائر العبادة

١. تطهر عيسى بالغسل [الوضوء] قبل الصلاة كما كانت عادة من سبقه من الأنبياء الأتقياء (انظر الخروج ٤٠: ٣١-٣٢ في إشارة إلى موسى وهارون)، وكما يفعل المسلمون اليوم.

٢. صلى عيسى ساجدًا (متّى ٢٦: ٣٩) كما فعل الأنبياء الآخرون (انظر نحميا ٨: ٦ بشأن عزرا والناس، ويشوع ٥: ١٤ بشأن يشوع، والتكوين ١٧: ٣، و٢٤: ٥٢ بشأن إبراهيم، والخروج ٣٤: ٨، والعدد ٢٠: ٦ بشأن موسى وهارون). فمن يصلي على هذا النحو اليوم، المسلمون أم المسيحيون؟

٣. صام عيسى أكثر من شهر دون انقطاع في كلّ مرة (متّى ٤: ٢، ولوقا ٤: ٢) كما فعل الأتقياء من قبله (الخروج ٣٤: ٢٨، والملوك الأول ١٩: ٨). وعليه فمن ذا الذي يقتدي بعيسى سوى

أولئك الذين يصومون شهر رمضان كلّ عام؟

٤. حج عيسى لغرض العبادة تمامًا كما يصبو جميع اليهود الأرثوذكس لفعل ذلك. وفي أيام عيسى كان الناس يحجون إلى القدس (الأعمال ٨: ٢٦-٢٨). المسلمون – لمن استطاع سبيلاً – يؤدون الحج إلى مكة كما أمرهم الله في قرآنه الكريم. وإذا ما استصعب المسيحيون تقبّل تغيير وجهة الحج من القدس إلى مكة، فإن المسلمين يستشهدون بـ متّى (٢١: ٤٢-٤٣). ففي متى (٢١: ٤٢) يُذكر عيسى أتباعه بما ورد في سفر المزامير (١١٨: ٢٢-٢٣) على النحو التالي: «الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا!».

ثم تسجل الآية ٢١: ٤٣ من إنجيل متى نبوءة عيسى التالية: «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَه ».

يشير الاقتباس الأول إلى "المرفوضين"، الذين يعلم اليهود والنصارى على حد سواء منذ ألفي عام أنهم نسل إسماعيل Ishmaelites والذين يتحدَّر منهم محمد وغالبية العرب المسلمين. ويتنبأ عيسى بأن ملكوت الله سيُنْزَع من اليهود ويمنح لأمة أجدر منهم، ويؤكد المسلمون أنه ما من أناس أجدر من أولئك الذين يؤمنون بتعاليم

الأنبياء جميعًا ويقتدون بهم بمن فيهم عيسى ومحمد.

أضف إلى ذلك أن المسلمين يشيرون إلى أن مكة لم تُغفل دون ذكر في الكتاب المقدّس، فوفق إحدى اللهجات العربية تُنطق لفظة "مكة"" بـ "بكة" وهكذا فإن "مكة" ترد في القرآن الكريم باسمها في سورة الفتح (القرآن الكريم٤٨: ٢٤) و"بكة" في آية أخرى نصُّها: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ . (القرآن الكريم ٣: ٩٦) . ويقدم المزامير (٨٤: ٥-٦) الرابط المدهش بين العهد القديم والقرآن فيما نصه: «طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ. عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا...». وينبوع بئر زمزم المقدس في بكة/ مكة غني عن التعريف. وكما يلاحظ في تعليق المحرر في أحد أعمال إدوارد غيبّون: "لا يمكن أن تكون مكة مكورابا بطليموس Macoraba of Ptolemy، فالموقعان لا يتوافقان، وحتى عهد محمد كانت [مكة] تحمل اسم "بكّة" أو "البيت" نسبة إلى بيت العبادة الشهير فيها، وتدعى كذلك في بعض الآيات القرآنية."[١٨٠]

[١٨٠] Gibbon Edward, Esq. Vol.5, Chapter 50, p.442

# أمور العقيدة

١. دعا عيسى إلى وحدانية الله (مرقس ١٢: ٢٩-٣٠، ومتى ٢٢: ٣٧، ولوقا ١٠: ٢٧) تمامًا كما تنص الوصية الأولى (الخروج ٢٠: ٣).

٢. وصف عيسى نفسه بأنه بشر ونبي (انظر فيما سبق)، ولم يزعم الألوهية أو البنوة الألوهية في أي موضع قط. فأي عقيدة تتفق والأمرين السابقين أكثر: أهي الصيغة التثليثية أم التوحيد الخالص في الإسلام؟

وهنا تبرز اعتبارات عملية، أسئلة مثل، "ماذا كانت ديانة عيسى؟" و"إذا كان عيسى قد عاش ودعا إلى الله وأتم بعثته مُخْلصًا للشرائع الدينية السائدة في عصره، فلماذا لا يقتدي به أولئك الذين يزعمون أنهم يسيرون على نهجه؟" فبالمحصلة النهائية توثّق الآيات في كتاب أعمال الرسل لما كان عليه أتباع المسيح الأوائل من تشدد في الممارسات الدينية: فالآية (١٠: ١٤) تبيّن كيف كان بطرس يتفادى أكل لحوم الحيوانات النجسة. ونجد التأكيد على ضرورة الاختتان في الآيات (١١: ٢-٣، و١٥: ١) و(١٥: ٥)، وكذلك نجد التركيز على تحوّل معتقدات القساوسة والفريسيين في الآيتين (٦: ٧) و(١٥:٥)، في حين تؤكد الآية (٢١: ٢٠) حماسة الآلاف من المؤمنين لتطبيق "الناموس". وفي معرض هذا يلحظ كارميكائيل Carmichael أن: هذه "النصوص مذهلة، فهي تشير إلى أن

جيلاً كاملاً من أتباع المسيح ظلّوا بعد موته يهودًا أتقياء فخورين بدينهم، وأنهم اجتذبوا إلى صفوفهم أعضاء من الطبقات الدينية **المنحرفة**، وأنهم لم يحيدوا عن القوانين الشعائرية شديدة الأعباء."[١٨١]

هكذا كان الجيل الأول من التابعين. إلا أنه على الرغم من الأدلة الإنجيلية فإن الكثير من المسيحيين يفضلون تعاليم بولس أو البابا أو نخبة من رجال الدين على تعاليم عيسى الموثقة. ونتيجةً لذلك فإن الأرضية المشتركة للحوار بين أتباع عيسى الحقيقيين وأتباع ما يقوله أشخاص آخرون عن عيسى كثيرًا ما تكون غائبة، وعلى الرغم من أن بعضهم يرى أنّ هذا خلاف حديث العهد فإنه في الواقع انقسام قديم لاحظه بولس خلال حياته وقد علّق عليه بالقول: «فَأَنَا أَعْنِي هذَا: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ: "أَنَا لِبُولُسَ"، و"أَنَا لأَبُلُّوسَ"، و"أَنَا لِصَفَا"، و"أَنَا لِلْمَسِيحِ"» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ١٢).

وعليه فقد كان لكل من بولس، وأبُلُّوس (يهودي من الإسكندرية) وصفا (بطرس) والمسيح عيسى مجموعة مستقلة ومتميزة من الأتباع كلّ منهم حسب تعاليمه وهديِه. وقد غربل التاريخ المجموعتين في الوسط، تاركًا خطًّا فاصلاً واضحًا بين أولئك الذين لـ "بولس" وأولئك الذين لل "المسيح". فبينما أعلن المسيح عيسى مملكة الله، أعلن بولس الأسرار التي أصبحت أساس الكنيسة وعلم اللاهوت الحديث المتعلق بشخص المسيح

[١٨١] Carmichael, Joel. P.223.

وأعماله Christology.

وحيث إن بولس كان له تأثير تشكيلي على معتقد التثليث، فإن المرء لابد أن يتساءل عن السبب الذي قاده إلى أسرار معتقده. وحسب الروايات فإن مصدر ذلك كان نورًا من السماء وصوتًا ورسالة مُقْنِعة (أعمال الرسل ٩: ٣-٩). لكن في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (١١: ١٤-١٥) يعترف بولس بأنه ،«وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أيضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ...». فمن الذي كان يخاطبه بولس إذًا؟ أكان يخاطب ملاكًا من نور أم خادمًا للبر أم الشيطان؟

يبدو أن بولس لم يدقق في صحة رؤياه على الرغم من النصيحة السديدة القائلة: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ». (رسالة يوحنا الأولى ٤: ١). وبغضّ النظر عمّن كان وراء رؤيا بولس، فقد كان رجلاً متبدلاً. ومع أن العديد من الأنفس قد صلحت بالتقيد بتعاليم الدين، فإن هذا لم يكن ما حدث لبولس لسبب بسيط واحد: فبولس لم **يتقيد** بالدين بل **حوله** إلى شيء مغاير. وقد عاتب يعقوب، الأخ الأصغر لعيسى ورئيس الكنيسة الجديدة، بولس من مغبة تعاليمه الكفرية: «وَقَدْ أُخْبِرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الأُمَمِ الارْتِدَادَ عَنْ مُوسَى، قَائِلاً أَنْ لاَ يَخْتِنُوا أَوْلاَدَهُمْ وَلاَ يَسْلُكُوا حَسَبَ الْعَوَائِدِ» (أعمال الرسل ٢١:٢١). ثم حذره من اجتماع الجمهور لتقرير عقوبته: «فَإِذًا مَاذَا

يَكُونُ؟ لاَ بُدَّ عَلَى كُلِّ حَال أَنْ يَجْتَمِعَ الْجُمْهُورُ، لأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ» (أعمال الرسل ٢١:٢٢). ولهذا أرشده يعقوب للتوبة وتطهير نفسه من تدنيس المقدسات، وبعدها: «سلك حافظًا للناموس» (أعمال الرسل ٢١: ٢٣-٢٤).

إلا أن بولس ولسوء الحظ لم يلتزم بالتوبة وعاد إلى عادته القديمة.

ويتساءل المرء ... ماذا كان عيسى ليفعل؟ لا ريب أنه ما كان ليتنازل عن الوحي مقابل آراء نظرية بولس اللاهوتية المناقضة له. فإذا كان الحال كذلك ، فلماذا يمضي بعضهم في الاعتقاد بأن عيسى إلهيٌّ؟

فلنلخص إذًا ماجاء أعلاه في النقاط الرئيسية التالية:

١. ميز عيسى بينه وبين الله. فهو مجّد الله من جهة، ولكنه عبَد الله بخشوع من جهة أخرى. ولم يصف عيسى نفسه لأتباعه بأنه أكثر من مجرد بشر ونبي.

٢. اتفق الحواريون على أن عيسى المسيح نبي وبشر وأقروا بذلك.

٣. الآية الوحيدة الواردة في العهد الجديد (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٣: ١٦) التي تعد الدليل الداعم لمعتقد التجسّد محرّفة بدرجة تفوق التصور في الآية (١: ١٤) من إنجيل يوحنا ومن رسالة بولس إلى أهل كولوسى (٢: ٩) المطعون في مصداقيتهما على نطاق واسع.

٤. يصف الكتاب المقدس حياة عيسى وتاريخه باستخدام تعبيرات لا يمكن أن ترتبط إلا بالطبيعة البشرية.

٥. إن الحجج العقلانية على بشرية عيسى تطغى على الدفاعات العاطفية الصادرة عن أولئك الذين يسعون إلى دعم معتقد التجسّد.

٦. إن القدوة التي جسدها عيسى من حيث المظهر والأخلاق والممارسات الدينية والعقيدة يتمثل في حياة المسلمين الملتزمين تمثّلاً أفضل مما هو عليه الحال لدى المسيحيين الملتزمين.

٧. إن نظرية بولس اللاهوتية وعقيدة المسيح عيسى منفصلتان ومتباعدتان، حيث تمخضتا عن مدارس فكرية مختلفة لدرجة أنه منذ عهد بولس كان على المرء أن يختار ما بين أن يكون من "أتباع بولس" أو من "أتباع المسيح".

ولافتقار العالم المسيحي إلى آية صريحة من الكتاب المقدس تدعم معتقد التجسّد، فإنك تراه يضطر إلى تبرير عقيدته على أساس ما يعدّونه أدلة ضمنية الدلالة. إن ماسوف يتبع إذًا هو تعداد لهذه الأدلة ويلي ذلك تفنيدها.

# ١٠– ألوهية عيسى؟ "البراهين"



**إن الحقيقة التي تجعل الناس أحرارًا هي غالبًا الحقيقة التي لا يحّبذ الناس سماعها.**

هربرت آغار *Herbert Agar*

## المستند رقم ١ —— المعجزات

يربط بعضهم بين عيسى والألوهية بسبب المعجزات التي جاء بها. إلا أن العديد من المسيحيين التوحيديين والمسلمين أجمع يؤكدون حقيقة أن عيسى لم يأت بالمعجزات من عنده ولا عن طريق قوىً إلهية خاصة به بل بإذن الله. ولنعد للاقتباس من أعمال الرسل (٢: ٢٢) «يسُوعُ النَّاصِرِيُّ **رَجُلٌ** قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ **صَنَعَهَا اللهُ** بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أيضًا تَعْلَمُونَ» (التوكيد لي)، فانسجامًا مع ما ينص عليه كلّ من الكتاب المقدس والقرآن الكريم، يعتقد المسلمون أن المعجزات جرت على يد عيسى بسلطان من الله، يقول القرآن الكريم:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ ﴾ (القرآن الكريم ٥: ١١٠).

والمنظور الإسلامي للأمر هو أنّ المعجزات آيات يهبها الله للأنبياء برهانًا على نبوءتهم، إلا أنها لا تتضمن الألوهية. وتروي الأحاديث النبوية العديد من المعجزات التي جاء بها النبي محمد بتوثيق تاريخي أكثر دقة مما ورد في مخطوطات الكتاب المقدس. ففي حين يعدّ علم الحديث والجرح والتعديل من عجائب التدوين التاريخي، فإن الكتاب المقدس لا يستوفي العديد من المعايير الأساسية في توثيق الأحداث التاريخية.[١٨٢] فعلى سبيل المثال إن مؤلفي معظم أسفار الكتاب المقدس (بما فيها الأناجيل) غير

---

[١٨٢] للاطلاع على مناقشة موجزة لمنهجيات علوم الحديث انظر الملحق. أما لمناقشة مستفيضة فيُحال القارئ إلى كتاب

*Hadith Literature: Its Origin, Development and Special Features*, by Muhammad Zubayr Siddiqi (Islamic Text Society, London, 1993), and *Studies in Hadith Methodology and Literature*, by Muhammad Mustafa Azami (American Trust Publications, Indianapolis, 1977).

معروفين، وأن فترة تدوينها غير محددة تحديدًا دقيقًا، كما أن مصدر الكثير من المعلومات عنها غير واضح. وسنتناول هذه المسائل لاحقًا بمزيد من البحث، ولكن دعونا من باب التحضير لذلك ندقق في رواية خيانة يهوذا لعيسى لدى كبار الكهنة. ونسأل: من كان المؤلف ولماذا علينا أن نصدقه؟ هل كان حاضرًا وقت الخيانة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فماذا كان يفعل هناك؟ ولماذا لم يحذّر عيسى منها؟ وإذا لم يكن حاضرًا فمن أين استمد معلوماته؟ ولماذا علينا أن نثق به؟

هناك مشاهد خاصّة أخرى مدونة في الروايات الانجيلية. ولكن إن كانت تلك المشاهد خاصة فكيف عرف مؤلفو الأناجيل بتفاصيلها؟ فمن الشخص الذي حضر إغواء المسيح في الصحراء؟ ومن الذي وقف ودوّن أدعيته في ضيعة جتسيماني Gethsemane؟

ونظرًا إلى أن جميع هذه الأسئلة تبقى بلا إجابة، فلماذا ينبغي على البشرية الوثوق بهذه الأناجيل أنها سبيل الخلاص طالما أن أصولها غير معروفة ومؤلفيها مجهولون؟

ولعل المنتدى اليسوعي The Jesus Seminar، هو واحد من أكثر المحاولات موضوعية وإخلاصًا لمجلس عالمي للعلماء المسيحيين، وهو الذي أقيم من أجل تحديد مدى أصالة أفعال عيسى وأقواله المدّونة. إلا أن منهجيتهم تشتمل على الاقتراع! فبعد بعثة عيسى بألفي عام يشكّل حوالي مائتي عالم رأيًا مسيحيًا جماعيًا بشأن درجة الثقة بالاقتباسات

والروايات التاريخية المنسوبة إلى عيسى وذلك عن طريق الاقتراع بالخَرَز الملون coloured beads. فعلى سبيل المثال، وفيما يتعلق بالأقوال المنسوبة إلى عيسى فإن ألوان الخَرَز تم تعريفها وفق مايلي:

الأحمر — قالها عيسى أو قال شيئًا قريبًا منها.

الزّهري — من المرجح أن عيسى قال شيئًا مشابهًا لها، رغم تبديل في الكلمات في أثناء النقل. الرمادي — هذه ليست كلماته لكن الأفكار قريبة من أفكاره.

الأسود — لم يقلها عيسى، بل تمثل الكلمات المجتمع المسيحي أو وجهة نظر متأخرة.[١٨٣]

وقد حاولت لجان مسيحية أخرى التأصيل لنصوص الكتاب المقدس عن طريق اعتماد منهجيات مماثلة. فقد نوّه محررو كتاب **العهد الجديد باليونانية** (الطبعة الثانية) *The Greek New Testament* الصادر عن تآلف جمعيات الكتاب المقدس United Bible Socities بمايلي:

باستخدامها الحروف A، B، C، و D المتضمّنة بين قوسين { } في بداية كلّ مجموعة من المتغيرات النصيّة سعت اللجنة إلى الإشارة إلى درجة التيّقن النسبية، وتوصلت إلى ذلك على أساس اعتبارات داخلية وأدلة خارجية في قراءة النَّصوص. ويشير الحرف "A" إلى افتراض أن النص

---

١٨٣ Funk, Robert Walter. 1996. *Honest to Jesus: Jesus for a New Millennium.* Polebridge Press. p.8.

مؤكد، في حين يدل الحرف "B" على درجة من الشك في النص، أما الحرف "C" فيدل على وجود قدر كبير من الشك، بينما يُظهر الحرف "D" وجود درجة كبيرة جدًا من الشك فيما يتعلق بالقراءة المختارة للنص."[١٨٤]

ويصف بروس إم. مِتزغر Bruce M. Metzger استخدامه منهجية مماثلة في كتابه **تعليق نصي على العهد الجديد باليونانية** *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. وكان مما كتب، "في الواقع، ضمن القرارات حول الفئة {D} أحيانًا لم تكن جميع قراءات النصوص المتنوعه تثبت أنها أصلية، وبالتالي كان السبيل الوحيد هو طباعة القراءة الأكثر قبولاً."[١٨٥]

ونسأل: ألا يمنحنا **ذلك** شعورًا بالدفء والطمأنينة في الوثوق بالكتاب المقدس بأنه طريق الإنسانية إلى الخلاص؟

ولكنني حدثُ عن الموضوع. فالمسألة هي أن أنظمة التصنيف هذه هي على الأرجح أفضل ما يمكن الإتيان به في ظل القصور في تدوين الروايات الإنجيلية. ولكن يا له من تعليق بائس هذا الذي جاء به مِتزغر!

---

[١٨٤] Aland, Kurt, Matthew Black, Carlo M. Martini, Bruce M. Metzger & Allen Wikgren (Editors). 1968. *The Greek New Testament.* 2nd edition. United Bible Societies. pp. 10-11.

[١٨٥] Metzger, Bruce M. *A Textual Commenatry on the Greek New Testament.* Introduction, p.14.

وإذا ما قيست طرائق الخرز الملون والأحرف الأبجدية هذه بالنظام المتقن والرائع لتوثيق صحة الحديث النبوي لوجدنا أنها أنظمة تصنيف قاصرة بعض الشيء على أقل تقدير.

إن دقة التدوين التاريخي أمر مهم لأن المرء إذا ما سمع قصة — ولو كان يسهل تصديقها — فإن أول سؤال يسأله يكون عادة: "من أين سمعت ذلك؟" فأي مجموعة من المعايير التاريخية المقبولة يجب أن تتضمن تحديد المصادر والتحقق منها. إن القرآن الكريم والكثير من الأحاديث النبوية تستوفي أعلى درجات التوثيق، وهذا الحال لاينطبق على الغالبية العظمى لآيات الكتاب المقدس.[١٨٦]

كيف يتصل هذا بالمسألة التي بين أيدينا؟ الجواب سهل. فالمعجزات التي أيّد الله بها محمدًا ليست بأقل عددًا أو إثارةً للإعجاب من تلك التي أيّد الله بها عيسى، ويشهد عليها سجلّ تاريخي لا يدانيه شك ويتفوق على كلّ سجل آخر من حقبة مماثلة. وبالتالي، فلطالما أن معجزات موسى واليشع ومحمد لا توحي بألوهيتهم، فكذلك هي الحال بالنسبة إلى معجزات عيسى.

فلنلقِ نظرة إلى بعض الأمثلة:

---

[١٨٦] ففي حين أن الأحاديث النبوية تم حفظها كلمة بكلمة، "يوجد في مخطوطاتنا (الإنجيلية) اختلافات تفوق عدد كلمات العهد الجديد.

Bart. D. Ehrman. *A Ahistorical Introduction to the Early Christian Writings*. pp.252-253.

**عيسى أطعم الآلاف من بضع سمكات وقليل من أرغفة الخُبْز،** ولكن اليشع أطعم مائة شخصٍ بعشرين رغيفًا من الشعير وبضعة أكواز من الذرة (الملوك الثاني ٤: ٤٤)، وأنه مَنَحَ أرملة فائضًا من جرة زيت لديها بحيث أوفت دَيْنها وأنقذت ابنيْها من العبودية وعاشت على ما جنته من دُهنة الزيت (الملوك الثاني٤: ١-٧)، وبارك في حفنة من الدقيق وقليل من الزيت بحيث أكل هو وأرملة وابنها بما فيه الكفاية لعدة أيام، وبعدها «كُوَّارُ الدَّقِيقِ لَمْ يَفْرُغْ، وَكُوزُ الزَّيْتِ لَمْ يَنْقُصْ...» (الملوك الأول ١٧: ١٠-١٦). فماذا يجعل ذلك من اليشع؟ والروايات التاريخية القائلة بأن محمدًا أطعم الكثير من الناس من حفنة تمر في إحدى المناسبات، وسقى العديد من إناء من اللَّبن/الحليب في مناسبة أخرى وأطعم العشرات من قليل من لحمٍ في مناسبة ثالثة هي معجزات كذلك بالقدر ذاته. وكذا الحال بالنسبة إلى القصص الخاصة بإسقائه لأعدادٍ غفيرة (١٥٠٠ شخص في إحدى المناسبات) من إناء ماء واحد، إلا أنه ما من مسلم يزعم الألوهية لمحمد.

**عيسى أبرأ الأبرص.** وبالمثل فقد أبرأ اليشع نعمان Naaman (الملوك الثاني ٥: ٧-١٤) ووفقًا للمبدأ ذاته أُمِرَ الحواريون أن يُسدوا مثل تلك الخدمة من العلاج لمن يحتاجها (متّى ١٠: ٨)، فماذا يجعل ذلك منهم؟

**عيسى شفا رجلاً أكمه (أعمى)** . ولم يضرب اليشع أعداءه بالعمى فحسب، بل أعاد البصر إلى العُمي بالدعاء (الملوك الثاني ٦: ١٧-٢٠). كما يُروى أن محمدًا قد أبرأ الأعمَى بالدعاء أيضًا.

**عيسى أحيا الموتى.** ومرة أخرى، نجد أن اليشع قد سبقه إلى ذلك حيث إنه أحيا طفلين بعد مماتهما (الملوك الأول ١٧: ٢٢، والملوك الثاني ٤: ٣٤). أضف إلى ذلك أن الحوارِّيين أُمِروا أن يحيوا الموتى (متّى ١٠: ٨) . ومن جديد نسأل، ماذا يجعل ذلك منهم؟.

**عيسى مشى على الماء.** ولو كان حيًا في عهد موسى فلعله لم يُضطر إلى فعل ذلك.

**عيسى أخرج الشياطين.** وكذلك فعل حواريّوه (متّى ١٠: ٨)، كما فعل ذلك أبناء الفريسيين (متّى ١٢: ٢٧، ولوقا١١: ١٩) وكذلك ومن أجل ذلك يفعل العصاة من أتباع عيسى والذين تبرأ المسيح منهم (انظر متّى ٧: ٢٢) وهذا أمر محبط إذا مانظرنا إلى عدد القساوسة والكهان الذين كانوا يقومون بهذا النوع من الاستعراضات، وإن كان ذلك حقيقة.

وعليه فإننا إذا ما كنا نبتغي أدلة تثبت ألوهية عيسى، فعلينا البحث فيما يتخطى المعجزات.

## المستند رقم ٢ ـــــ نبوءات الكتاب المقدس

تنبأ العهد القديم ببعثة عيسى. كما تنبأ ببعثة يوحنّا المعمداني في سفر ملاخي Malachi. والأهم من ذلك أن هناك بشارات عديدة في العهدين القديم والجديد بنبي خاتم لا تنطبق على يوحنا المعمداني أو عيسى ( انظر

فصل "الرسل" في المجلد الثاني من هذا الكتاب).

## المستند رقم ٣ — المُخلّص

يصف الكتاب المقدس الله بأنه "المخلِّص Savior" ويصف عيسى بأنه "مُخلِّص savior". والنتيجة؟ الله "مُخلِّص" وعيسى "مُخلِّص" وعليه فإن عيسى هو الله؟ والخلل في هذا الطرح أن عُثْنيئيل Othaniel وإهود Ehud وشمْجر Shamgar وجدْعون Gideon ومُخلِّصين مجهولين آخرين يستحقون أن يضافوا إلى قائمة المخلِّصين. لماذا؟ لأن الكلمة العبرية التي يستخدمها العهد القديم للإشارة إلى الله بوصفه المخلص هي "yasha" (ياشا). وترد كلمة "ياشا" ٢٠٧ مرات في العهد القديم باللغة العبرية، بما في ذلك إشارات إلى عثنيئيل (القضاة ٣: ٩) وإهود (القضاة ٣: ١٥) وشمْجر (القضاة ٣: ٣١) وجدعون (القضاة ٨: ٢٢) وأفراد مجهولين (الملوك الثاني ١٣: ٥، ونحميا ٩: ٢٧، وعوبديا ١: ٢١). فلماذا تترجم كلمة "ياشا" ترجمة مختلفة لدى الإشارة إلى هؤلاء الأشخاص عنها عندما تشير إلى عيسى والله؟ لا يدرك سبب ذلك إلا المترجمون، غير أن دوافعهم تبدو غير نزيهة، حيث إن الترجمة الخاطئة الانتقائية تخفي وراءها حقيقة أن استخدام هذا اللقب لم يكن منحصرًا في عيسى والله فقط.

## المستند رقم ٤ ـــ "I AM" (أنا [كائن])

يروى في إنجيل يوحنا (٨: ٥٨) أن عيسى قد قال: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» وينص سفر الخروج (٣: ١٤) أن الله أخبر موسى: «فقال الله لموسى أَهْيَهِ الذي أَهْيَهْ». فبادئ ذي بدء ووفقًا لما قاله عيسى، هل على المرء أن يستنتج أنه كان لعيسى وجود قبل إنساني؟ وفقًا لإرمياء (١: ٥) فذلك ينطبق على إرمياء أيضًا، ووفقًا للدين الإسلامي فهو ينطبق علينا جميعًا. ثم هل على المرء أن يوازي بين "أَهْيَهِ" (أنا) العائدة إلى عيسى وتلك العائدة إلى الله؟ ومرة أخرى فإن النص الأصلي يسخر من الترجمة تلك، فلم يُذكر بأن عيسى قال أنا "I AM" بالأحرف الكبيرة بحيث تجعله يبدو كإله، وإنما نُقِل عن عيسى في ترجمة لكلامه قوله "أنا" (I AM) كما لو كان المترجم يقول لنفسه في محاولة لإيجاد مزامنة نصية "هذه تبدو ككلام الله الذي في سفر الخروج، فهل ياترى ستنطلي عليهم؟". إن ما ثبت أن عيسى قاله هو "*eimi*" بحروف يونانية صغيرة متواضعة غير مُغرضة وغير حَصْرية (وترد الكلمة ١٥٢ مرة في العهد الجديد) وهي كلمة يونانية لا تُبرر استخدام حروف كبيرة أو مقارنتها بما يفترض أنه كلام الله الوارد في سفر الخروج (الذي لم يكتب بالحرف الكبير لا في "أَهْيَهْ" *hayah* العبرية ولا في "هو أُون" *ho ohn* الواردة في ترجمة التوراة السبعونية. بل إن اللغتين العبرية واليونانية القديمتين لا تستخدمان الأحرف الكبيرة أصلاً). وليس هناك من سبيل لمقارنة الكلمة اليونانية "*eimi*" الواردة في العهد الجديد والمنسوبة إلى عيسى بـ " *ho ohn*"

اليونانية الواردة في العهد القديم والمنسوبة إلى الله في ترجمة التوراة السبعونية، وذلك إذا ما أردنا توخي الأمانة أو الدقة. وعلى الشاكلة ذاتها لا يمكن أن تكتب عبارة من هاتين العبارتين بأمانة "I Am" بحرف "A" كبير في حين أن كلمة "eimi" في المواضع المائة والإحدى والخمسين الأخرى تُرجمت إلى "I am" بحرف "a" صغيرًا. فلماذا كُتبت "*eimi*" بالأحرف الكبيرة مرة واحدة فقط وبالأحرف الصغيرة ١٥١ مرة، إن لم يكن ذلك بفعل التحيز العقدي؟ والحق أنَّ معظم الأناجيل الشهيرة تتجنب هذا التلاعب بالنص، فالطبعة الدولية الجديدة والطبعة المعتمدة المنقّحة والطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة والطبعة المعتمدة الأمريكية وغيرها كثير كلها لا تترجم كلمة "*eimi*" الواردة على لسان عيسى إلى "I Am" بحرف "A" كبيرًا.

## المستند رقم ٥ ـــ الساعد الأيمن

تروي الآيتان (١٦: ١٩) من إنجيل مرقس و(٢٢: ٦٩) من إنجيل لوقا أن عيسى استُقبل في السماء وأنه جلس على يمين الله. ولنبدأ أولاً بالإشارة إلى ما ورد في مرقس من آيات (١٦: ٩-٢٠) فنجد أن هذا قد تم نبذه من العديد من الأناجيل نظرًا لأن النص مشكوك في مرجعيته الإنجيلية.[١٨٧] ويضع بارت إهرمان ذلك بكلمات أبسط قائلاً: "ولكن ثمة

[١٨٧] انظر *New Catholic Encyclopedia*.Vol 2.p.395 حيث أورد مرقس (١٦: ٩-٢٠) في قائمة "أجزاء الأسفار القانونية الثانية المشكوك في أصالتها" التي ضُمّت إلى أسفار الكتاب المقدس المعتمدة

مشكلة واحدة، ونقول من جديد إن هذا النص لم يكن موجودًا في الأصل في إنجيل مرقس، بل أضيف في وقت لاحق من قبل أحد النساخ."[١٨٨]

ولو استبعدنا اعتبار أن النص بأكمله لم يكن أصيلاً في المقام الأول فإن مقولة أن قرب المرء من الله يمكن أن يجعل منه ندًا لله أو شريكًا له أو جزءًا منه تتنافى تمامًا وحدود العقل. وينص الكتاب المقدس على أن عيسى جلس مع الله. وإذا ما افترضنا أن عيسى هو الله فإن ذلك يعني أن الله جلس مع نفسه، عن يمين نفسه. إن ما يتناقض مع هذا التفكير الغريب ما ورد في إشعياء (٤٤: ٦) من حقيقة ساطعة: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ... "أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي"». وينص إشعياء (٤٣: ١١): "أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ". ومرة أخرى نقول ما هذه المسألة؟ هل هي أن عيسى جلس بجانب نفسه، أو بجانب أنفسهم، أو بجانب أنفس الله أو غيره – بل إنه جلس بجانب الله **دون** الجلوس بجانب الله لأنه «لاَ إِلهَ غَيْرِي» و"ليس من مُخلِّص غيري"؟ وفي الحقيقية تبرز هنا مسألة عويصة —— فإما أن عيسى جلس بجانب الله، وعليه فإنه ليس هو الله ولا المخلّص، أو أنه لم يجلس بجانب الله وأن الكتاب المقدس لا يمكن الاعتماد عليه. ففي الحالة الأولى يخفق اللاهوت، وفي الحالة الثانية يخفق الكتاب المقدس، وفي كلتا الحالتين لا بد أننا نبقى في حيرة من أمرنا، ذلك أن الهدف من الوحي هو الإيضاح وليس التشكيك. أضف إلى ذلك فإن

---

بموجب مرسوم ترنت. انظر أيضًا ما ورد في حاشية الطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة حول هذه الآيات.

[١٨٨] Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus*. HarperCollins. pp.66-67.

الكتاب المقدس ينص على مايلي: «**وسار** أَخْنوخ مع الله...» (التكوين ٥: ٢٤)، فماذا يكون وضع أخنوخ Enoch في هذه الحالة؟

## المستند رقم ٦ — مغفرة الخطايا

ينسب بعضهم الألوهية لعيسى لأنهم يعتقدون بأنه كان يغفر الذنوب، فقد ورد في إنجيل لوقا (٥: ٢٠): «فَلَمَّا رَأَى إِيمَانَهُمْ قَالَ لَهُ: "أَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ"». وتنص الآيات من الإنجيل نفسه (لوقا ٧: ٤٧–٤٨) على ما يشبه ذلك، «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ ... ثُمَّ قَالَ لَهَا: "مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ"». فالزعم هنا أن عيسى بهذه العبارات قد غفر الخطايا حقًا، في حين يقترح آخرون أنه أخبر الأفراد المعنيين بأن خطاياهم قد غُفرت دون أن يذكر من الذي غفرها. ومن المهم هنا ملاحظة أن عيسى لم يقل: "أنا أغفر خطاياكم". فلو كان علينا الافتراض أن عيسى نقل غفران الخالق الذي أُمر به عبر الوحي لوجدنا أنفسنا متفقين مع ما ورد في إنجيل يوحنا (١٢: ٤٩): «أَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ». ومن جهة أخرى، لو كان علينا الافتراض بأن عيسى غفر الخطايا بمبادرة من عند نفسه، فإننا بذلك سوف نناقض ما ورد على لسانه: «أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا...» (يوحنا ٥: ٣٠).

والسؤال الأبلغ ليس فيما إن كان عيسى يملك سلطانًا لغفران الخطايا،

بل فيما إن كان ذلك السلطان يجعل من عيسى مكافئًا لله. وقد زُعم أن الفريسيين قد ظنّوا ذلك؛ إلا أن عيسى صححهم كما ورد في لوقا (٥: ٢١): «فَابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ قَائِلِينَ "مَنْ هذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَه"؟». ومرة أخرى، نقول إن المسألة هي أنّ الفريسيين اعتقدوا أن عيسى زعم أنه الله، وهكذا فعلينا أن نؤمن بذلك أيضًا. إلا أنها حجة غريبة، فالفريسيون أبغضوا عيسى وخرجوا عليه وعرقلوا رسالته وافتروا عليه الكذب في محاكمته وتآمروا لأسره وإذلاله وضربه وقتله. ومع ذلك يفترض بنا أن نثق برأيهم؟ دعونا لا ننسى أن الفريسيين العاصين هم الذين يدّعون، وإلى يومنا هذا، أن عيسى كان ابن زنى وأن أمه كانت إما زانية وإما عاهرة. ومع ذلك يفترض بالمسيحيين أن يثقوا برأيهم؟ إن عيسى نفسه لم يثق بهم. ففي الآية التالية مباشرة وهي (لوقا ٥: ٢٢) نراه يوبّخ الفريسيين بالكلمات: «مَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ؟» —— وهو النظير الإنجيلي التقريبي لنعتهم بالأغبياء السفهاء، لأنهم سمحوا لعواطفهم بأن تطغى على الحكم العقلاني.

ونسأل من جديد، هل كان ثمّة مقام أفضل من هذا كي يؤكد عيسى ألوهيته، هذا لو كان حقًا يتمتع بصفات الألوهية؟ هل كان هناك مقام أفضل من هذا ليقف مرفوع الجبين واثقًا من قدراته الإلهية ويقول: "حقًا قلتم، من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله؟ ها أنتم أخيرًا قد فهمتم، والآن دعوني أفسر لكم...".

لكنه لم يفعل ذلك، وعلينا أن نفترض أنه كان لديه سببٌ وجيهٌ لعدم

فعل ذلك، حيث إنه في الواقع صرّح بالنقيض تمامًا.

## المستند رقم ٧ —— "الرب"

دُعي الله في الكتاب المقدس بالرب (باليونانية *kurios*) ودعي عيسى كذلك بالرب. فهل هذا دليل على ألوهية عيسى؟ يبدو أن الأمر ليس كذلك، فالعديد من البشر دعُوا باللقب ذاته، "الرب"، في الكتاب المقدس. إلا أن الاستخدام الانتقائي للأحرف الكبيرة ومايتماشى والأغراض العَقَدية للمترجمين يعود مجددًا ليشوه الحقيقة. فكلمة رب "Lord" لقب إنجيلي يُستخدم للتعبير عن الاحترام، كما هو واضح من العديد من القصص في الكتاب المقدس (مثال ذلك متّى ١٨: ٢٣-٣٤، ولوقا ١٩: ١١-٢١). واللقب "Lord" بحد ذاته لا يوحي بالألوهية، وهذا ما نتبينه عندما نرى أن سارة دعت إبراهيم بالرب (رسالة بطرس الأولى ٣: ٦). ومهما يكن فالمسيحيون يستخدمون نص يوحنا (٢٠: ٢٨) دليلاً نقل فيه على لسان توما Thomas وصفه لعيسى بـ "ربي وإلهي". إلا أن ثمة مشكلة، فالرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (٨: ٦) تنص على مايلي: «لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ... وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ...»، حيث يشار إلى "الرب" و"الله" على أنهما لقبان مستقلان ومنفصلان في إحدى الآيات، وفي آية أخرى لقبان لأمر واحد. وتفاقم الآية (٤: ١٦) في سفر الخروج هذا الإبهام، حيث الترجمة اليونانية الحرفية

تجعل من موسى "إلهًا" (إلوهيم Elohim) لـ هارون. واستبدال العبارة بإضافة "as" (كاف التشبيه) لتصبح "كإله" لا أساس له في المخطوط الأصلي لكنه مفيد في تضليل القُراء لكيلا يلاحظوا الرائحة الفواحة لعقيدة بالية فاسدة. ففي كتاب يشار فيه إلى آلهة وثنية (مثال: الخروج ١٢:١٢، و١٨: ١١، و٢٠: ٣)، وإلى قُضاة (المزامير ٨٢: ١، و٨٢: ٦)، وإلى ملائكة (المزامير ٨: ٥)، وإلى أنبياء (الخروج ٤: ١٦) بلقب إلوهيم "Elohim" بأنه الله الواحد الحق كيف لنا أن نثق بمعتقد يقوم على تأويلات بشرية لألفاظ عامية قديمة؟

## المستند رقم ٨ — العبادة

"عبد" الناس عيسى ولم يعترض على ذلك. ولكن ذلك ليس صحيحًا تمامًا، أليس كذلك؟ فما تنص عليه مخطوطات الكتاب المقدس هو أن الناس سجدوا ("بروسكونِهود *proskuneo'ed*") لـ عيسى فلم يعترض. وتُترجم كلمة "*proskuneo*" ترجمة انتقائية في بعض الأناجيل بـ "يعبد" أو "عَبَدَ"، ولكن هذه الترجمة لا تعطي النطاق الكامل لمعاني الكلمة ألا وهو الآتي:

و (بروسكونِهو) "proskuneo": تعني يُقبِّل (كما يلعق الكلب يد صاحبه)، وتعني: "يتزلف أو ينحني بتواضع أو عبودية، أي (بمعنى حقيقي أو مجازي) يسجد تعبيرًا عن الولاء (يبجّل،

يحب حب عبادة): — يعبد ".[189]

بوسع المرء أن يفترض أن قلة يمكنهم تصور تقبيل عدد من المؤمنين ليد عيسى أو لحسها [تبرُّكًا]، وعليه فلو افترضنا جدلاً أن بعض المؤمنين جلسوا القرفصاء أمام عيسى أو سجدوا على الأرض أمامه، فإن علينا أن نتساءل عندها عن دلالة مثل تلك الإيماءات.

فقد أورد إنجيل متّى (١٨: ٢٦) قصة العبد الذي خرَّ ساجداً ("بروسكونِهود *proskuneo'ed*") لسيِّده مستجديًا إياه أن يعفيه من ديونه. ويروي إنجيل مرقس (١٥: ١٦–٢٠) الإذلال الذي تعرض له عيسى قبل صلبه المزعوم على النحو التالي:

«فَمَضَى بِهِ الْعَسْكَرُ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ، الَّتِي هِيَ دَارُ الْوِلاَيَةِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الْكَتِيبَةِ. أَلْبَسُوهُ أُرْجُوانًا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ، وَابْتَدَؤوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: "السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!" وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ. وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَؤوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الأُرْجُوانَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيَصْلِبُوهُ».

وفي أعمال الرسل (١٠: ٢٥) نقرأ مايلي: «وَلَمَّا دَخَلَ بُطْرُسُ اسْتَقْبَلَهُ كَرْنِيلِيُوسُ وَسَجَدَ وَاقِعًا عَلَى قَدَمَيْهِ». وتتضمن إشارات العهد القديم في صموئيل الأول (٢٥: ٢٣) الآية التالية «وَلَمَّا رَأَتْ أَبِيجَايِلُ

---

[189] *Strong's Exhaustive Concordance of the Bible*

دَاوُدَ أَسْرَعَتْ وَنَزَلَتْ عَنِ الْحِمَارِ، وَسَقَطَتْ أَمَامَ دَاوُدَ عَلَى وَجْهِهَا وَسَجَدَتْ إِلَى الأَرْضِ». ويتحدث الملوك الثاني (٤: ٣٧) عن امرأة شونمية Shunammite woman أنها «سَقَطَتْ عَلَى رِجْلَيْهِ وَسَجَدَتْ إِلَى الأَرْضِ... » في إشارة إلى اليشع بعد أن أحيا الله ابنها بدعواته، وهذا ينسحب على سفر التكوين (٥٠: ١٨) وصموئيل الثاني (١٩:١٨).

وفي المجمل، فإن كلمة ("بروسكونهود *proskuneo'ed*") أي "سجد" لا يمكن لها أن تتضمن معنى الألوهية إلا إذا اشتملت على بطرس وداؤد واليشع، من بين آخرين. وخلافًا لذلك، فإن علينا الافتراض بوجود ترجمة انتقائية وذلك لأنه عندما سجد "*proskuneo'ed*" الجنود الروم لعيسى فإنهم لم يصلّوا له، كما تُرجمت الكلمة في الكتاب المقدس، بل كانوا يستهزئون به بتحية كانت تُقَدّم لملوك ذلك العصر وزعمائه. وعلى غرار ذلك، فإنه عندما سجد "*proskuneo'ed*" الآخرون لبطرس وداؤد واليشع وسيد العبد وسواهم، فإن سجودهم كان دلالة على الاحترام وفقًا للأعراف. وكذلك كان الحال بالنسبة إلى عيسى.

ويمكن تلخيص هذا الموضوع بالسؤال التالي: عندما "سجد" الناس لعيسى هل كانوا يجلّونه إجلال المرء لربه؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا إذًا لم يصلّوا له؟ والجدير بالذكر أننا لانجد في الكتاب المقدس أن أحدًا صلى لعيسى، بل إن كلاً من عيسى وأتباعه أدّوا حق الله على العباد إلى الله وحده دون سواه. فقد ورد في لوقا (٤: ٨) عن عيسى قوله: «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد».

وما يبدو جليًا لقارئ هذه الآية أن عيسى ليس فقط توجه لله بعبادته، بل قام بما يتوجب عليه من حقوق الله عليه. أو لنقل إنه قام بما يدعى باليونانية بـ "latreuo" التي يمكن تعريفها بـ"خدمة الله، أي التعبير عن الولاء الديني بأن 'يخدم'، و'يعبد'، وأن يكون 'عابدًا'."[١٩٠] وبخلاف "proskuneo" آنفة الذكر فإن "latreuo" تعني تقديم الولاء **الديني**. ومن المهم القول إنه من بين مجموع استخدامات كلمة "latreuo" الاثنين والعشرين في العهد الجديد نجد أنها لم تستخدم للإشارة إلى عيسى في واحد من هذه المواضع. من هنا يمكن القول إنه بينما يمكن لبعضهم أن يكونوا قد جثوا لعيسى أو سجدوا له وفقًا للأعراف السائدة في ذلك العصر، فإن ذلك لايعني أنهم بذلك كانوا يقومون بحق العبادة له أو تقديم الواجب الديني له، بل إنهم كرسوا ذلك الإجلال لله وحده دون سواه، وهذا ماكان يقوم به عيسى نفسه.

## المستند رقم ٩ ــــ القيامة (البعث)

بعضهم يعزو الألوهية إلى عيسى استنادًا إلى بعثه المزعوم، وهذه مسألة حرجة إذ إن عماد المسيحية الراشدة هي الإيمان بأن عيسى مات كي يكفّر عن ذنوب البشرية. وسوف نتعمق في معالجة عقائد الصلب crucifiction، والبعث resurrection، والتكفير atonment في الأجزاء

---

[١٩٠] المرجع السابق.

اللاحقة. والأمر المهمّ الآن هو أن العديد من المسيحيين الأوائل شكّكوا في عقيدة الصلب وذلك لأن كلّ الأناجيل لم تَرْوِ ذلك برواية شاهد عيان. وبتعبير جُوِل كَرمايكل مؤلف كتاب **موت عيسى** *The Death of Jesus*، نسأل: "من كان الشهود إذًا؟ ... فحواريو عيسى لم يكتفوا بالتخلي عنه والفرار وحسب، بل إن ما يثير الدهشة أكثر هو أنهم لا يعاودون الظهور لدى محاكمة عيسى؛ كما لم يشهدوا إعدامه، وليسوا هم من قام بدفنه."[١٩١] والحواريون ليسوا من ألّف الأناجيل أصلاً. ولكننا سوف نعود لمناقشة هذا لاحقًا.

ويتفق غالبية العلماء على أن كُتّاب الأناجيل لم يفعلوا أكثر من نقل إشاعات لدى تدوين رواية الصَّلب المزعوم. وحتى **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** تعترف بأنه: " مؤلفو الإنجيل الأربعة يختلفون اختلافًا طفيفًا في صياغة النص المنقوش (في أعلى الصليب)، الذي يظهر أنهم كانوا يكتبون من الذاكرة أو بناءً على أدلة من الإشاعات".[١٩٢]

وهذه الحقيقة معروفة تمامًا منذ عهد عيسى إلا أنه يُتكتّم عليه تكتُّمًا كاملاً من قِبل أولئك الذين يودّون أن يعتقد الناس بأن مؤلفي الأناجيل كانوا أول من شاهد الأحداث وأنهم كانوا يتمتعون بذاكرات جبارة. وفي الواقع فإن جميع حواريي عيسى تخلّوا عنه في ضيعة جَثْسَيماني Gethsemane كما ورد في مرقس (١٤: ٥٠). «فتركه الجميع وهربوا».

---

١٩١ Carmichael, Joel.pp. 202-206.

١٩٢ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 4, p.486.

وقد يكون بطرس قد لحق بعيسى من بعيد ولكن ليس لأكثر من فناء دار كيافس Caiaphas، كبير الكهنة. وهنا أنكر الحواري الذي وُصف بـ"الصخرة" (التي وعد عيسى ببناء كنيسته عليها في متّى ١٦: ١٨-١٩) معرفته بعيسى ثلاث مرات. (هل قال عيسى "صخرة؟" لعل ما قصد قوله هو "شيطان" و"مَعْثرة" كما ورد على لسان عيسى بعد ذلك بخمس آيات محددة). وعلى كلّ حال فإن بطرس لم يكن أحد مؤلفي الأناجيل. إذًا أين كان هؤلاء المؤلفون؟ يشير متّى (٢٧: ٥٥) ولوقا (٢٣: ٤٩) إلى أن "المراقبين" لم يكونوا موجودين في أثناء الصلب، وعليه فإنه لا يمكننا سوى التكهن.

وفيما يتعلق بالبعث المزعوم فإن روايات الأناجيل الأربعة (متّى ٢٨، ومرقس ١٦، ولوقا ٢٤، ويوحنا ٢٠) لا تتفق على ما حدث بعد الصلب، فعلى سبيل المثال:

من الذي يمّم نحو الضريح؟

**متّى**: "مريم المجدلية ومريم الأخرى".

**مرقس**: "مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة".

**لوقا**: النساء اللائي جئن معه من الجليل و"بعض النساء الأخريات".

**يوحنا**: "مريم المجدلية".

لماذا اتجهن نحو الضريح ؟

**متّى:** "لزيارة الضريح".

**مرقس:** "اشترين حنوطًا ليأتين ويدهنّه"

**لوقا:** "اشترين حنوطًا"

**يوحنا:** لا يذكر السبب.

هل حدث زلزال (الأمر الذي يُتوقع ألا يمر بسهولة دون ملاحظته)؟

**متّى:** نعم.

**مرقس:** لم يُذكر.

**لوقا:** لم يُذكر.

**يوحنا:** لم يُذكر.

هل نزل مَلَك (وهنا مجددًا نقول، هل يمكن لكلّ مؤلف للإنجيل يحترم نفسه أن يكون قد فاته ذلك أو نسيه)؟

**متّى:** نعم.

**مرقس:** لم يُذكر.

**لوقا:** لم يُذكر.

**يوحنا:** لم يُذكر.

من الذي دحرج الحجر؟

**متّى**: "مَلَك".

**مرقس**: غير معروف.

**لوقا**: غير معروف.

**يوحنا**: غير معروف.

من كان عند القبر؟

**متّى**: "مَلَك".

**مرقس**: "شاب".

**لوقا**: "رجلان".

**يوحنا**: "مَلَكان".

أين كانوا؟

**متّى**: كان المَلَك جالسًا على الحجر خارج القبر.

**مرقس**: كان الشاب جالسًا في القبر "عن اليمين".

**لوقا**: كان الشابان في القبر يقفان بجانبهم.

**يوحنا**: كان المَلَكان "جالسين واحدٌ عند الرأس والآخر عند الرِّجلين حيث كان جسد يسوع موضوعًا".

من الذي رأى عيسى أولاً وأين؟

**متّى:** مريم المجدلية "ومريم الأخرى" في الطريق لإخبار التلاميذ.

**مرقس:** مريم المجدلية فقط ولا يذكر المكان.

**لوقا:** اثنان من التلاميذ في الطريق إلى "قرية تسمى عِمواس تبعد حوالي سبعة أميال من القدس".

**يوحنا:** مريم المجدلية، خارج القبر.

هناك اتساق ضئيل أو عدم اتساق في الروايات لدرجة تثير الاكتئاب، مما يدفع بالمرء كي يتساءل: هل كان الكتاب المقدس كتاب وجهات نظر أم كتابًا من عند الله؟ وخلص إهرمان للقول إن الكتاب المقدس هو كتاب محض بشري يعج بالأخطاء. وأكثر هذه الأخطاء فداحة هي الإضافات والحذوفات في النص (سواء بقصد أم من دون قصد).[١٩٣] ويتفق هاينز تساهرنت Heinz Zahrnt مع هذا الرأي على النحو التالي:

لقد ولّت أيام معتقد الإلهام الشفوي غير التاريخي الذي نص عليه علم اللاهوت البروتستانتي القديم. فمن الآن فصاعدًا سيُنظر إلى الإنجيل بأنه كتاب تاريخي ألّفه ورواه بشر، وبالتالي فهو خاضع لقوانين التراث ذاتها، ولذات الأخطاء والسقط والتغييرات ككلّ مصدر تاريخي آخر. ولم يكن الأشخاص الذين وضعوه

[١٩٣] Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus* and *Lost Christianities*

أدوات إلهية آلية الحركة بل كانوا مؤلفين من لحم ودم، كانت لديهم أهدافهم المحددة وميولهم لدى تأليفه، وعاشوا ضمن الآفاق المحدودة لزمانهم ونشّئوا على أفكار بيئتهم.[١٩٤]

ويتفق مع هذا القول الكثيرون ممن يتفحصون الأدلة بذهن موضوعي منفتح. ففي المحصلة النهائية هل كان الله لِيُلْهِم بروايات متضاربة كتلك التي ذكرت للتو؟ أمّا إذا كان الكتاب المقدس كتاب وجهات نظر بشرية فمن بوسعه لوم الناس على كلّ رأي يكوّنونه استنادًا إلى إطار التعاليم المتناقضة الواردة فيه؟

وبوسع المرء أن يؤكد أنه على الرغم من الاختلافات بين الأناجيل الأربعة فإن جميعها ينص على الصلب، وهذا صحيح. ويقنع الكثيرون أنفسهم بمثل هذه الأفكار، بينما يتساءل آخرون عن وجهات النظر البديلة التي ذهبت أدراج الرياح في أعقاب تدمير ما يتراوح ما بين ٢٥٠ إلى ٢٠٠٠ من أعمال الرسل والرسائل والأناجيل التي لم يعتمدها مجمع نيقية، وعن السبب في أن الصلب المزعوم كان مثار جدل في صفوف مسيحيي القرن الأول، أو بعبارة أخرى، ما الذي كانوا يعرفونه ولا نعرفه نحن الآن؟

وفيما يتعلق بألوهية عيسى المزعومة فإن شيئًا من تلك النقاط ليست

---

١٩٤ Zahrnt, Heinz. 1817. *The Historical Jesus*. (Trans. from the German by J. S. Bowden). N. Y: Harper &Row.p.42.

ذات شأن. ولو صَحَّت قصة الصلب فإن قيام عيسى من الموت لايوحي بألوهيته، إلا إذا أوحت ألوهية الأطفال الذين أحيتهم دعوات اليشع أو الرجل الذي أعادته ملامسة عظام اليشع إلى الحياة أو لِعَازَرُ الذي بُعثت فيه الروح مجددًا على يد عيسى بالألوهية، بل إن الله يعد بإحياء الناس جميعًا يوم الحساب — فماذا سيجعل ذلك منا؟

## المستند رقم ١٠ —— العلم بالغيب

ينسب بعضهم الألوهية لعيسى لأنه كان يمتلك المعرفة بعلم الغيب لأحداث معينة وقعت لاحقًا. ولكن أليس ذلك ما يفعله الأنبياء — وهو النبوءة؟ أليس ذلك مافعله السابقون من الأنبياء، مع أن أحدًا منهم لم يكن ذا طبيعة إلهية؟ والأهم من ذلك أن الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما يوحي الله إليهم به، في حين أن معرفته مطلقة. فلو أن عيسى كان إلهيًا لتوقعنا أن يكون علمه شاملاً. إلا أننا نصادف تعاليم تُبطل هذا التوقع على النحو التالي:

يصعب على وجه الخصوص تفسير القول المنسوب إلى عيسى في مرقس (١٣: ٣١) بخصوص يوم القيامة: «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الأبُ». إن أصالة هذا النص لايمكن أن يدانيها الشك، وذلك لأن الجماعة التي فُطرت على تمجيد ربها يندر أن

تأتي بمقولة يعترف فيها هذا الرب بجهله.(١٩٥)

## ملخص الأدلة

يقترح بعضهم أنه على الرغم من الاعتراضات فإن حجم "الأدلة" الهائل يشير إلى أن عيسى كان إلهيًا. ولربما كانت هذه حجة مشروعة لو أسهم كلّ دليل بشيء لدعم النتائج. وليس بالضرورة أن يكون ذلك الإسهام كبيرًا، وإنما يجب أن يكون هناك دليلٌ ملموسٌ لدعم الادعاء. فبضعة من عمد الخشب الكبيرة أو حزمة من مليون غصن صغير أيهما يمكنه حمل الإنسان في النهر. كما أن أونصة الذهب الواحدة يمكن أن تُسبك من فلزّ ذهب واحد ضخم، أو من صهر طن من معدن الذهب الخام. وقضية المحكمة قد تُحسم بصورة فوتوغرافية كاملة واحدة، أو بمائة شهادة ضمنية الدلالة. إلا أن مليون شهادة باطلة لا يمكن أن تؤدي إلى صدور حكم، كما أن بناء معتقد على عشرة من الأدلة أو مائة أو ألف "دليل" لا يسهم شيء منها بشيءٍ لدعم النتيجة هو معتقد لاطائل منه، تمامًا كما لو أنك تحاول العوم على طوافة صُنعت من كومة من الحجارة أو تحاول أن تصهر الملح بغية الحصول على الذهب. ومهما أضفت من حجارة أو صهرت من ملح فإن النتيجة المرجوة سوف تبقى بعيدة المنال، تمامًا كما يخفق مليون "دليل" في دعم الادعاء إذا كان كلّ دليل يفتقر إلى

١٩٥ *New Catholic Encyclopedia*. Vol 13, p.428.

أدنى درجات الصحة.

هل ثمّة "براهين" أخرى على ألوهية عيسى المزعومة؟ عندما تخفق جميع التبريرات الأخرى لبعض رجال الدين تجدهم يزعمون أن عيسى كان ممتلئًا بالروح القدس وعليه فإنه لا بد أن يكون إلهيًا. ولكن هل امتلأ عيسى بالروح القدس بشكل يختلف عما هو الحال عليه مع بطرس (أعمال الرسل ٤: ٨) أو استفانوس (أعمال الرسل ٦: ٥، و٧: ٥٥) أو برنابا (أعمال الرسل ١١: ٢٤) أو إليصابات (لوقا ١: ٤١) أو زكريا (لوقا ١: ٦٧)؟

ويميز بعضهم عيسى عمّن ذكر هنا من الأسماء بدعوى أن الروح القدس كان معه قبل مولده. ولكن آخرون يشيرون إلى أن يوحنا المعمدان لم يُشرَك في الإلوهية مع أنه قد ورد ذكره في إنجيل لوقا (١: ١٥) ما نصه «وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ (اي يوحنا المعمدان) مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».

ويعد بعضهم الروح القدس جزءًا لا يتجزّأ من الله، في حين يصطرع الآخرون لاستيعاب هذا المفهوم وهم ليسوا متأكدين سوى من أمر واحد ألا وهو أن الروح القدس –كائنًا ماكان – يُرسل إلى جميع الصالحين كما جاء في الكتاب المقدس" «وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أيضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ» (أعمال الرسل ٥:٣٢). إن النتيجة القائلة بأن الروح القدس يعطى إلى جميع الذين يطيعون الله لهي نتيجة ذات وقع يرضاه المنطق، وهذا المفهوم هو أقل مايمكن أن يتماشى والكتاب المقدس. وهنا يبرز السؤال ... "ما الروح القدس"؟

# ١١– الروح القدس



**إن أنت تحررت من الشهوة أدركت السر.**

**ولكنك إذا انغمست فيها فلن ترى سوى المظاهر.**

لاوْ تزو، **تاو تي تشنغ** *Lao-Tzu, Tao Te Ching*

الجميع يعرف تعبير "الروح القدس" إلا أن من يحاول تعريفه هم قلة. وأولئك الذين يفعلون ذلك عادة ما يخرجون بمزيج من الآراء الشخصية والدفاعات المبهمة، وإن كانت مُجازة عقديًا. وفي أذهان الغالبية فإن هذه النظرية اللاهوتية كمزيج الماء والزيت تُخفق في التحول إلى واقع متجانس. أما الفهم الإسلامي لهذا التعبير فهو ملموس بدرجة كبيرة إذ يوضح أن "الروح القدس" هو جبريل، أمين الوحي. وعندما نقع على ذكر "روح القدس" في القرآن الكريم (٢: ٨٧)، فإننا نجد أن بعضهم (مثل يوسف علي) يترجمونها إلى الإنجليزية بـ "holy spirit" (وتعني الروح القدس) في حين يترجمها آخرون (مثل محمد الهلالي ومحمد خان) يترجمونها بـ

"Gabriel" (أي جبريل)، وهناك فريق آخر يقدم كلا الترجمتين (الروح القدس وجبريل) معًا قاصدين بذلك أن التعبيرين مترادفان في العقيدة الإسلامية.

فبينما يدعو الإسلام إلى أن الكتاب المقدس قد حُرِّف بدرجة أو بأخرى، فإن الكثير من المسلمين يؤكدون أن حقيقة الإسلام لابد أنه يمكن العثور عليها **في الكتاب المقدس**. وحيث إن المسلمين كثيرًا ما يقيمون الحجة الداعمة للعقيدة الإسلامية على أساس من تعاليم الكتاب المقدس، فلنا أن نسأل: "كيف يفسر المسلم استخدام **'**الروح القدس**'** في الكتاب المقدس؟" إذ لا يمكن الاستعاضة بـ "جبريل" عن "الروح القدس" دون جعل العديد من نصوص الكتاب المقدس تبدو غير معقولة وعديمة المعنى.

وهكذا فإن التحدي بالنسبة إلى المسلمين هو إما إيجاد معنى لهذا التباين – **من منظور إنجيلي** – وإما الكفّ عن طرح الإسلام على أساس الكتاب المقدس. وبذلك يغدو هذا في المحصلة تحدّيًا عادلاً، وإلا فإنه يمكن اتهام المسلمين بالخداع ذاته الذي يتهمون به المسيحيين، ألا وهو انتقاء تلك الآيات الإنجيلية التي تتماشى وأغراضهم وحسب، وترك النصوص التي لا تتناسب وعقيدتهم دون بيان عدم مصداقيتها الشرعية. غير أنه من أجل فهم المنظور الإسلامي لابد من أخذ نقطتين على الأقل بعين الاعتبار: الأولى تتعلق بمصداقية الكتاب المقدس المشكوك فيها، والتي سوف يتم تناولها في فصول لاحقة مخصصة لهذا الموضوع. وأما الثانية

فتتداخل مع الأولى، وهي أن المسلمين لا يزعمون أن الكتاب المقدس وحي من عند الله غير محرّف ينير الطريق إلى القرآن الكريم والإسلام. بل بالأحرى يعتقد المسلمون بأن الكتاب المقدس يحتوي حقائق سماوية وتحريفات بشرية على حد سواء. والواقع أن التحريفات الإنجيلية تشمل الغمط بدءًا من أخطاء النسخ وانتهاءًا بـ الإضافات ذات الدافع العقدي، والحذوفات، والترجمات غير النزيهة، كما يحتوي في بعض الحالات على التزوير أيضًا.[١٩٦]

وهكذا فإن قوة دفع الطرح المسيحي والإسلامي التوحيديين لا يقتصر تركيزهما على الالتزام الصادق بالحقائق الموحاة من عند الله إذًا، بل يتعداها للاعتراف بالتحريفات التي طرأت على النصوص المقدسة والتبرؤ منها.

فلننظر على سبيل المثال إلى الكلمة اليونانية "*pneúma*". ففي الكتاب المقدس تترجم هذه الكلمة بـ "الروح". إلا أن **المعجم اللاهوتي للعهد الجديد** لـ كِتِل وفرِدرِك Kittle and Friedrich يخبرنا بأن "*pneúma*" قد تحمل معانيَ أكثر من ذلك بكثير (وكذلك معانيَ **أقل** من ذلك بكثير): ريح، نَفَس، حياة، روح، محوّلة (من حيث المعنى المجازي) إلى معنى الروح، و*pneúma* التنبئية (الروح التي تثير وتُلهم)، و *pneúma* الإلهية (التي يعلق المؤلفون عليها قائلين: "ولكن ليس هناك معنى في اليونانية للدلالة على روح مقدسة شخصية")، و *pneúma* الرواقية

[١٩٦] Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus* and *Lost Christianities*

(الرواقية stoicism فلسفة يونانية قديمة يعتنقها قلة من الناس في الوقت الحاضر)، والتطور غير اليوناني للمعنى (أي غير الأصلي، ذلك أن اليونانية لم تكن اللغة [الأصلية] التي تكلم بها عيسى).[١٩٧]

وفي قراءة ما سبق، نجد أن مترجمي الكتاب المقدس قد أجازوا لأنفسهم رخصة أدبية لا يستهان بها، حيث إن الترجمة السليمة لكلمة "*pneúma*" هي ليست "الروح القدس" في كلّ موضع كان. فوفقًا للنص الوارد أعلاه (الذي يعد من أفضل المراجع العلمية حول هذا الموضوع في العالم) فإن كلمة "*pneúma*" تتضمن احتمالات متباينة في الترجمة. وبطبيعة الحال فإن "الريح المقدسة" أو "النّفَس المقدس" لا تدعمان عقيدة التثليث كما تدعمها "الروح القدس"، ولكن ما عسى المترجم يفعل: أيسعى وراء حقيقة الوحي الرباني أم يتلاعب بالترجمة في سبيل دعم مراسيم كنسية؟

لندع جايسون بيدون Jason BeDuhn يجيب عن ذلك السؤال. ففي كتابه المرموق **الحقيقة في الترجمة** *Truth in Translation* كتب يقول:

> من خلال فحصنا لاستخدام كلمة "روح" في العهد الجديد، وجدنا أنه ليس هناك ترجمة واحدة لها ترتكز إلى جملة القواعد والنحو والسياق الأدبي والبيئة الثقافية ارتكازاً يتسم بالاتساق

---

١٩٧ Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.pp.876-877.

التام. فقد وجدنا أن مترجمي جميع النسخ التي قمنا بمقارنتها كان لديهم انحياز لاهوتي حدا بهم لعدم توخي الدقة التامة في الترجمة. ففي بعض الأماكن المحددة وجدنا أن الجميع أدخل مصطلح "الروح القدس" في نصوصٍ حيث كلمة "الروح" كانت تستخدم لتدل على معنىً مغاير ... ولم تنبثق عن كل ذلك ترجمة واحدة كان من شأنها أن تعالج الاستخدامات المتعددة لـ "روح" و "روح القدس" والفروقات الدقيقة فيما بينها على نحو متسق.[١٩٨]

ثم هناك أيضًا "التصادف" المريع بين كون إنجيل "يوحنا" أكثر شاعرية من كلّ إنجيل آخر على نحو لافت للنظر واستخدامه الفريد للـ "*pneúma*" التنبئية كما ورد أعلاه. وقد بلغ التباين حدًّا حَدَا بعلماء اللاهوت إلى الاعتراف بدهشتهم من قلة الإشارة إلى "الروح" في إنجيلي مرقس ومتّى مقارنة بإنجيل يوحنا.[١٩٩] وإذا ما قرنّا هذا بحقيقة أن عقيدتي التثليث والتجسّد تنبعان أساسًا من تأويلات متكلّفة لتشدقات "يوحنا" الشعرية مع تأييد نصي ضئيل من الأناجيل الأخرى – إن وجد – فإن الأساس البالي لهذين المعتقدين سوف يتداعى تحت عبء ثِقلهما.

ومما لا شك فيه أن هناك متّسعًا كبيرًا لتأويل نصوص الكتاب المقدس. فهناك من يقرأ الكتاب المقدس ويفهم "الروح القدس" بأنه عنصر ثالث

---

[١٩٨] BeDuhn, Jason David. 2003. Truth in Translation. University Press of America, Inc. pp. 158-159, 162 .

[١٩٩] المرجع السابق، ص 886.

غير محدِّد للألوهية، وهو أقرب ما يكون إلى "*pneúma*" الرواقيّة أو المعنى المزيف الذي تبلور ما بعد فترة نزول الوحي. وآخرون يفهمون أن الله واحدٌ لا شريك له ولا أقانيم، ويبحثون عما هو عقلاني ومبرّر وفقًا للمنطق. ولا يمكن لهذه الفئة الأخيرة أن تفهم "الروح القدس" إلا باعتباره وحدة ملموسة منفصلة ومتميزة عن الله.

وكمثال على كيفية تأذّي الكتاب المقدس بفعل الترجمة، وبالنتيجة عن سبب تباين النتائج جرّاء ذلك، تكمن حقيقة أن كلمة بَرَكْليْت *paraclete* (المشتقة من الكلمة اليونانية "*parakletos*") يمكن أن تعني "نصيرًا، حاميًا، وسيطًا، مواسيًا".[٢٠٠] وفي مواضع أخرى تترجم الكلمة بـ "محامٍ أو نصير".[٢٠١] ويوافق هاربر Harper على ترجمتها بـ "محام".[٢٠٢] ولماذا يعد هذا هامًا؟ لأن "كلمة بَرَكْليْت *paraclete*" ترد فقط خمس مرات في الإنجيل، وجميعها ترد فيما يُزعم بأنها كتابات القديس يوحنا: رسالة يوحنا الأولى (٢: ١) وإنجيل يوحنا (١٤: ١٦، و١٤: ٢٦، و١٥: ٢٦، و١٦: ٧)".[٢٠٣]

فهل علينا أن نفترض أن هذه الكلمة غابت عن أذهان مؤلفي الأناجيل الآخرين؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن لنا أن نشك بأن هذه

---

٢٠٠ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 10, p.989.

٢٠١ Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p.782 .

٢٠٢ Achtemeier, Paul J. p. 749.

٢٠٣ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 10, p.989.

الكلمة لابد أنها لم تكن ذات أهمية. لكن على النقيض من ذلك، فهذه النصوص الخمسة **بالغة الأهمية**. وفي الواقع فإن التوكيد الثالوثي على ضرورة قبول الروح القدس يتوقف على هذه الاستشهادات القليلة. ويمكن للمرء أن يقدّر خصوصية عدم الانسجام هذا، لأنه إذا كان مفهوم البَرَكْلِيت "*paraclete*" على هذا القدر من الأهمية بالنسبة إلى العقيدة التي يريد الله من الإنسان أن يستمدها من الوحي، فإننا نعجب من كون هذا المفهوم لم يترك من التأثير مايكفي في مؤلفي الإنجيل الثلاثة الآخرين كي يشيروا إليه في أناجيلهم ولو مرة واحدة.

ومهما تكن الأسباب فإن كلمة بَرَكْليت "*paraclete*" هي من الكلمات التي كثيرًا ما تترجم خطأً بـ "الروح القدس". حتى في الترجمات الحديثة للكتاب المقدس التي تميل إلى قدر أكبر من النزاهة الأكاديمية، فإن بَرَكْلِيت لاتزال تترجم خطًا بـ"الناصح" أو "المعَزِّ". وتشير الترجمة السليمة "معين" أو "نصيرٍ" أو "وسيطٍ" أو "مواسٍ" أو "محامٍ" أو "معينٍ" إلى وحدة جسدية فعلية من شأنها أن تكون متّسقة مع حقيقة أن "بعضهم يتتبّع أصل استخدام "*Parakletos*" في الأعمال اليوحناوية بأنه يعود إلى مفهوم المِدَد السماوي".[٢٠٤] ومن له أن يكون "مددًا سماويًا"، أكثر من جبريل أمين الوحي نفسه؟

وعلى نحو مشابه، فإن "بَرَكْلِيت *Parakletos* كانت في الاستخدام

---

[٢٠٤] Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p.783 .

اليوناني في القرن الأول مصطلحًا قانونيًا يستخدم أساسًا بمعنى محام، مدافع، أو شفيع. وموافقةً لمعناها الأساسي 'الشخص الذي يُدعى ليناصر، أو يدافع، أو ينصح أو يشفع،' كانت تستخدم للمستشار القانوني وللشهود على حد سواء". [٢٠٥]

وهذه المقتطفات تساعدنا على فهم ما عنته كلمة بَرَكليت في فترة نزول الوحي. إلا أنه عند نقطة معينة مع مرور الزمن زعم نخبة علماء اللاهوت أنهم أعلم من غيرهم، وعملوا على بلورة فهم مغاير تمامًا للكلمة. فقد ثبت أن ربط "*Parakletos*" بـ وحدة جسدية ما أثبت أنه لم يتناسب وأغراض أولئك الذين سعوا إلى تعزيز الحجة التثليثية، ويبدو أنهم سعوا إلى تفادي ذلك بكل الأثمان.

ولنستعرض ما سبق شرحه:

١. يصعب تعريف "الروح القدس" في الديانة المسيحية ولكن تعريفه ملموس وراسخ في الإسلام حيث إنه تعبير مرادف لـ جبريل، أمين الوحي.

٢. هناك تعاريف عديدة لكلمة "*pneúma*" ولكنها في معناها اليوناني الأصلي ليس ثمة مكان تترجم فيه بـ"الروح القدس".

٣. لا تترجم "*pneúma*" بـ"الروح القدس" إلا وفقًا "للتطور غير اليوناني للمعنى" المشتق وغير الأصيل.

---

[٢٠٥] Hastings, James. *Dictionary of the* Bible.p183.

٤. إن النظرية اللاهوتية المسيحية فيما يتعلق بالروح القدس تعتمد اعتمادًا يكاد يكون حصريًا على إنجيل يوحنا وعلى رسالة يوحنا الأولى.

٥. لا يرد ذكر لل بَرَكليت "*Paraclete*" في واحد من كتب العهد الجديد الأخرى (الأسفار والرسائل والأناجيل).

٦. يبدو أن الترجمة الصحيحة لكلمة بَرَكليت "*Paraclete*" تشير إلى وحدة مادية، وقد تكون إنسانًا أو ملاكًا.

وإذا ما وضعنا هذه النقاط نصب أعيننا فإن ما يتبقى هو تتبع معنى بَرَكليت "*Paraclete*" في جمل العهد الجديد الخمس التي ترد فيها. وهي حسب ترتيب ورودها:

**١**. تعرّف رسالة يوحنا الأولى (٢: ١) عيسى المسيح بأنه ال بَرَكليت "*paraclete*" (وهنا تمت ترجمتها بـ"شَفِيعٌ") على النحو التالي: «وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ [أي بَرَكْليت] عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ». وهكذا فمهما كان الـ"بَرَكْليت" – شفيعًا أو نصيرًا أو معزيًا أو أيًا كان – فقد كان عيسى "بَرَكْليت" وفقًا لهذه الآية.

**٢**. ينص يوحنا ١٤: ١٦-١٤: ١٧: «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ [أي بَرَكْليت] لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ».

لاحظوا النعت "آخر" في عبارة "معزّيًا آخر". إن الكلمة اليونانية المستخدمة في هذه الجملة هي آلّوس '*allos*' التي تعني 'الآخر'، وتستخدم فقط في حالة وجود كثيرين، تمييزًا لها عن '*heteros*' التي تستخدم في حالة وجود اثنين فقط..."[٢٠٦] فالصياغة محددة ولا تترك مجالاً للتأويل. ويبدو أن عيسى في هذه الآية قد أوعز لحوارييه (والناس أجمعين) بأن يترقبوا "بَرَكليت" آخر (أي نصيرًا) بعد انتهاء بعثته. وليس نصيرًا آخر فحسب، بل نصيرًا يتميز بالصدق (رُوحُ الْحَقِّ) ويحمل رسالة خالدة (لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ).

فهل بإمكاننا أن نستنتج أن هذا "الآخر" (النعت الذي يستخدم فقط في حال وجود كثيرين) هو النبي الخاتم لسلسلة طويلة من الأنبياء الذي سيبلّغ وحيًا أخيرًا؟ أليس هذا استنتاجًا مريحًا أكثر من الادعاء المتكلف والمشتق من "التطور اليوناني للمعنى" غير الأصيل بأن عيسى يصف "روح قدس" مبهمًا؟ ومن جهة أخرى فإن الاستنتاج القائل بأن عيسى يتفرد بالوصف "ابن الله المولود وليس المخلوق" دون سائر من يحملون الوصف ذاته الذي ينطبق عليه (أي وصف "بَرَكليت") هو استنتاج ليس عاريًا عن الصحة وحسب، بل هو مخالف للنصوص المقدسة.

وكي لا يحدث إرباك بشأن هذه المسألة فإن العهد الجديد يؤكد أن الكلمة اليونانية "*pneúma*" (المترجمة فيما يلي "بالروح") ليست محصورة

---

[٢٠٦] Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p.43.

في كائنات ذات قوى أو صفات روحانية خارقة، بل يمكن أن تشير إلى بشر من لحم ودم بمن فيهم الصالح والطالح. فعلى سبيل المثال ورد في رسالة يوحنا الأولى (٤: ١– ٣) ما نصه:

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ».

إن هذه الآية لا توضح الطبيعة البشرية لبعض "الأرواح" (أي *pneúma*) فحسب بل يزعم المسلمون أن هذه الآية تُدخل محمدًا مع أولئك الذين "مِنَ عند اللهِ" لأن كلّ روح "يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ"، وقد قالها محمد ويؤكدها المسلمون كافّة وينص عليها القرآن الكريم. وكونها في أذهان مليار من المسلمين، فإن ذلك يحسم الأمر.

**٣**. و**٤**. نجد الإشارة الثالثة إلى "البركليت" في يوحنا (١٤: ٢٦) والذي نصه: «وَأَمَّا الْمُعَزِّي (أي البَرَكليت)، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ».

وأما الإشارة الرابعة في يوحنا (١٥: ٢٦) فنصها مماثل تقريبًا. ومن

جديد قد يبرّر التثليثيون معتقداتهم الصوفية بالآية السابقة، بينما يرى فيها آخرون إشارة إلى نبيّ سيُذكّر العالم برسالة عيسى الحقة في مقابل الضلال الذي شاب معتقدات أجيال لاحقة لعيسى ومذاهبهم. ومرة أخرى يقترح المسلمون على النصارى أخذ محمد والقرآن الكريم في عين الاعتبار. فإجماع التعليقات على أن محمدًا سوف "يشهد بحقيقة ما فعل عيسى وما قال ومن كان،"[٢٠٧] و"مع أن ذلك المحامي السماوي هو تجسيد لـ 'روح الحق' (يوحنا١٤: ١٦، و١٥: ٢٦، و١٦: ١٣) فإن العالم لن يصغي إليه (١٤: ١٧)،"[٢٠٨] إن كلّ هذا سوف يصبح ذا معنى إذا ما سلّمنا بصحة نبوّة محمد. وكما ناقشنا آنفًا، فإن كلاً من محمد والقرآن الكريم قد شهدا بـ"حقيقة ما فعل عيسى وقال وماذا كان". يضاف إلى ذلك أن محمدًا كان معروفًا بالصدق (أي إنه كان "روح الحق") – فطوال حياته كان يعرف بالصادق الأمين حتى بين أعدائه. ومع ذلك فإن غالبية بني البشر لن "يستمعوا إليه" أو يتأملوا في رسالته.

**٥**. ونجد الإشارة الأخيرة إلى البَرَكليت "*Paraclete*" في إنجيل يوحنا (١٦: ٧): «لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ».

وهذه الإشارة الأخيرة إلى الـ"البَرَكليت" أشبه ما تكون بقذيفة صاروخية وإن كانت صغيرة تهدم كلّ ما جاور نقطة ارتطامها البريئة من

[٢٠٧] *New Catholic Encyclopedia*. Vol 10, p.990.

[٢٠٨] المرجع السابق، ص.989.

معتقدات. وقد يستمر التثليثيون في التأكيد بأن الـ"البَرَكليت" يشير إلى "روح القدس" الصوفية، إلا أن يوحنا (١٦: ٧) ينفي ذلك الاحتمال. كيف؟ فقد ورد عن عيسى قوله إنه ما لم يرحل فإن "البركليت" لن يأتي، وإن كان العديد **العديد** من نصوص الكتاب المقدس تتحدث عن وجود "الروح القدس" إبّان عهد عيسى أو قبله.[٢٠٩] ولا يمكن أن يكون كلاهما صحيحًا، والنتيجة الأكثر منطقية، إذا ما أردنا الوثوق بالكتاب المقدس، هي أن "الروح القدس" والـ"البَرَكليت" لا يمكن أن يكونا مترادفين على الإطلاق.

ومما يفاقم الإرباك أن عيسى قد ناقض نفسه على ما يبدو. فإنجيل يوحنا (١٤: ١٧) ينص على أن الـ"بركليت" كان موجودًا مسبقًا: «أَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ [الـ"بركليت"] لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ» وهذا منطقي نظرًا إلى أن عيسى نفسه وُصف بالـ"بركليت" في رسالة يوحنا الأولى (٢: ١). إلا أن يوحنا (١٦: ٧) ينص على أن الـ"بركليت" سوف يأتي لاحقًا: «لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي [الـ"بركليت"]، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ». ما استنتاج الكنيسة؟ الـ"بركليت" هو بركليت آخر يكون فيه عيسى إلا أنه ليس بعيسى (١٤: ١٨، ١٦: ٧)".[٢١٠] بعضهم يقبل بهذا التفسير. أما الآخرون فيعتقدون أن عيسى تكلم عن

---

[٢٠٩] انظر صموئيل الأول (١٠:١٠)، و صموئيل الأول (١١: ٦)، وإشعياء (٦٣: ١١)، و لوقا (١: ١٥، ١: ٣٥، ١: ٤١، ١: ٦٧، ٢: ٢٥-٢٦، ٣: ٢٢)، و يوحنا (٢٠: ٢١-٢٢).

[٢١٠] Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p. 892

نفسه في موضع، وعن نبيّ يأتي من بعده في موضع آخر. وقد آمن مليارات المسلمين بأن هذه البشارة تحققت في محمد. كما يرى بضعة ملايين من طائفة المورمون Mormons أن هذه البشارة تحققت في جون سميث John Smith، وهناك عدد قليل متناثر من أتباع الأحمدية يقولون بتحققها في ميرزا غلام أحمد Mirza Ghulam Ahmad، ويرى البهائيون أنها تشير إلى كلّ من ميرزا علي محمد Mirza Ali Muhammad Ali وميرزا حسين علي Mirza Husain Ali، ويرى حفنة من الناس أنها تشير إلى ديفيد كورِش David Koresh وجِم جونز Jim Jones ولَوك جورِت Luc Jouret ومارشال أبلوايت Marshall Applewhite وأصحاب طوائف أو فرق دينية مماثلة (وانظر ماذا جرى لهم). ولعل المسألة الحاسمة هنا ليست فيما إذا كان عيسى قد تنبّأ بنبيّ يأتي من بعده، بل مَن مِن أدعياء اللقب هؤلاء تنطبق عليه البشارة؟

# ١٢- الصلب



**إن نبأ وفاتي كان مبالغة.**

مارك توين: رسالة إلى *New York Journal* ردًا على إشاعات وفاته بينما كان في أوروبا.

إذا كان هناك من حَجَر أساس في المسيحية الأرثوذكسية فهو معتقد الصلب. ولكن إذا ما توقع المسيحيون من الآخرين أن يتّبعوا عقيدتهم فإن عليهم الإتيان بالأدلة الداعمة لذلك. فالجميع يعرفون القصة. والكل يعلم الرواية الإنجيلية لها. ولكن الجميع يعلمون أيضًا أنه قد ذاعت أساطير أخرى عبر فترات أطول من التاريخ الديني، وأن طول مدة الزيف ومدى انتشار هذا الزيف لايمكن في كلّ حال من الأحول إثبات صحة هذا الصلب. وهكذا فبينما يسلّم الكثيرون بمعتقد الصلب دونما مُسَاءْلة، يبقى هناك الكثير ممن هو غير قانع بالرواية أصلاً. فمثل هؤلاء يقرؤون: «أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ» (رسالة بولس الرسول

الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ٣)، ويسألون: "ولكن حسب أي كتاب بالضبط؟". يقول كارمايكل Carmichael: "يبدو الأمر محيرًا فيما يتعلق بالإصرار الكامل في الأناجيل وفي رسائل بولس بأن كلّ شيء قد تحقق وفقًا لما ورد في الأناجيل. إذ لايوجد من المعتقدات – مثل موت المسيح وبعثه – ماهو مدوّن لدى اليهود على الإطلاق ولا في كتبهم المقدسة."[٢١١]

إن بولس نفسه هو من عرّض معتقد الصلب والأسرار المتعلقة به للانتقادات عندما كتب: «لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ٢٢-٢٣).

أو بعبارة أخرى، "نحن ندعو إلى معتقد دونما دليل ودونما حكمة – فمن يصدقنا؟"

لا غرو إذًا أن يعدّ الكثيرون الصلب منافيًا للرحمة الإلهية. فالمسلمون مثلاً يؤمنون بأن عيسى قد نُجّي من الصلب وفقًا لما ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا . بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ

[٢١١] Carmichael, Joel.p. 216.

إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (القرآن الكريم ٤: ١٥٧-١٥٨).

وإذا ما آمن المرء بأن عيسى هو الله، فإن له أن يتساءل لماذا يسمح الله للموت أن يدركه وهو يملك القدرة على إنقاذ نفسه. وإذا ما آمن المرء بأن عيسى كان وَلَد الله، فلماذا لا يستجيب الله لدعاء ولده حيث ورد عن عيسى قوله: «اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ» (متّى ٧: ٧-٨). وقد ورد **حقًا** أن عيسى ناجى ربّه لدرجة أن عرقه تصبب «كقطرات دم» (لوقا ٢٢: ٤٤) من فرط دعائه لربه كي ينقذه. ولكن لم يؤثر عن عيسى في موضع من المواضع قولٌ مثل: "لأن كلّ من يسأل يأخذ، فيما سواي وحدي". وجاء في متّى (٧: ٩)، «أَمْ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ خُبْزًا، يُعْطِيهِ حَجَرًا؟» وبعبارة أخرى، فمن يتصور أن الله يستجيب لتضرع نبيّ حُكم عليه بالموت بأن يدعه معلقًا على الصليب في عطلة نهاية الأسبوع بدلاً من إنقاذه؟ ويا لها من عطلة يقضيها تحت أشعة الشمس الحارقة ولايملك أن يروي ظمأه إلا أن يرشف قطرات من الخل غائبة في ثنايا قطعة من الإسفنج! هناك مسألة تناقض هنا — فإذا ما آمن الناس بأن الله أو ابن الله وُلد في بِرْكة من بوله (وهو ما يتكون منه النُّخط)، عندها لن تكون لديهم مشكلة في الاعتقاد بأن الله أقدم على الانتحار (إذ ماذا يمكن أن نسمي سماح المرء لنفسه كي يموت عندما يكون قادرًا على إنقاذ نفسه إلا انتحارًا؟). وعلى نحو مماثل، فإن أناسًا مثل هؤلاء لن يجدوا

غضاضة في الاعتقاد بأن الله قد تخلّى عن ابنه وهو في أمس الحاجة إليه. ويتساءل العالم بأسره: "مع أي العقائد يمكن لهذا المفهوم عن الله أن يتماشى؟"

ربما يتماشى هذا مع واحد مثل تِرتولْيان الذي سبق ذكره والذي ابتدع صيغة التثليث. فقد مرّ بنا التعليق الذي قُدم من أن "تِرتولْيان كان يتّسم بالتناقض. فالصبغة الربانية للمسيحية في نظره أُثبِتت ليس بمعقوليتها بل بسبب حقيقة كونها ذلك النوع من الشيء الذي لايمكن لعقل بشري أن يخترعه. فصلب ابن الله يبدو أمرًا سخيفًا ومشينًا: 'وأنا أؤمن بذلك لأنه كان أمرًا فظيعًا'."[٢١٢]

**أؤمن بذلك لأنه كان أمرًا فظيعًا**. ولو كان هذا هو المنهج الرباني، أفليس من حقنا أن نؤمن بكل نظرية لاهوتية شائنة؟ وكلما كانت النظرية "سخيفة ومشينة" كان ذلك أفضل؟

ولكن سيظهر لنا من يقول: "لكن عيسى مات من أجل خطايانا!" ويسأل سائل: "لماذا؟ هل لأن الله لا يمكنه أن يغفر لنا بطريقة أخرى تختلف عن ذلك؟ أم إن الله **يحتاج** إلى قربان؟" إن هذا ليس مايعلّمنا إياه الكتاب المقدس. فقد أُثر عن عيسى نفسه أنه لقّن فحوى ما ورد في هوشع Hosea (٦:٦): «إني أريد رحمة لا ذبيحة». وليس مرة واحدة فحسب، فقد كان الدرس جديرًا بأن يُذكر في موضعين من إنجيل متى (٩:

---

McManners, John. P.50. ٢١٢

١٣) و(١٢: ٧). فلماذا إذًا يدعو رجال الدين إلى أنه كان لزامًا على عيسى أن يُضحّي بنفسه؟ وإذا كان قد بُعث من أجل هذا الغرض فلماذا دعا الله كي ينقذه؟

وعلاوة على ذلك، لماذا يجب علينا أن نؤمن لكي نجد الخلاص؟ فمن ناحية، تعد الخطيئة الأصلية ملزمة سواء آمنا بها أم لم نؤمن. ومن ناحية أخرى، فإن الخلاص مشروط بالقبول (أي الإيمان) بعقيدة صلب عيسى وتكفيره للخطايا. وهكذا نرى أن الإيمان لا يقدّم ولا يؤخّر في الحالة الأولى ولكنه مطلوب في الحالة الثانية. وهنا يبرز السؤال: "هل دفع عيسى الثمن أم لا؟" فإذا كان قد دفع الثمن فقد غُفرت خطايانا جميعًا سواء آمنا بذلك أم لم نؤمن. أما إن كان لم يدفع الثمن فإن الإيمان وعدمه سيّان. وأخيرًا فإنه **ليس** للغفران ثمن. فالمرء لايمكنه أن يسمح لشخص آخر بالدَّيْن ثم يطالبه بسداد هذا الدَّيْن. فالقول بأن الله يغفر شريطة أن يقدم له قربان لم يطلبه أصلاً (انظر هوشع ٦:٦ ومتّى ٩: ١٣، و١٢: ٧) لايمكن أن يصمد أمام التحليل العقلاني. من أين جاءت تلك المعادلة إذًا؟ وفقًا لما يقوله الكتاب المقدس هي ليست من عند عيسى. فهل يفضل الناس تصديق تعاليم **حول** النبي على تصديق ما صدر **عن** النبي؟ إن الكتاب المقدس يدين مثل هذه الفرضيات المعكوسة، فقد جاء في متّى (١٠: ٢٤) عن عيسى قوله: «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ».

إذًا ما الذي ينبغي لنا أن نفهمه من هذه الآية «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ،

وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» (لوقا ٢٤:٤٦)؟ فإذا خُيرنا بين التفسير الحرفي والمجازي نجد أن الاستعارة فقط هي التي تؤدي المعنى إذا أردنا التوفيق بين أمرين هما أن الله غني عن القربان وأنه كان لزامًا أن "يموت" عيسى من أجل خطايا البشر. أضف إلى ذلك أن الإشارات الإنجيلية للموت كثيرًا ما تكون مجازية، كما في عبارة بولس عن معاناته: «أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ» (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ٣١).

وعليه لعل "القيام من الأموات" لا تعني البعث من حالة الموت الحقيقية بل من موت مجازي، كما في الحالات التالية:

١. بعد أن يكون المرء نائمًا أو غائبًا عن الوعي (كما في "غط في نوم عميق وكأنه ميت").

٢. بعد معاناة (كما ورد في العديد من التشبيهات الإنجيلية للمعاناة بالموت).

٣. بعد عجز (كما في " لم أستطع القيام بشيء ليلة أمس، فقد كنت ميتًا من التعب").

٤. بعد أن كان في قبر أو ضريح وعُدّ من بين الأموات ولكنه كان في الواقع حيًا (كما في "تعافى بأعجوبة - كمن عاد من عالم الأموات").

وعلى كلّ حال يورد متّى (١٢: ٤٠) على لسان عيسى قوله: «لأَنَّهُ

كَمَا كَانَ يُونَسُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال». وهذه الآية البسيطة تفتح الباب على مجال من التفكير ربما لم يتطرق إليه أحد. إذ يفترض أن "ثلاثة أيام وثلاث ليال" تعني تمامًا ما تنص عليه، وإلا فَلِم حُدّدت بمثل هذه الدقة. لكن إذا صدقنا الكتاب المقدس نجد أن عيسى قد أمضى يومًا واحدًا وليلتين (ليلة الجمعة ونهار السبت وليلة السبت) في القبر عقب صلبه المزعوم. فهل يمثل هذا صعوبة؟ يجب أن نظن كذلك وذلك لأن الاقتباس أعلاه كان الجواب الذي قاله عيسى عندما طلب إليه الإتيان بآية إذ نُقل عنه أنه أجاب بالقول: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال» (متّى ١٢: ٣٨-١٢). فعبارة "وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ ..." توضح دون لبس أن هذه هي الآية **الوحيدة** التي جاء عيسى بها. ف إبراء الأبرص أو الأكمه، وإحياء الموتى، وقري الطعام، والمشي على الماء، وإخماد العاصفة لم تكن آيات، بل الآية الوحيدة التي قدمها عيسى هي آية يونس.

الكثير من المسيحيين يقيمون إيمانهم على شيء يعدّونه معجزة سواء أكانت وردت في الإنجيل أو منسوبة إلى القديسين أو نجمت عن تجارب شخصية. غير أن من المدهش أن عيسى قد أفرد آية يونس بصفتها المعجزة الوحيدة التي سيأتي بها. فلم يشر إلى التماثيل الباكية ولا إلى رؤيا

مريم ولا إلى الشفاء بالإيمان، كما لم يشر إلى التحدث بعدة لغات ولا إلى طرد الارواح الشريرة ولا تلقّي الروح القدس، بل كلّ ماجاء به كان آية يونس دون سواها. ووفقًا للكتاب المقدس يجب على الذين يتبنون آيات أخرى غير آية يونس أن يدركوا أنهم بذلك يخالفون تعاليم عيسى. ونظرًا إلى تركيزه على معجزة يونس هذه، فيتوجب علينا أن نتفحصها.

يخبرنا الكتاب المقدس بأن عيسى صُلب يوم الجمعة، وهذا يفسر سبب رغبة اليهود الملحة في التعجيل بموته مع المجرمَيْن اللّذَيْن صلبا معه. ومغيب يوم الجمعة يُؤذن بالسبت عند اليهود، فالتقويم العبري تقويم قمري وهذا يعني أن اليوم عندهم ينتهي مع مغيب الشمس. وعليه فإن غروب شمس الجمعة يؤذن بدخول يوم السبت، أي السبت اليهودي. والمشكلة التي واجهها اليهود آنئذ هي أن الشريعة اليهودية تحرّم بيات جثث الموتى وهي معلقة (سواء أكانت معلقة على الصليب أو على حبل المشنقة — سفر التثنية [٢١: ٢٢-٢٣])، ولكنها تُحرّم أيضًا إنزال الجثث ودفنها يوم السبت. لقد كانت معضلة من معضلات العهد القديم. فلو أن أحد المصلوبين مات يوم السبت، لما كان باستطاعة اليهود ترك الجثة معلقة أو دفنها. والحل العملي الوحيد كان التعجيل في موت المدانين، ولهذا أرسِل الجنود الرومان لكسر سيقانهم.

فسرعة الموت لدى الصلب لا تتوقف على جَلَد الشخص المصلوب فحسب، وهو ما لا يمكن التنبؤ به، بل على قوته البدنية كذلك. ومعظم الصلبان كانت تُصنّع وقد زُوِّدت بمقعد صغير أو ركيزة خشبية لحمل ثقل

الضحية حملاً جزئيًا من أجل إطالة فترة التعذيب. وفي حال عيسى، فيروي التراث المسيحي أن قدميه كانتا مثبّتتان بالمسامير على خشبة الصليب. وسبب هذه الوحشية هو أن المدان سوف يُجبر على إسناد ثقل جسده على قدميه المغروزتين بالمسامير، الأمر الذي يضاعف الألم المبرّح. إلا أن الرومان كانوا في كثير من الأحيان يعجلون بموت الضحية وذلك بكسر ساقيها، وفي هذه الحالة فإن المصلوب سوف يتدلى على الصليب وثقل جسمه واقع على ذراعيه الممدودتين مما يجهد عضلات الجهاز التنفسي، وبالتالي يصبح الضحية غير قادر على التقاط أنفاسه. وهكذا فإن آلية الموت تصبح الاختناق البطيء، وهي أشد بطئًا لدى الأشخاص ذوي التحمل الأكبر والذين يمتلكون إرادة الحياة.

وينص الكتاب المقدس على أن الجنود الرومان أرسِلوا لكسر سيقان المدانين؛ إلا أنهم لدى وصولهم وجدوا عيسى ميتًا، فأنزلوه عن الصليب ووضعوه في اللحد. متى تم ذلك؟ في ساعة متأخرة من عصر الجمعة قبيل الغروب.

وفي صباح الأحد **وقبل شروق الشمس** عادت مريم المجدلية إلى القبر بعد أن استراحت يوم السبت وفقًا للشريعة (لوقا ٢٣: ٥٦، ويوحنا٢٠: ١) فوجدته فارغًا، وهناك قيل لها إن المسيح قام من الموت (متّى ٢٨: ٦، ومرقس ١٦: ٦، ولوقا ٢٤: ٦). وبعملية حسابية نجد أن المسيح أمضى ليلة واحدة (من غروب الجمعة إلى شروق السبت) ويومًا واحدًا (من شروق السبت إلى مغربه) وليلة واحدة (من غروب السبت إلى ما قبل

شروق الأحد بقليل) فماذا يكون المجموع الكلي؟ المجموعُ ليلتان اثنتان ويوم واحد. وهذا فارق كبير عن "ثلاثة الأيام وثلاث الليالي" المشار إليها في آية يونس. ومرة أخرى، فإن المرء إما أن يعترف بأن الأدلة غير منطقية حسابيًا وإما عليه أن يعيد صياغة قواعد الرياضيات.

هناك جزئية أخرى في هذا اللغز الإنجيلي جديرة بالاعتبار. فالاقتباس "لأنه كما كان يُونَانُ . . ." (أو كما تنص الطبعة الجديدة المنقحة المعتمدة، "لأنه تمامًا كما كان يُونَانُ. . .") يقارن بين حال عيسى وحال يُونَانُ [يونس]. حتى أطفال المدارس يعلمون أن يونس كان حيًا منذ الوقت الذي خفّض فيه رفاقه حمولة السفينة إلى مقدار وزنه حتى اللحظة الشاقة التي قُذف فيها إلى الساحل الرملي. حيث إن يونس كان حيًا طوال فترة محنته فإن للمرء أن يتصور أن عيسى "مَثَله مَثَل يُونَانُ تمامًا...". ظل حيًا كذلك خلال محنته. ومن الجدير بالملاحظة أنه عند زيارة القبر في صباح الأحد فإن كلّ واحد من الأناجيل يصف عيسى بأنه "قام"، وهذا غير مدهش، لأن قطع الصخر الباردة، بخلاف المهاد الرملية التي صنعتها أمواج البحر على الشاطئ، لا تساعد على النوم سريعًا. ولكن الذي لم يرد ذكره في الكتاب المقدس النص هو مقولة أن عيسى قد بُعث. فقد نُقل عن عيسى قوله: «خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الأبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ، وَأيضًا أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الأبِ» (يوحنا ١٦: ٢٨). ولكن كيف يختلف بذلك عن كلّ واحد منا؟ وفي أي موضع ورد عن عيسى قوله إنه سيموت ويبعث؟ لم تَرِد كلمة "بعث" في موضع من المواضع. أما "قام من الأموات"

فقد وردت بضع مرات لكن ليس على لسان عيسى نفسه. ومن هنا يلاحظ أن الكثير من مسيحيي القرن الثاني والثالث اعتقدوا بأن عيسى لم يمت.[٢١٣]

ولعل ما تقدم لا يغير من نمط تفكير كلّ شخص، ولكن لابد على الأقل من أن يوضح وجهات النظر المعقولة الناجمة وهي إيلاء ما ورد على لسان عيسى الأولوية عمّا قاله الآخرون. والفهم الإسلامي يوافق مثل وجهة النظر هذه. حيث تؤكد نبوّة عيسى، وتشير إلى أن تعاليمه المدونة في الكتاب المقدس لا تعرّي العديد من عناصر العقيدة "المسيحية" الراسخة فحسب بل تدعم العقيدة الإسلامية كذلك.

وفي السنوات الماضية وجد الكثيرون أن شكوكهم تعززت بسلسلة من النظريات المثيرة التي تمثلت في كتب تعد تحديًا محرجًا للمسيحيين. وأحد هذه المؤلفات كتاب **مؤامرة المسيح** The Jesus Conspiracy لمؤلفيه هولْغر كيرستِن Holger Kersten وإلْمر غرُوبر Elmar Gruber، والذي يسترعي الاهتمام بشكل خاص فيما يتعلق بموضوع هذا الفصل، أن المؤلفَيْن يقدمان أدلة قوية على أنّ الذي دُثّر بكفن تورين Shroud of Turin كائنًا من كان فإنه لم يمت. وقد افترض كيرستِن وغرُوبر أن الكنيسة الكاثوليكية تدرك الأثر المدمر المحتمل الذي ستخلفه هذه النظرية فيما لو صحّت. ففي المحصلة إذا كانت الأدلة تشير إلى أن عيسى كان

---

[٢١٣] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities.* p.2.

هو من دثّر بكفن تورين ولكنه لم يمت، فإن الكنيسة سوف تخسر عقيدة موت المسيح وعقيدة الفداء وعقيدة البعث. وباختصار فإن الكنيسة سوف تبقى بلا كنيسة. وبعبارة رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ١٤-١٥): «وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أيضًا إِيمَانُكُمْ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أيضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ ...».

ويدّعي المؤلفان أن رد فعل الكنيسة كان بتحطيم مصداقية الكفن عمدًا ووصل الأمر لدرجة تزوير اختبارات التأريخ الكربوني carbon dating test.

هذا قد يكون جيدًا من ناحية .... فأدلة المؤلفّيْن وجيهة و... منطقهما يفرض نفسه و... قد يكونان على خطأ. ولكنهما قد يكونان على صواب أيضًا. ولكن الأرجح أننا لن نعرف الحقيقة أبدًا. إن الشيء الوحيد الذي نعرفه عن الكفن تقريبًا هو أن الكنيسة الكاثوليكية لم تتبنّ موقفًا فيما يتعلق بأصالته، وعلينا أن نتساءل عن السبب في اعتراضها على إجراء المزيد من الاختبارات المستقلة عليه. فهو إن لم يكن أصيلاً، فلن يكون الكفن أكثر من مجرد واقعة غريبة. فلماذا إذًا لا يقتطعون بضعة قصاصات صغيرة من حوافه ويمررونها على الخبراء؟ ولكن هيهات، فالقيّمون لا يسمحون لأحد بالاطلاع على الكفن، وعلينا هنا أن نتساءل عن السبب، إن لم يكن خوفهم من النتائج.

وعلى أية حال، فإن المسلمين يؤمنون بأن عيسى لم يُصلب قط في

المقام الأول ﴿ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ ﴾ (القرآن الكريم ١٥٧: ٤). وإذا ما بدا ذلك الرأي عجيبًا في نظر من شبّوا على التفكير عكس ذلك فإن عقيدة الصلب تبدو أغرب من ذلك إذا ما قورنت بالآية (٢١: ٢٣) من سفر التثنية التي تنص: «لأن المعلّق [سواء أكان مشنوقًا أم مصلوبًا] ملعون من الله». وتلقي المزاعم المتزامنة بعصمة الكتاب المقدس والبنوة الإلهية لعيسى المصلوب ضوءًا مثيرًا للغرابة حقًّا على كلّ من يؤيد مثل هذه المعتقدات، وذلك لأن التناقض جلي. فإما أن عيسى لم يصلب وبالتالي فالكتاب المقدس خاطئ، أو أن عيسى ملعون من الله وفقًا للإنجيل. والاعتقاد بأن نبي الله، أو ابنه، أو شريكه (مهما عدّ المرء منزلة عيسى) ملعون من الله لا يمكن أن يحظى بالقبول إلا بين غير الأسوياء. ويمكن القول ببساطة إن قطع الأحجية هذه لا يتوافق بعضها مع بعضها الآخر كي تشكل وحدة متكاملة. فلابد من التخلي عن بعضها، ولابد من تحديد قطعة أو أكثر من القطع غير المتوائمة — أو التي هو زائف منها — وإلقائها جانبًا. وإلا فإن التركيبة برمتها توحي باستحالة تجانس الخصائص التي تحض المرء على الإيمان، أو لنقل "تشكيك معتقد".

والأمر المحيّر الآخر بدرجة مماثلة هو ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين (٥: ٧) التي تنص بأنه نظرًا لأن عيسى كان رجلاً صالحًا فقد استجاب الله لدعائه بأن أنقده من الموت: «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ» (الرسالة إلى العبرانيين ٥:٧). فماذا تعني عبارة "سمع الله

دعاءه؟" هل تعني أن الله سمعه بوضوح وجلاء ولم يستجب له؟ كلا. بل إنها تعني أن الله استجاب لدعائه. ومن المؤكد أنها لا يمكن أن تعني أن الله سمع دعاءه ورفض الاستجابة له، لأن العبارة "من أجل تقواه" تصبح فارغة المضمون على غرار القول "سمع الله دعاءه ورفض الاستجابة له لأنه كان صالحًا".

وفي حين أن المسلمين ينكرون صلب عيسى فإنهم لا ينكرون أن **شخصًا ما آخر** قد صُلب. فمن يكون هذا الشخص الآخر ياترى؟ تلك مسألة فيها نظر ولكنها ليست بذات أهمية كبيرة. بعضهم يذهب إلى أن الله رفع عيسى وغيَّر ملامح يهوذا بحيث أشبهه بعيسى، وكانت النتيجة النهائية أن صُلب يهوذا بدلاً منه دونما أن يدرك الحضور حقيقة يهوذا. حسنًا... ربما كان ذلك ما حدث، وربما لم يكن. ولكن ليس هناك من أدلة دامغة لدعم هذا الرأي، وإن كان هذا الرأي متوافقًا مع مبادئ الكتاب المقدس والقرآن الكريم التي تنص على أن الناس يحصدون ما يزرعون.

ولكن من الملاحظ أن هناك من يعترض على الطرح القائل بصلب يهوذا على أساس ما ورد في متّى (٢٧: ٥) من أن يهوذا طرح الفضة الحرام إلى رؤساء الكهان «وانصرف ثم مضى وخنق نفسه»، وبالتالي فإنه لم يكن حيًا كي يُصلب. ومن جهة أخرى كذلك ورد في أعمال الرسل أن يهوذا «اقْتَنَى حَقْلاً مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ، وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ، فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا» (أعمال الرسل ١: ١٨). وعليه، فإذا

كان مؤلفا أعمال الرسل وإنجيل متّى لا يتفقان على هذا الأمر فإن ما حدث حقًّا يصبح ضربًا من التكهن.

لعل بإمكاننا البحث في هذه المسألة من منظار آخر. فإذا كانت فكرة أن يهوذا قد صلب بدلاً من عيسى تبدو متكلّفة من الناحية الفنية، فإنه ربما لا ينبغي أن يُنظر إليها كذلك. فقد قيل بأن الله قد حجب بَصَر اثنين من الحواريين (من أصحاب عيسى المقربين اللذَيْن كان عليهما أن يتعرفا إلى معلمهما في الحال) عندما قابلا عيسى الذي "قام من الأموات" وفق مازُعم في الطريق إلى عمواس: «ولكن أُمسِكت أعينهما عن معرفته» (لوقا ٢٤: ١٦). ومثال آخر من الإنجيل على ذلك أن مريم المجدلية — كما يروى — أخفقت في التعرف إلى عيسى خارج القبر، «فظنت تلك أنه البستاني ...» (يوحنا ٢٠: ١٥). مريم المجدلية تخفق؟ ألا ينبغي بها هي بالذات أن تتمكن من التعرف إليه حتى في ضوء الصباح الباكر؟

إن ماهو ممتع في الأمر أن مفهوم استبدال شخص آخر بعيسى عند الصلب ليس بغريب كليّة عن المسيحية. فمن بين المسيحيين الأوائل آمن الكورنثوسيون Corinthians والباسلديون Basilidians والبولسيون Paulicians والكثاريون Cathari الكاربكراتيون Carpocratians جميعًا بأن عيسى المسيح قد نُجّي من الموت. وقد آمن الباسلديون بأن سمعان القيرواني Simon Cyrene صُلب بدلاً منه، ولعل ذلك اقتراحٌ معقولٌ نظرًا إلى أن سمعان هو من حمل صليب عيسى (انظر متى ٢٧: ٣٢، ومرقس ١٥: ٢١، ولوقا ٢٣: ٢٦). ووفقًا لما جرت عليه العادة، فقد

حكمت الكنيسة على جميع هذه الطوائف المنشقة بأنها إما من أَدْريّون أو مهرطقون أو كليهما معًا. كما قُمعت تلك الطوائف قمعًا عنيفًا من قبل الأغلبية التثليثية التي كانت تحرق المنشقين بشكل منتظم عبر القرون الخمسة عشر الأولى من الحكم الكاثوليكي (وآخر حالة "شواء" وقعت في المكسيك في العام ١٨٥٠).

وللحق نقول إن عقيدة الأَدْريّون كانت سائدة لدى العديد من المجموعات التي عُدّت خارجة على الأرثودوكسية إن لم يكن كلّها. ونقول من جديد أن للعقيدة الأَدْريّة gnosticism مكانتها أيضًا في العقيدة الأرثوذكسية، فما العلم الروحاني *gnosis* إن لم يكن الإيمان بأن الذين ابتدعوه يمتلكون بعض المعرفة الباطنية – ولكن الأساسية – اللازمة للخلاص التي لا يمكن شرحها أو تبريرها؟ وماذا كشف عنه نقاشنا هذا حتى الآن سوى افتقار جوهر الأرثوذوكسية التثليثية لسند من الكتاب المقدس؟

من المجموعات آنفة الذكر يستحوذ البولسيون على أهمية خاصة (أتباع بولس، الذين من المحتمل أن اسمهم مشتق من حبهم الشديد لـ بولس سوماستا Paul of Samosata). فقد نُقل أن بولس سوماستا تتلمذ على يد ديودرُس Diodorus، رئيس الكنيسة الناصرية بأنطاكية. ثم تفرع من تعاليمه العقيدة الرسولية عن طريق أفراد مثل لوشيان Lucian (الذي علّم بدوره آريوس) ويوسْبَيس نكوميديا Eusebius of Nicomedia، ونسطوريوس Nestorius (الذي امتد نفوذه من أوروبا الشرقية إلى الصين

شرقًا وإلى الحبشة جنوبًا). أما نفوذ أتباع بولس فقد امتد أخيرًا ليشمل معظم أوروبا وشمال إفريقية، إن لم يكن جميعهما. إلا أن إبادتهم على يد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية خلال فترة الاضطهاد كانت إبادة مبرمة كما إن استئصالهم وكتبهم كان استئصالاً تامًا متعمدًا. ولم يُعثر على آثارهم إلا في منتصف القرن التاسع عشر حيث اكتشف واحد من كتبهم المقدسة وعنوانه: **مفتاح الحق** The Key of Truth في أرمينيا وقد تُرجم. ومن خلال هذه الوثيقة أو الكتاب يمكننا استخلاص عرض لمعتقداتهم وممارساتهم.

قد يدان البولسيون بسبب عقيدتهم الثّنيويّةdualistic ideology [الإيمان بالخير والشر]، وتحليلهم للانتحار، والإفراط في الزهد. واللاّفت للنظر لديهم أيضًا مفهومهم الغريب حول أن المسيح عيسى كان تصورًا phantasm لا إنسانًا. ومن جهة أخرى فقد تمسك أتباع بولس بالإيمان بالوحدة المقدسة، وبحمل العذراء، وبالتعميد وبعقائد وممارسات أخرى تعود إلى العصر الرسولي. ومن ميزاتهم الخاصة افتقارهم الواضح لكهنوتية منظمة أو هرمية من رجال الدين. وقد تزوج زعماؤهم وكوّنوا أسرًا. واتسمت طقوسهم بالبساطة في العبادة والافتقار إلى الأسرار المقدسة — حتى إنهم لم يستخدموا الماء المقدس. ورفض البولسيون اعتماد كلّ معبود مرئي — لا مخلّفات أثرية relics، ولا صور images، ولا الصليب cross. فقد كانوا ينظرون إلى الصور كافّة — سواء أكانت مرسومة أم منحوتة — بأنها وثنية غريبة عن تعاليم عيسى وخرق للوصية الثانية. ويبدو أنهم كانوا ينكرون

عقيدة التجسّد، وكذا الحال بالنسبة إلى عقيدتي الخطيئة الأصلية والتثليث، حين رُفضت جميعها لغياب سند إنجيلي لها. كما أنكر البولسيون الصلب المزعوم لعيسى، وبالتالي أنكروا عقائد البعث والتكفير والفداء. كما ذمّوا تعميد الرُضّع بوصفه بدعة غريبة عن تعاليم عيسى وسيرته، وذهبوا إلى أن التعميد لا قيمة له طالما أن الأطفال يفتقرون إلى الرشاد والقدرة على الإيمان والتوبة. كما أنهم قاطعوا عيد الميلاد على أساس أنه عطلة غير شرعية ابتُدعت كتنازل للوثنيين الذين كانوا يمجدون إعادة ولادة إله الشمس بعد ثلاثة أيام من الانقلاب الشتوي في يوم ٢٥ ديسمبر/كانون أول في مهرجان *Sol Invictus* السنوي (أي الشمس التي لا تُقهر). ولم يلتمس البولسيون الأعشار ولم يقبلوها، وحافظوا على نظام غذائي صارم، وأكدوا الإخلاص في العبادة في مناحي الحياة كافّة، وكانوا دومًا ممن يطمحون لطهارة الطبع والأفكار والأقوال والأعمال.

ويصعب إيجاد أنموذج أفضل من هذه الفئة في اقتدائها بمُثُل عيسى من حيث التواضع والتنزه عن الدنيا، ولكنهم قُتّلوا من أجل عقيدتهم تلك. ولعدة قرون تمت مطاردة أتباع بولس أينما ثُقِفوا. وقد أعادت الإمبراطورة البيزنطية ثيودورا Theodora في القرن التاسع ترسيخ عبادة الصور في القسطنطينية. وكما ينوّه غيبّون، فقد "جاب أعضاء محكمة التفتيش التابعة لها مدن وجبال آسيا الصغرى، وأكد المتملّقون لها أنه خلال عهد قصير،

قُتل من أتباع بولس مائة ألف إما بالسيف وإما شنقًا وإما حرقًا".[٢١٤]

وأخيرًا طُرد البولسيون من أرمينيا إلى ثراس Thrace ومنها إلى بلغاريا. ومن هناك انتشروا فوصلوا إلى صربيا والبوسنة والهرسك، ومن ثم شمالاً إلى ألمانيا وغربًا إلى فرنسا وجنوبًا إلى إيطاليا. وشقوا طريقهم بحرًا إلى البندقية وصقلية وجنوب فرنسا. وأخذ التوسع السريع لـ لاهوت بولس – الذي يبدو أنه بعث من جديد على يد الكثاريين (التي تعني "الأطهار") في القرن الحادي عشر أو ماحوله – يمثلّ تهديدًا للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. فأدين في مجمع أورليان Orleans في العام ١٠٢٢ميلادية ومجمع لمبارد Lombard في العام ١١٦٥ ميلادية وفي مجمع فيرونا Verona في العام ١١٨٤ ميلادية. وقد وصف القديس بِرنارد من كليرفو Bernard of Clairvaux الكثاريين على النحو التالي: "إذا ما استنطقتهم وجدتهم خير من يعبر عن المسيحيين. وأما عن حديثهم، فهم أبعد الناس عن الملامة، كما أنهم يترجمون أقوالهم إلى أفعال. أما عن أخلاق المهرطق منهم فهو لايغشّ أحدًا، ولا يضطهد أحدًا، ولا يَضرِب أحدًا. وَجَناتهم شاحبة من أثر الصوم، وهم ليسوا عالة على أحد، ويتكسّبون من عمل يدهم."[٢١٥]

ومع ذلك فإن الكنيسة أدانت الكثاريين ليس لأخلاقهم وإخلاصهم بل لعقيدتهم. ولم تستطع الكنيسة أن تطبق إدانتها إلا بعد إنشاء محاكم

---

٢١٤ Gibbon Edward, Esq. Vol.6, Chapter 54, p.242.

٢١٥ Lea, Henry Charles. 1958. *A History of the Inquisition of the Middle Ages*. N.Y.: Russell & Russell. Vol.1,p.101.

التفتيش في القرون الوسطى في القرن الثالث عشر؛ فاتحة بذلك أبواب العداء لخصومة استمرت لعدة قرون صبّت خلالها جام كرهها وانتقامها عليهم بقدر من العنف يكفي لفرض سيطرتها وتدمير أعدائها. ويبرهن اندثار البولسيين والكثاريين ومختلف الطوائف المسيحية "المهرطقة" الأخرى على فاعلية التطهير الديني لمحاكم تفتيش القروسطية المرعبة وكذلك على فترات الاضطهاد اللاحقة. وهنا يعلق إف سي كوْنبير F.C.Conybere قائلاً:

ماكان للصفوة من هؤلاء أن تنقض العهد الذي قطعته على نفسها، "وهو أن تتعمد بمعمودية المسيح، وأن تحتمل السياط والزج في السجن وتذوق العذاب والتوبيخ والصلب والصفع وتتجرع المحن والإغراءات الدنيوية كافّة". فقد كانت الدموع التي سالت دموعهم، والدّماء التي سُفكت دماؤهم وذلك عبر ما ينيف على عشرة قرون من الاضطهاد الضاري في الشرق. وإذا ما حسبنا عدد ضحايا المتطهرين puritans الأوائل في أوروبا فإن قصة الأعمال المروّعة التي مارستها الكنائس الاضطهادية بحقّهم تصل إلى أبعاد فظيعة. وحيث إن ذلك كله قد تمّ اسميًا لتبجيل أمير السلام Prince of Peace لكن فعليًا للسخرية من هذا الأمير، فإنه يصعب القول بأن أعضاء محاكم التفتيش لم يكونوا على دراية

بما يفعلون.[٢١٦]

وليس من المستغرب بالنسبة إلى من يدرس منهجية الكنيسة الكاثوليكية أن يلاحظ مدى فاعليتها في التخلص من معارضيها. ولم تستثنِ وحشيتها الكبيرة أفرادًا من أتباعها أيضًا، حيث كانت أحيانًا تضحّي ببعض الأعضاء من الأورثوذوكسيين، وذلك بهدف التأكد من القضاء المبرم على التوحيديين. ومثال ذلك الهجوم الشرس الذي تم على سكان بيزييه Beziers في جنوب فرنسا الذين كانوا مزيجًا من السكان الكاثوليك والتوحيديين. وقد سلط هنري تشارلز ليْ Henry Charles Lea الضوء في كتابه **تاريخ محاكم التفتيش في القرون الوسطى** *History of the Inquisition of the Middle Ages* على الرعب التام الذي خلفته حميّة المهاجمين الدينية المفرطة في نفوس السكان:

لم يسلم أحد فيها، حتى الأطفال الرضّع والشيوخ الرُّكّع، ويقال إن سبعة آلاف شخص قُتلوا في كنيسة مريم المجدلية كانوا لجؤوا إليها طلبًا للأمان، في حين سجل ممثلو البابا ممن أحصى المجموع الإجمالي للقتلى بحوالي عشرين ألفًا تقريبًا ...

ويخبرنا راهب بندكْتي متحمس كان معاصرًا للمجزرة أنه عندما طُلب من آرنود Arnauld إن كان لابد من الإبقاء على

---

٢١٦ Conybeare, Fred. C., M.A. 1898. *The Key of Truth*. Oxford: Clarendon Press. P 11.

الكاثوليك، خشي أن ينجو الهراطقة بتظاهرهم بالأرثوذوكسية، فأجاب بشراسة: "اقتلوهم جميعًا لأن الله يعرف خاصته!" وفي غمرة المجزرة المسعورة تلك وذلك السلب، أضرمت النيران في البلدة وغربت شمس ذلك اليوم العصيب في يوليو/تمّوز على كتلة من الركام المحترق والجثث المتفحمة – وكانت مَحْرقة من أجل إله رحمة ومودة قد يكون الكاثريون على صواب عندما يعدّونه رأس الشر.[٢١٧]

كما أن استخدام أعضاء محاكم التفتيش للتعذيب لم يكن أقل إرهابًا، وذلك لأن ذلك التعذيب لم يكن ليتوقف عند حد اعتراف المتهمين. فما إن ينتزع اعتراف من متهم حتى يُستأنف التعذيب بحقه من جديد وذلك بهدف انتزاع أسماء شركاء مزعومين له. وكان ذلك يستمر حتى يتم اعتصار آخر قطرة من المعلومات ممن كان في وقت ما يعدّ كائنًا بشريًا.

فما إن يدان هذا المدّعى عليه المسكين حتى تكون معاناته مضمونة. وكان التعذيب يدفع بالضحية للاعتراف المطلوب، سواء أكان هذا الاعتراف نابعًا من الحقيقة أم من يأس الضحية ورغبة منه في وضع حدّ لذلك التعذيب. والمروع حقًا أن احتجاجات المتمسكين ببراءتهم أو أيمان الولاء للأرثوذكسية التي كانوا يتلفظون بها لم تكن كافيةً للتعجيل بالفرج، حيث إن إيمان المشتبه بهم ممن يعتنقون العقيدة الأرثوذكسية كان يوضع

[٢١٧] Lea, Henry Charles. Vol.1,p.154.

تحت الاختبار، وهنا يمكن لنا أن نتخيل قدرة الكنيسة على الإبداع في هذا المجال. وكان من بين الاختبارات التي أقرّتها الكنيسة وعمّمتها استخدام الماء والنار وذلك لفحص إيمان الأشخاص بما يدعى بـ "الحكم الإلهي" *Judicium Dei*، الذي كان مفهومًا مبنيًا على المعتقدات الخرافية. إذ كان ثمة اعتقاد بأن طهارة الماء تلفظ الأجساد الآثمة إذا ما ألقيت فيها، وهكذا كان من يطفو من هؤلاء يُحكم عليه بالإثم ويُعدم، وأما من يغوص منهم فكان يُعد بريئًا، وإذا ما تم إنقاذه قبل غرقه يعفى عنه. أما النار الدنيوية فكان الاعتقاد بأن مثلها مثل نار جهنم، لن تمس من كانوا (في نظرهم) مسيحيين مخلصين موعودين بالجنة. وكان "اختبار قضيب الحديد الحامي" أكثر الاختبارات استخدامًا نظرًا لبساطته وتوافره. وبموجب هذا الاختبار كان يتوجب على المتهم أن يحمل قضيب حديد ملتهبًا من شدة الإحماء لعدد محدد من الخطوات، عادة ما تكون تسع خطوات. وكان الحكم على الشخص يعطى إما خلال الاختبار (فيحكم على من يحترق بأنه آثم)، أو بعد مضي عدة أيام على الاختبار (حيث كانت تُعلن براءة من تبرأ جروحهم، أما من التهبت جروحهم فقد كانوا يعدّون مذنبين). واستخدمت طرائق أخرى من التعذيب مثل تحديد إذا ما أصيب الشخص بالحرق عند غمس ذراعه حتى المرفق إما في الماء المغلي أو في الزيت المغلي.

وخشية أن يفترض المرء بأن مثل تلك الوسائل الجنونية كانت نادرة الاستخدام في البلاد فقد أصدر مجلس ريمس Council of Rheims في

العام ١١٥٧ ميلادية مرسومًا يقضي باستخدام "الاختبار بالمِحن" وذلك للتعامل مع قضايا الهرطقة المشتبه فيها كافّة.[٢١٨]

ونسأل الآن لماذا كلّ هذا النقاش حول طوائف لم يعد يُعرف الكثير عنها أو أنها بادت؟ ليس القصد من ذلك إعطاءها أكثر مما تستحقه عقيدتها ولا استدرار العطف على قضيتها، وإنما لفت الانتباه إلى العقائد المسيحية البديلة التي أصبحت مغمورة في ظل ثالوثية سائدة. وقد لا يُعرف الكثير اليوم عن طوائف الكورنثيين والباسلديين والبولسيين والكثاريين والكاربكراتيين، ولكنها جميعًا كانت تمثل عقائد مسيحية حيوية كانت لها مكانتها المرموقة التي تبوّأتها عبر التاريخ. لكن التاريخ يكتبه المنتصرون، كما يقول المثل. وكتب إهرمان قائلاً: "وعلاوة على ذلك فإن المنتصرين في الصراع لترسيخ العقيدة المسيحية الأرثوذكسية لم يفوزوا في معاركهم العقدية فحسب، بل كانوا هم من أعاد كتابة تاريخ ذلك الصراع ..."[٢١٩] وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية بانتظام أن تمحو من الذاكرة جميع الطوائف والنصوص المقدسة الأخرى المخالفة لمعتقداتها، وحققت في سعيها ذلك نجاحًا باهرًا. ونظرًا إلى المنهجية الوحشية التي اتبعتها فينبغي ألا نستغرب ذلك النجاح.

يضاف إلى ذلك أن المحاولات التاريخية لتشويه سمعة الأديان الأخرى

---

٢١٨ المرجع السابق، ص 306.

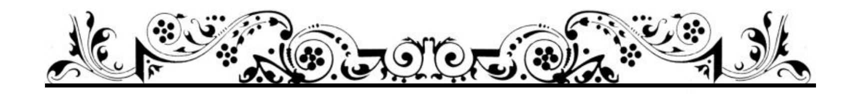
٢١٩ Ehrman, Bart D. 2003. *Lost Scriptures: Books that Did Not Make itinto the New Testament.* OUP. p.2

كافّة أو الطوائف المسيحية قد حيّرت عقول العامة. وكانت هذه الجهود ناجحة لدرجة أن كتابات أولئك الذين يبدو أنهم كانوا أقرب إلى التعاليم التي مارسها الآباء الرسوليون وكتبهم المقدسة قد فقدت بشكل كبير. وبطريقة مماثلة، فقد أصبح يُنظر إلى أقرب من يجسّد شعائر النبي عيسى وعقيدته على أنهم "هراطقة" وسبب ذلك ببساطة هو أنهم لم يعتنقوا المعتقدات "المنبثقة" عن التثليثيين المنتصرين. وبعبارة أخرى، فقد تمّت إدانتهم لخروجهم على وجهات نظر تبناها أصحاب المناصب، مع أنها لم تكن لتستند إلى النصوص المقدسة، وروّجوا لها لأسباب نابعة من المنفعة السياسية.

ويكمن واحد من أكثر العناصر غرابة في تاريخ المعتقد التثليثي أنه أينما حلّ ذلك المعتقد في العالم المسيحي كان لابد أن يُفْرض قسرًا على شعوب كانت أصلاً شعوبًا توحيدية. وكان لابد من إقصاء الفسغوثيين Visigoths، والأسترغوثيين Ostrogoths، والونداليين Vandals، والآريوسيين Arians، والدوناتسيين Donatists، والبولسيين جميعًا بالقوة قبل فرض حكم ثالوثي. وبخلاف الروايات التاريخية الرسمية، فهناك اعتقاد بأنه حتى في إنجلترا وأيرلندا كان هناك نسبة لا يستهان بها من السكان ممن ينتمون للمسيحيين التوحيديين الراسخين في العقيدة قبل أن تأتيهم بعثات "التشجيع" الثالوثي. وفي حين حاول التوحيديون نشر عقيدتهم بالأسوة الحسنة والموعظة، فإن الكنيسة الكاثوليكية نشرت عقيدتها التثليثية بجزّ العامة بمدية الإكراه والتصفية الحادة.

باستعراض الروايات التاريخية غير المتحيزة نجد أن نسبة كبيرة من المتدينين على امتداد رقعة العالم المعروف آنذاك كانت تعرب عن معارضتها للمسيحية التثليثية، وأن أولئك الذين أنكروا صلب عيسى المسيح وموته لم يكونوا بالضرورة الأقلية. ويرى الكثيرون أن ماهو منطقي حقًّا أن يكون الله قد عاقب يهوذا على خيانته بدلاً من تعذيبه لعيسى على براءته. ويمكن للحجة أن تكون أكثر إقناعًا لو تم إظهار فساد عقيدتي التكفير والخطيئة الأصلية؛ لأن هاتين العقيدتين تنبثقان أصلاً من إطار موت عيسى المزعوم. والعقبة الأولى أمام الكثيرين في التفكير في مثل هذه الأفكار الثورية هي في الإصرار على توكيد الفكرة القديمة وهي أن المسيح عيسى كان «حَمَل الله الذي يرفع خطيئة العالم» (يوحنا ١: ٢٩) لأن هذه الآية في ذهنية التثليثيين لا يمكن أن يكون لها صلة إلا بعقيدة تكفير الخطايا. إلا أن التوحيديين يعتقدون بأن عيسى قد عاش حياةً ملؤها التضحية في سبيل حمل تعاليم مُطهّرة، إذا ما اعتمدت فإن من شأنها أن ترشد البشرية إلى الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله لها.

# ١٣- حَمَل الله



**ليس هناك أسوأ من صورة واضحة المعالم لمفهوم مبهم.**

أنسِل آدمز *Ansel Adams*

يدّعي العديد من المسيحيين أنهم يجدون البرهان على معتقدي الصلب والتكفير في الآية (١: ٢٩) من إنجيل يوحنا التي تصف المسيح عيسى بأنه «حَمَل الله الذي يرفع خطيئة العالم»، في حين يجد آخرون فيها غير ذلك ولأسباب وجيهة.

فبادئ ذي بدء، يختلف المسيحيون في المعنى والمغزى لمفهوم "التشبيه بالحَمَلْ" هذا. فبعضهم يشكك في ترجمة الكتاب المقدس، في حين يخفق آخرون في الربط بين إشارات العهد القديم والعهد الجديد "لحَمَل الله" من أجل تكوين سلسلة منطقية معقولة. حتى يوحنا المعمدان نفسه الذي تُقتَبس هذه الآية من إنجيله يبدو أنه صادف مشكلة في فهم هذا المصطلح. فالزعم المسيحي هو أن يوحنا المعمداني كان يعرف عيسى،

وعرّفه بأنه «حَمَل الله» في يوحنا (١: ٢٩). لكن إذا كان قد عرف عيسى معرفة جيدة سمحت له بتحديده تحديدًا يقينيًا في إحدى الآيات، لماذا يسأل عيسى بعد عدة سنوات بقوله: «أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (متّى ١١: ٣).

من بين الذين يجدون صعوبة في رأب التصدعات بين العهد القديم والعهد الجديد رجال الدين الكاثوليك أنفسهم. وتقر **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** بالعجز عن تحديد أصل لقب "حَمَل الله" وذلك لأنه على الرغم من المحاولات المبذولة لتتبُّع اللقب من خلال إنجيل إشعياء (الإصحاح ٥٣) عن طريق إنجيل أعمال الرسل (٨: ٢٣) فإن "هذا النص عاجز عن شرح التعبير ...[حمل الله]."[٢٢٠]

وقد ورد التالي في **المعجم اللاهوتي للعهد الجديد**: "كما أن الآرامية قد تقدم أساسًا باستخدامها للكلمة نفسها للتعبير عن "حَمَل" و"ولد أو خادم". وهكذا فلربما كان المعمداني في إنجيله (يوحنا ١: ٢٩، ٣٦) يصف عيسى بأنه خادم الله الذي يرفع خطيئة العالم بمعاناته نيابة عن الآخرين (إشعياء ٥٣)"[٢٢١] ولكن مهلاً! هل قال **خادم** الله؟ لنتأمل في الأمر... حمل/خادم، حيوان/إنسان... لعله ينبغي علينا أن نكون راضين لكون المترجمين قد حصروا التفاوت بين ترجماتهم في المملكة الحيوانية ذاتها ... ولكن لاعليك.

---

٢٢٠ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 8, p.838.

٢٢١ Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich.p.54

فهل من الممكن أن تكون لغة يوحنا المعمداني الأم وهي الآرامية قد حُرّفت في الترجمة اليونانية للعهد الجديد لتصبح "*amnos*"؟ أم من الممكن أن تكون الترجمة السليمة هنا هي "ولد" أو "خادم" وليست "حملاً"؟ فإذا كان الحال كذلك، فإن كل رابط بين إشارات العهد القديم والعهد الجديد إلى "حَمَل الله" يتمزق بسرعة البرق. ومن هنا فمن الممتع جدًا أن نعثر على توافق في **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** على أن ترجمة الكلمة الآرامية "*talya*" هي "ولد" أو "خادم"، بالإضافة إلى "حَمَل".[٢٢٢] وبالإضافة إلى ذلك فإن الطرح القائل بأن عبارة المعمداني كانت "انظر إلى خادم الله" وليس "انظر إلى حَمَل الله" هو على حد تعبيرهم "معقول جدًا" و"أكثر سهولة من حيث التفسير".[٢٢٣]

وكما أن الترجمة الأولى لعبارة "*pais theou*" هي "عبد الله" لا "ابن الله"، فهل من الممكن أن يكون هذا مثالاً آخر على ترجمة مغلوط فيها متحيزة عقديًا؟ إن هذا ممكن.

وأخيرًا فهناك النمط الذي بات الآن مألوفًا لوصف عيسى بلقب "حَمَل الله" في إنجيل يوحنا. وكونه ورد في إنجيل واحد دون غيره من الأناجيل فإن ذلك يوحي بأنه رأي الأقلية أو على الأقل عدم توافر أساس مكين لذلك. ومرة أخرى نجد نتيجة التصويت ثلاثة من مؤلفي الإنجيل إلى واحد، من أن تلك العبارة لم يُنطق بها في المقام الأول أو أنها لم ترد بالمعنى

---

[٢٢٢] *New Catholic Encyclopedia.* Vol 8, p.839.

[٢٢٣] المرجع السابق، ص 339.

الذي تُرجمت إليه. فلو كان المعنى الأصلي "عبدُ /خادم الله" (على فرض أن العبارة قد قيلت في المقام الأول) فلابد من الإشادة بمؤلفي الإنجيل الثلاثة الآخرين لرفضهم تحريف الرسالة وتحويلها إلى مجرّد وصفة في "التشبيه بالحَمَلْ". ومن جهة أخرى فإننا إذا ما وثقنا بالكتاب المقدس على أنه كلام الله وجب علينا أن نتساءل عن السبب في أن الله لم يُلهم مؤلفي الأناجيل الثلاثة الآخرين بهذه المعرفة أيضًا. وإذا ما افترضنا أن غاية الله هي نشر الحق الرباني بأكبر قدر ممكن من الاتساع والدقة، فإن علينا أن نسأل أي الاحتمالات التالية مرجحة أكثر؟

١. أن الله المنزه عن الخطأ قد أخفق في نشر الحق ثلاث مرات؟ (كلا طبعًا).

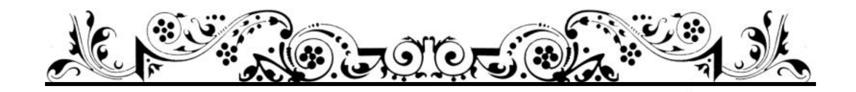
٢. أن مؤلف إنجيل يوحنا قد تبنى معتقدًا خاطئًا مرتين وذلك في الآيتين (١: ٢٩ و١: ٣٦)؟ (وهو أمر وارد ولكن دعونا نستبعده، وإلا فسيكون من الصعب الوثوق بكلّ شيء ورد في الكتاب المقدس).

٣. أن المعنى الحقيقي هو "عبد الله" ولكن التحيز العقدي أدى إلى ترجمته بـ "حَمَل الله"؟

لعله ينبغي علينا التأمل في هذه المسألة ضمن إطار العقيدة المسيحية كلّها، فعقيدة أن عيسى هو "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم" يصب في عقيدتي الخطيئة الأصلية والتكفير. فما حاجتنا إلى حَمَل نضحي به إن لم

يكن للتكفير عن خطيئة العالم (الأصلية)؟

# ١٤ – الخطيئة الأصلية



**كل ابن آدم خطّاء، وكلّ من تسوؤه المعصية قديس؛**

**أما الذي يجاهر بالمعاصي فهو شيطان.**

توماس فُلَر *Thomas Fuller*، **الحالة المقدسة والحالة التجديفية.**

إن الخطيئة الأصلية مفهوم غريب تمامًا عن اليهودية والمسيحية الشرقية، كما أنه لم يلق القبول إلا في الكنيسة الغربية. أضف إلى ذلك أن المفهوم المسيحي يختلف والمفهوم الإسلامي للخطيئة اختلافًا طفيفًا لكنه اختلاف حسّاس. مثال ذلك أنه لا يوجد في العقيدة الإسلامية مفهوم "ارتكاب المعصية بمجرد التفكير فيها"، بل إن التفكير بالشرّ بالنسبة إلى المسلم يتحول إلى حسنة عندما يمتنع المرء عن القيام بما كان قد فكّر فيه. بل إن تغليب فكرة الخير على وساوس الشر التي تراودنا بين الفينة والأخرى عمل يستحق الثواب بدلاً من العقاب. فمن وجهة النظر الإسلامية فإن إضمار الشر لا يصبح إثمًا إلا إذا اقترن بالفعل.

أما التفكير في الأعمال الصالحة فيتناقض تناقضًا كبيرًا والطبيعة الدنيا للبشر. فماهو معلوم تاريخيًا أن الإنسان – ما لم يمنعه وازع ديني أو رادع اجتماعي – فطر على حب الشهوات والانغماس في الملذات. فعربدات الانغماس هذه التي اكتظت بها أروقة التاريخ لم تشتمل على الأفراد والمجتمعات الصغيرة وحسب، بل تعدتها لتطال قوى عالمية كُبرى أتخمها الانحراف إلى حد تدمير الذات. وقد تتصدر سادوم Sodom وعامورة Gomorrah [بلدة لوط] معظم القوائم إلا أن أعظم قوى العالم القديم، بما فيها الإمبراطوريات اليونانية Greek والرومانية Roman والفارسية Persian إضافة إلى إمبراطوريتي جنكيز خان Genghis Khan والإسكندر الأكبر Alexander the Great، هي بالتأكيد ذات سجل ليس بالمشرّف. ولكن في حين أن أمثلة الانحطاط الجماعي لا تعدّ ولا تحصى فإن حالات الفساد الفردي لهي أشد وأنكى.

وهكذا فإن التفكير الخيِّر ليس بالضرورة أن يكون أول ما يراود فطرة بني البشر. ومن هنا فإن الفهم الإسلامي هو أن مجرّد التفكير في أعمال الخير أمر موجب للثواب، وإن لم يترجم ذلك إلى عمل. أما عندما يعمل المرء عملاً صالحًا فإن الله يضاعف له الثواب.

ومفهوم "الخطيئة الأصلية" لم يكن له وجود في الإسلام يومًا قط. أما بالنسبة إلى جمهور القراء المسيحيين فإن المسألة لاتكمن فيما إن كان مفهوم "الخطيئة الأصلية" موجودًا في يومنا هذا أم لا، بل هل كان المفهوم قد وجد حقًا إبان حقبة الأصول المسيحية أم لا. وبالتحديد، هل كان

المسيح قد دعا إليها حقًا أم لا؟

والواضح أن الإجابة هي بالنفي. وبغض النظر عمّن ابتدع هذا المفهوم فإنه بالتأكيد لم يكن عيسى لأنه هو من قال: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (متّى ١٩: ١٤). ولنا أن نتساءل كيف " سينال مثل هؤلاء ملكوت السموات" إذا كان مصير غير المعمَّدين هو النار. فالمسألة هي أحد أمرين: إما أن الأطفال يرِثون الخطيئة الأصلية منذ ولادتهم أو أنّ مآلهم في الآخرة هو ملكوت السموات. وأما الكنيسة فليس بوسعها تبني هذين الاعتقادين معًا. وينص حزقيال (١٨: ٢٠) على أن «اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالآبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ».

ويكرر سفر التثنية (٢٤: ١٦) النقطة ذاتها. وقد يقول قائل هنا إن هذا ورد في العهد القديم. نقول: نعم، ولكنه ليس أقدم من آدم! فلو كان تاريخ "الخطيئة الأصلية" يعود إلى عهد آدم وحواء لما أنكر هذا المعتقد كتاب سماوي أنزل من بعدهما!

فالإسلام يعلّمنا أن كلّ شخص يُولَد في حالة من النقاء الروحي، ولكن التنشئة ومغريات الحياة الدنيا هي مايمكن أن يُفسدنا. ومع ذلك فإن الخطايا لا تُورَث، بل إنه حتى آدم وحواء لن يُعاقبا على خطاياهما لأن الله قد غفر لهما. إذ كيف يمكن للبشرية أن ترث شيئًا لم يعد موجودًا؟ كلا، فمن وجهة النظر الإسلامية نحن جميعًا سوف نُحاسب على أعمالنا،

لقوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (القرآن الكريم ٥٣: ٣٨-٣٩)، و﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ﴾ (القرآن الكريم ١٥:١٧). فكل فرد يتحمل مسؤولية أعماله، ولكن لا يمكن لطفل أن يلقى في النار لأنه لم يُعمَّد ولا يمكن له أن يحمل الخطيئة بـ حق المولد – أو لنقل بـ خطأ المولد.

# ١٥- التكفير [عن الخطايا]



**وهل يجب على مسيح أن يهلك من العذاب في كلّ عصر لكي يخلّص أناسًا لا خيال لهم؟**

جورج برناردشو *George Bernard Shaw*: **مسرحية القديس جوان**، الخاتمة

التكفير - يا له من مفهوم! فمنذا الذي يأبى أن يحمل غيره عنه وزر انغماسه في الملذات وآثام بغيه؟ إلا أنه مهما بدا معتقد التكفير مغريًا ومهما أراد الناس له أن يكون صحيحًا فإن السؤال الحاسم هو هل كان له أساس في الوحي أم لا. وهل سينجي التكفير يوم القيامة أولئك الذين آمنوا به سبيلاً للخلاص؟ أم إن وجوه المليارات التي لا تحصى من الأنفس البشرية القلقة سوف يعتريها البؤس والشقاء عندما يقال لهم إن الله لم يعد بشيء من ذلك البتة؟

ويعتقد بعضهم أنه وإن يكن التكفير غير موجود ليشفع لهم يوم القيامة فإن الله سوف يقبل اعتذارهم. في حين يفهم الآخرون الحياة بأنها

مزرعة للآخرة، وأن كتاب أعمال المرء يُطوى عند الموت. وبالمحصلة، فلو كان الاعتذار يوم القيامة يكفي لضمان الخلاص، فما الحاجة للنار إذًا؟ فمنذا الذي من بين العصاة يأبى أن يتوب حين يرى حقيقة العذاب الرباني؟ وما حجم تأثير مثل توبة كهذه عندئذ؟ فحياة الاستقامة تتطلب التخلي عن الملذات المحرمة، والتضحية بالوقت والجهد والأولويات الدنيوية. والتخلي عن الملذات الشهوانية إجلالاً لله شهادة على إيمان المرء. إن مثل هذه الشهادة سوف يكون لها وزنها. وأي قيمة سوف تكون لتوبة حين يلقى الإنسان ربه بعد أن يكون قد أفنى عمره في ارتكاب المعاصي في الدنيا، ولم يعد هناك مجال للتوبة أو إصلاح مايمكن إصلاحه من الضلالة، أو القيام بعمل صالح يقربه إلى الله زلفى؟

وعليه فإن إثبات عقيدة التكفير لهو أمر في غاية الأهمية. فإذا ما كانت هذه العقيدة صحيحة فهي دون أدنى شك من أكبر نعم الله علينا بني البشر. ولكن إن لم تكن كذلك حين يثبت بطلانها فإن عقيدة التكفير لن تغدو أكثر من قيمة صك [شيك] مصرفي مزور من شأنه أن يمنحنا الشعور بالأمان والرضى عندما نحمله في جيوبنا، ولكنه لايغدو أكثر من مجرد حبر على ورق عندما ندفع به عند كوّة الصرّاف.

من إذًا الذي ابتدع مفهوم التكفير؟ فإن كان ذلك من عند الله، فمن الحماقة ألا نقر به، أما إن كان من صنع البشر فإنه يتوجب علينا أن نشكك في مرجعية أولئك الذين يزعمون أنهم يتحدثون نيابة عن الله إن كانوا من غير الأنبياء.

وكما ناقشنا في الفصول السابقة، فإن تسلسل المسؤولية في هذه الحياة واضح. ويؤكد كلّ من العهدين القديم والجديد وكذلك القرآن الكريم المسؤولية الفردية وتنبئنا هذه الكتب جميعًا أنه لا تزر وازرة وزر أخرى. ولكن نقول: في أي موضع ورد عن **عيسى** قوله إن رسالته مختلفة؟ وإذا كان لم يُصلب أصلاً (كما ناقشنا في فصول سابقة) فإن معتقد التكفير هذا يتهاوى من أساسه.

إن الذين يرضون بالتأويلات الفضفاضة للكلمات المزعومة الصادرة عن الحواريين، وبولس، وغيره من أدعياء النبوة لا يلزمهم مزيد من البحث حول نمط حياتهم الديني. أما الذين يستندون إلى أساس متين من تعاليم الأنبياء فيدركون أن الله لا يَعِد خيرًا في الآخرة من يتوارى عن حمل المسؤولية تجاهه في الحياة الدنيا. وقد روي عن عيسى قوله: إن الإيمان وحده **ليس** كافيًا لتحقيق الخلاص: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٧: ٢١). وعندما سُئل عن كيفية الوصول إلى النجاة نقل عنه قوله: «وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ [الحياة الآخرة] فَاحْفَظِ الْوَصَايَا» (متّى ١٩: ١٧).

لكن في أي موضع في العهد الجديد أشار عيسى على أتباعه أن يطمئنوا؛ لأنه سوف يدفع الثمن في غضون أيام معدودة، وأنهم جميعًا سوف يدخلون الجنة لا لشيء بل لمجرّد إيمانهم؟ إن ذلك لم يرد في موضع من المواضع. بل نسأل: لماذا لم ينادِ عيسى بعقيدة التكفير عندما رجع إلى

تلاميذه بعد قيامه من صلبه المزعوم؟ ولماذا لم يعلن عندها أنه قد دفع ثمن خطايا العالم، ما كان منها في الماضي والحاضر وما سوف يكون في المستقبل، وأن الوقت قد حان للهو والتواكل؟ ولكنه لم يفعل ذلك، وينبغي لنا أن نتساءل عن السبب. أيعقل أن تكون عقيدة التكفير غير صحيحة؟ أم إن هذه العقيدة لاتغدو أكثر من خربشات شخص دوّن أمانيه على هامش الكتاب المقدس؟

ولكنها لم تكن أول مرة.

من أين إذًا جاءت عقيدة التكفير في الأصل؟ وهل يعجب أحد إن سمع أن الإجابة هي "بولس"؟ أهو مُعتقد مشبوه آخر نبع من المصدر المشبوه نفسه؟ يبدو أن الأمر كذلك، إذ نقرأ في أعمال الرسل (١٧: ١٨) مايلي: «فَقَابَلَهُ [أي بولس] قَوْمٌ مِنَ الْفَلاَسِفَةِ الأَبِيكُورِيِّينَ وَالرِّوَاقِيِّينَ، وَقَالَ بَعْضٌ: "تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هذَا الْمِهْذَارُ أَنْ يَقُولَ؟" وَبَعْضٌ: "إِنَّهُ يَظْهَرُ مُنَادِيًا بِآلِهَةٍ غَرِيبَةٍ". لأَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُمْ بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ».

بعد ذلك سارع بولس إلى الادعاء بأنه مؤسس معتقد البعث كما يلي: «اُذْكُرْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ بِحَسَبِ إِنْجِيلِي» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ٨). ومن المؤكد أن مفهوم موت عيسى المسيح من أجل رفع خطيئة العالم لم يرد إلا في رسائل بولس (مثال ذلك الرسالة إلى أهل رومية: ٥: ٨-١١، و٦: ٨-٩). ألا يرد في مكان آخر؟ ألا يرد على لسان عيسى؟ ولا الحواريين؟ هل يعقل أن

يكون الحواريون وعيسى قد أهملوا ذكر التفاصيل الهامة التي يقوم عليها المعتقد المسيحي؟ أغرب وأغرب! ـــ كما كانت أَلِس تقول في دنيا العجائب.

عند هذه النقطة لابد من أن نعود بالبحث إلى الناموس، لأنه ليس لنا أن نعيب شخصًا بعينه لمجرد اشتباهنا بأن أحدًا ما قد عبث بتصميم الفكر المسيحي. وكون عيسى يهوديًا، فكان لابد له أن يتبع شريعة العهد القديم الموسوية. فمن بين تعاليمه التي نُقلت لنا: «وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا» (متّى ١٩: ١٧)، و«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ [أيوتا في اليونانية، وهو الحرف التاسع من الحروف اليونانية] أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ» (متّى ٥: ١٧–١٨). ويؤكد بعض المدافعين أن ذلك "تحقق" عند موت عيسى وقيامته المزعومين مما سمح بتعديل الشرائع فيما بعد. إلا أن ذلك الاستنتاج باطل لأن كلّ مسيحي يعتقد بأن عيسى سوف يعود للقضاء على المسيح الدّجال وذلك قبيل قيام القيامة. ومن هنا، إذا كانت بعثة عيسى على كوكب الأرض تعدّ نهاية المطاف فإن "الْكُلَّ" لم يتحقق بعد. والأرجح أنَّ "يَكُونَ الْكُلُّ" تعني بالضبط ما قد يفترضه كلّ شخص عاقل، ألا وهو خاتمة الحياة الدنيا يوم القيامة. وبالإشارة إلى الاقتباس أعلاه، فإن السماوات والأرض لم تفنيا بعد، كما أنه لا تبدو في الأفق [بعد] علامات على عيسى عائد. ومع ذلك فمنذ ألفي عام خلت قال

بولس إنه لم تتغير نقطة واحدة أو حرف من الناموس فحسب بل إن الناموس برمته قد تغير.

وتنص تعديلات بولس لتعاليم موسى وعيسى على مايلي: «وَبِهذَا [أي بالمسيح عيسى] يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى» (أعمال الرسل ١٣: ٣٩). ويصعب الإتيان بعبارة أكثر إجازة من هذه العبارة. ويسهل علينا أن نتصور صوت الجمهور وهو يهتف "هل من مزيد!" ويأتي الجواب: «وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ [أي تعذب] الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ بِهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٧: ٦). أو إن جاز لي إعادة صياغتها على النحو التالي: "أما الآن فأخبركم بأن تنسوا الناموس القديم هذا، والمنغصات التي تحملناها لوقت طويل، وأن تعيشوا وفقًا للدين الموافق لرغباتنا لا وفقًا لأوامر الوحي القديمة غير المريحة". وفي نظر بولس فإن شريعة الله كانت على ما يبدو صالحة لموسى وعيسى ولكن ليس لسائر البشر.

ويجب ألا نستغرب من أن الإنسان الذي عدّ نفسه مؤهلاً لينكر قانون الأنبياء جميعًا، عدّ نفسه كذلك أنه يمثل كلّ شيء وللناس كافّة كما قرر ذلك بجلاء:

«فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ.

فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ.

وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ (مع أني لستُ تحت الناموس) لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ.

وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ — مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ للهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ — لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ.

صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ.

صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٩: ١٩-٢٣).

وما الضّير في أن يحاول إنسان أن يصبح كلّ شيء لكل الناس؟ الضّير هو أن أولئك الذين يحاولون أن يصبحوا كلّ شيء لكل الناس يخفقون في أن يصبحوا أهم شيء لأهم إنسان — فهم يخفقون في أن يكونوا صادقين مع أنفسهم، وهذه مناورة مضمونة النجاح في مجال السياسة حيث إن أنجح السياسيين هم الذين يبيعون أنفسهم لأكبر عدد من المجموعات ذات المصالح التي يتضارب بعضها مع بعضها الآخر. فالمشكلة هنا هي أن السياسيين في هذه العملية لا يبيعون الحقيقة فحسب بل يبيعون أرواحهم أيضًا.

وهكذا وفي حلبة الصراع هذه يقف في الزاوية الأولى الأنبياء الحقيقيون، بمن فيهم عيسى المسيح، ممن يعلّمون الناس سبيل الخلاص عبر التمسك بشرع الله الذي أوحى به —— أي الخلاص عبر الإيمان والعمل

الصالح. وأما في الزاوية الأخرى فنجد الخصم بولس الذي وعد بخلاص لانَصَب فيه ولاتعب عبر حياة لا تقيدها الأوامر الربانية —— وبعبارة أخرى، الخلاص من النار عبر الإيمان وحده. لا عجب أن بولس قد وجد أتباعًا كثيرين.

وأما يعقوب فقد كان يلقن الناس أن الإيمان وحده **لا** يكفي للخلاص. ففي نصوص الكتاب المقدس التي يُطلق عليها أحيانًا عنوان «الإيمان من دون أعمال ميت» (يعقوب ٢: ٢٠)، يدين الكاتب بسخرية أولئك الذين يعتمدون فقط على الإيمان وحده لنيل الخلاص: «أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ!» (يعقوب ٢: ١٩). وإذا ما أعدنا صياغة الجملة صياغة عصرية فلعلها تصبح أقرب إلى التالي: "أنت تؤمن بالله؟ وما أهمية ذلك؟ فالشيطان نفسه يؤمن بالله أيضًا. فما الفرق بينك وبينه إذًا؟" ويُعقّب يعقوب موضحًا بأنه «بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَ بِالإِيمَانِ وَحْدَه» (يعقوب ٢: ٢٤). لماذا؟ «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أيضًا بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ» (يعقوب ٢: ٢٦).

إن عيسى المسيح لم يساوم على **مُثُله** لكي يرضي الجماهير من العامة، وإنما دعا إلى البساطة والتحلي بالمنطق السليم، كما في قوله: «كَمَا أَوْصَانِي الآبُ هكَذَا أَفْعَلُ... » (يوحنا ١٤: ٣١) و«إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ» (يوحنا ١٥: ١٠). ونكرر القول: "إن حفظتم **وصاياي**..." (التوكيد لي).

إلا أنه لم يَرِد عن عيسى في موضع من المواضع أنه أوصى بالإيمان بالبنوّة الإلهية والتثليث والصلب والتكفير وغيرها من عناصر عقيدة التثليث، بل هو في الواقع قد دعا إلى النقيض تمامًا.

وعلاوة على ذلك، وفي تناقض صارخ لما ذهب إليه بولس، لم يحاول عيسى أن يكون كلّ شيء لكل الناس، بل يبدو أنه كان شيئًا واحدًا لكل الناس — نبيًا يحمل الحق الرباني، نبيًا لم يكن ليخشى أن يصدع بالحق أو يعبر عما يجول في خاطره أو يُبلِّغ الوحي دون مواربة. ففي نص قصير من إنجيل متّى (٢٣: ١٣-٣٣) ينعت عيسى الفريسيين "بالمنافقين" فيما لا يقل عن ثماني مرات، و"بالعُمي" خمس مرات، و"بالجهال" مرتين، ويسمهم بـ "الحيّات" و"أولاد الأفاعي". كلام كبير؟ ربما ليس كبيرًا في الدول الغربية، ولكن إياك والتلفظ بهذه الشتائم في فلسطين — مسقط رأس عيسى — حتى في يومنا هذا.

إن **ذلك** لمثال صريح لنبي حق. ومع ذلك فهناك من يعدّ بولس الصوت الرئيس للوحي على الرغم من جلاء التحذير: «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ» (متّى ١٠: ٢٤).

فلماذا تولي المسيحية التثليثية أهمية لتعاليم بولس الذي لم يكن حواريًا ولا خادمًا، بل لم يلتق عيسى قط، أهمية تفوق أهمية تعاليم "المعلم" نفسه، على الرغم من تحذير الكتاب المقدس من مثل هذه الأولويات المعكوسة. وماذا يقترح بولس بخصوص معتقد التكفير؟ فهو ليس مجرد تعديل لتعاليم

عيسى. كلا، بل هو دين جديد بالكامل وناموس جديد كليًا — أو هو بالأحرى إبطال لكليهما. إنه دين يسير ومغرٍ يرغّب الناس في تصديقه. وفي ظل التاريخ الدموي من ظلم الروم الكاثوليك ماكان للمرء على مدى ألف وخمسمائة عام **إلا أن** يؤمن به، **وإلا..!** وبالنتيجة، يبدو أن الكنيسة قد أفلحت في جعل أذهان جماهير الفطرة سريعة التلقي وسريعة التصلب تتقبل زيفًا مُقْنِعًا ظاهر البراءة، مرسخة بذلك قناعات على أسس عقيدة لا مستند لها، عقيدة بعيدة كلّ البعد عن تعاليم عيسى: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أيضًا... » (يوحنا ١٤: ١٢). وللمرء أن يتساءل: هل كان عيسى يعني بذلك حقًا أمورًا مثل اتباع الناموس الموحَى، والالتزام بالأوامر الربانية، والدعاء **المباشر** إلى الله —— أو ماشابه ذلك؟

ماذا يمكننا أن نتصور ماسوف يقوله عيسى لدى نزوله حين يجد مجموعة من "أتباعه" يفضلون عقيدة بولس على عقيدته؟ لعل عيسى عندها يستشهد بالآية (٢٣: ٣٢) من إنجيل أرمياء: «هأَنَذَا عَلَى الَّذِينَ يَتَنَبَّئُونَ بِأَحْلاَمٍ كَاذِبَةٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الَّذِينَ يَقُصُّونَهَا وَيُضِلُّونَ شَعْبِي بِأَكَاذِيبِهِمْ وَمُفَاخَرَاتِهِمْ، وَأَنَا لَمْ أُرْسِلْهُمْ وَلاَ أَمَرْتُهُمْ. فَلَمْ يُفِيدُوا هذَا الشَّعْبَ فَائِدَةً، يَقُولُ الرَّبُّ».

وكائنًا ماتكون مقولة عيسى أو فعله عندما ينزل، فإن بوسعنا أن نفترض أن عودته سوف تأخذ الكثيرين على حين غرّة.

# ١٦- عودة عيسى



**لو قُدر لـ عيسى المسيح أن يعود إلينا اليوم، فإن الناس لن يصلبوه. بل سوف يدعونه إلى الغداء**

**ويستمعون إليه ثم يسخرون مما يقول.**

دي. آي. وِلْسن *D.A. Wilson*،

**كارلايل في أوْجِه**

هناك أمر يتفق عليه المسيحيون والمسلمون ألا وهو عودة المسيح عيسى. ومن الممتع حقًّا أن كلتا الديانتين تتوقعان عودة عيسى في انتصار من الإيمان لكي يهزم المسيح الدجال، ويصحح ما انحرف من الدين، ويرسّخ الحقيقة الربانية في أرجاء المعمورة كافّة. ويتوقع المسيحيون أن تقلب تلك الحقيقة صدى معتقدات المسيحية المتطورة، في حين يتوقع المسلمون أن يبقى المسيح ثابتًا على تعاليمه السابقة وأن يفنّد المعتقدات الباطلة التي استنبطها أولئك الذين يزعمون أنهم يتحدثون اليوم باسمه. وتحقيقًا لهذه الغاية، يتوقع المسلمون أن يؤكد عيسى حقيقة أن محمدًا هو خاتم المرسلين

الذي بُشر به في العهد الجديد، ويصدّق على أمر التسليم لله (أي الإسلام) أنه دين أنزل للبشرية جمعاء.

ويرى المسلمون أن عودة عيسى سوف تكون شديدة على نفوس من اعتنقوا عقائد من صنع البشر وضعها رجال لأقوام فضلوها على تعاليم الأنبياء. وأكثر من سوف يلقى العذاب على وجه الخصوص هم أولئك الذين يكفرون بقولهم إن الله اتخذ شريكًا له في الملك ولدًا له هو عيسى على الرغم من أن تعاليم هذا النبي تدعو إلى النقيض من ذلك. وينص القرآن الكريم على أن الله سوف يسأل عيسى في هذا الشأن على النحو التالي:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾ (القرآن الكريم ١٥: ١١٦-١١٧).

وحتى يعود عيسى بدليل قاطع – ألا وهو حقيقة كونه من بني البشر التي لا تقبل الجدل – فإن سؤالاً واحدًا سيفرض نفسه على نظام الدفاع العقدي. ولعله يكون السؤال نفسه الذي سوف يطرحه عيسى على من

يزعم أنه سار على نهجه. فأين ورد في الإنجيل أن عيسى قد قال بعبارات **واضحة لا لَبس فيها**: "أنا الله، فاعبدوني؟" لم يرد ذلك في موضع من المواضع. وعليه فلماذا يُعد عيسى إلهيًا؟ هل كان سيغفل عن إبلاغ مثل تلك التعاليم الأساسية لو كانت صحيحة؟ إن ذلك بعيد الاحتمال. إذا كان عيسى لم يزعم قط أنه الله وكانت عقيدة ألوهيته من ابتداع البشر، فإنه يمكننا أن نتوقع أن الله سوف يعترض. ولعله سيردد ماجاء في إشعياء (٢٩: ١٣) (كما فعل عيسى في متى ١٥: ٨-٩، ومرقس ٧: ٦-٧): «يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ». ويتساءل المرء: هل كانت هناك معتقدات أقرب إلى «وَصَايَا النَّاسِ» من عقائد التثليث والبنوّة الإلهية وألوهية عيسى والخطيئة الأصلية والبعث والتكفير؟ وماذا يقول الله فيمن يتبنون مثل هذه العقائد؟ «بَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي».

وفي إنجيل لوقا (٦: ٤٦) طرح عيسى سؤالاً يتحدى "تابعيه" بدرجة مماثلة: «وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ، وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟» وفي الآيات التالية يصف عيسى أمان أولئك الذين يتبعون تعاليمه وثبور «الَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ». وحقًا، هل من عجب في ذلك؟ دعونا نتذكر الآيات (٧: ٢١-٢٣) من إنجيل متى، التي يعد عيسى من خلالها بأن يتبرأ من الهراطقة من أتباعه في الدار الآخرة:

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ

سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: "يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!».

وبالطبع هناك من يؤكد أن الإيمان هو الإيمان. وهو أمر يجب ألاّ يُفرض، ولا يُتلاعب به ولا يخضع للتعليل. وتطرق مارك توين إلى مثل هذه المواقف بالكلمات التالية: "وكان طالب المدرسة هو الذي قال 'الإيمان هو الاعتقاد بما تدرك أنه غير ذلك'."[٢٢٤] المهم هو أن هناك بونًا شاسعًا بين الإيمان بالله بغير برهان والتصديق بمعتقدات عن الله لا يعوزها الدليل فحسب بل ويوجد ما يناقضها في تعاليم الأنبياء. ولعل المجموعة الثانية هي التي يشير إليها إنجيل متّى (١٣:١٣) فيما نصه: «لأَنَّهُمْ مُبْصِرِونَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِونَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ». ومع ذلك فهم راسخون في عقيدتهم، سادرون في غيّهم يغطون في سبات إلى أن يجيء يوم الحساب.

علينا أن نتذكّر أن الكتب السماوية توجه إيماننا من خلال المنطق وليس العاطفة. فالكتاب المقدس يقول: «امْتَحِنُوا [أو "برهنوا" كما في بعض الترجمات] كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥: ٢١). أما إنجيل إشعيا (١: ١٨) فيأمر بالتالي: «هلم نتحاجج يقول الرب». وهكذا فإن الإيمان بالله قد يُبنى على

---

[٢٢٤] Twain, Mark. *Following the Equator*. Ch. "Pudd'nhead Wilson's New Calendar.

العقيدة، ولكن ينبغي بعد ذلك البحث عن الحقيقة في تعاليم أنبيائه، وإذا ما سلم المرء بتلك التعاليم وتبعها عُدّ من الصالحين. أما إذا اتبع المرء تعاليم مغايرة فسوف يضيّع فرصة الخلاص من النار، ذلك أن الكتاب المقدس يحذّرنا بالقول: «إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ. لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» (إشعياء ١: ١٩–٢٠).

فالباحث المخْلص إذًا هو من يرتقي سلم الأدلة المكدّسة متشبثًا بحبل إعمال العقل. ومع إقرارنا بذلك وبالرغم من كلمات شكسبير Shakespeare من أن "الشيطان يمكنه أن يستشهد بالكتاب المقدس لتحقيق أغراضه،"[٢٢٥] فإن الحقيقة تتجلى بتفحّص الكتاب المقدس برمته. أما الخلوص إلى من هي الشياطين التي مافتئت تستشهد بكتب مقدسة، وإلى مجموعة الكتب المقدسة التي يُستشهد بها، والغاية المنشودة جرّاء ذلك، فهو أمر يختلف من شخص لآخر. ولن يكون هناك حل لآلاف السنين من الخلاف العقدي يرضي الجميع مهما كان التحليل شاملاً. ولسوف يستمر كلٌ من التثليثيين والتوحيديين في التنافس من أجل نيل الاعتراف بأنهم يمثلون المسيحية "الحقة"، ولسوف يستمر المسلمون على التأكيد بأن كلتا النسختين محرّفتان بعقائد غير إنجيلية، في حين يبقى اليهود راضين بقناعتهم بأنهم "شعب الله المختار".

إذا كان هذا التحليل قد بين لنا شيئًا فهو كشفه حقيقة أن كلا من

---

٢٢٥ Shakespeare, William. *The Merchant of Venice*. Act I, Scene 3.

موسى وعيسى قد دَعَوَا إلى التوحيد الخالص وتنبأ بقدوم نبي خاتم. هل من الممكن أن يكون محمد هو ذلك النبي الخاتم، وأن يكون القرآن خاتم الرسالات؟ وكي نتمكن من محاولة إيجاد حل لهذا السؤال علينا أولاً أن نقوّم الكتب المقدسة ومن ثم الانتقال من ذلك إلى التمحيص في الأنبياء أنفسهم.

# القسم الرابع: الكتب السماوية



**هناك دين واحد مع أنه يوجد مئات النُّسخ منه.**

جورج برناردشو *George Bernard Shaw*: **مسرحيات سارة وغير سارة**، المجلد الثاني، التوطئة.

إن الموضوع المشترك بين الأديان كافّة أنه إذا ما آمنا بالله وأسلمنا لشرعه – باتباع أوامره واجتناب نواهيه والإنابة إليه سبحانه – فإنه سوف يكتب لنا الخلاص من النار. إلا أن الاختلاف يكمن في تحديد شرع الله. فاليهود يَحْسَبون أن العهد القديم هو نهاية الوحي في حين يعتقد المسيحيون والمسلمون على حد سواء أن اليهود لو تبعوا كتابهم المقدس لآمنوا بعيسى نبيًا واتبعوا تعاليمه.

وينتقل المسلمون بالفكرة خطوة أبعد من ذلك وهي توكيدهم على أن كلّ شخص (سواء أكان يهوديًا أم مسيحيًا أم غير ذلك) ممن يؤمن بتعاليم عيسى المسيح لا بد له أن يقر أن هذا النبي دعا في رسالته إلى

التوحيد الخالص، وإلى الالتزام بشريعة العهد القديم، وأنه بشّر بظهور النبي الخاتم. لكن معظم من يزعمون أنهم أتباع عيسى لايتّبعون في الحقيقة ما دعا إليه، بل ما دعا إليه آخرون باسمه. وهكذا فإن بولس (ومن تبعه من اللاهوتيين) انتهك حرمة المسيح عيسى وذلك باستنباطه لشريعة مسيحيه خاصة به. ومع ذلك فإن العهد القديم يحذرنا بالقول:

«كُلُّ الْكَلاَمِ الَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ. لاَ تَزِدْ عَلَيْهِ وَلاَ تُنَقِّصْ مِنْهُ. إِذَا قَامَ فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلْمًا، وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً، وَلَوْ حَدَثَتِ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ الَّتِي كَلَّمَكَ عَنْهَا قَائِلاً: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا، فَلاَ تَسْمَعْ لِكَلاَمِ ذلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الْحَالِمِ ذلِكَ الْحُلْمَ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ، وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ، وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ، وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وَبِهِ تَلْتَصِقُونَ» (التثنية ١٢: ٣٢-١٣: ٤).

ولكن على الرغم من هذا التحذير، أعلن بولس عن تركيبة ربّ "لم تعرفوها بعد". إن المستنقع اللاهوتي المستمد من عقائد بولس الصوفية لهو مستنقع موحل ومربك لا محالة. فالعديد من العبّاد — إن لم يكن أكثرهم — ليسوا على دراية بأصول معتقدهم الديني المشكوك في أصله، والأنكى من ذلك أنهم وبكل بساطة يضعون ثقتهم في قائد ملهم (من مثل راعي أبرشية، أو قس أو البابا، وغيرهم) ويهتدون بهديه. وعن طريق الالتزام بمثل

هذا الخيار، يثبت الأتباع على معتقد ضمن بنية دينية من الرجال، —كما رأينا — تتعارض بصورة كبيرة مع تعاليم عيسى نفسه. ومن ناحية أخرى، يقرّ المسيحيون التوحيديون أنه بالرغم من أن مثل هؤلاء القادة الملهمين مؤثرون ومقنعون، إلا أنهم ليسوا على هدى، بل وبدلاً من ذلك تراهم يجهدون أنفسهم في محاولة للالتزام بالكتاب المقدس.

إن هذا الأمر ليس باليسير دومًا كما يعرف كلّ شخص يحاول استخلاص أوامر الله من العهدين القديم والجديد. فالخطوط العريضة للتعاليم الدينية (كالإيمان بالله وكتبه ورسله)، والشرائع (كالوصايا العشر) واضحة. أما النقاط الأكثر دقة فليست كذلك، وهو ما يشهد عليه ذلك التنوع الكبير من الطوائف والكنائس المسيحية واليهودية على اختلاف مشاربها والبون الشاسع بين معتقداتها.

أين يقف الباحث الجاد من هذا إذًا؟ هل يتخلى عن الدين بأسره كما فعل الكثيرون؟ أم يبحث عن كتاب منزل أخير فيه بيان كلّ شيء كما جاء به النبي الخاتم الذي بشر به كلّ من العهدين القديم والجديد؟

فيما يلي تحليل للعهدين القديم والجديد، لا لإثبات أنهما مقدسان، بل لكشف تلك التناقضات والأخطاء الكثيرة التي تفضح تحريفهما. ليس الهدف من هذا الكتاب زعزعة إيمان أولئك الذين يُجلّون تلك النصوص على أنها مقدّسة، بل لإعادة توجيه ذلك الايمان إلى حيث توجهه تلك النصوص ذاتها. ونحن في مواجهة نقد النصوص الحديث، إنما نخدع أنفسنا

(كما نجلب لها السخرية والإدانة) إذا ما كنا نعتقد بأن العهدين القديم والجديد يمثلان كلمة الله الخالصه. وعلى كلّ حال، إذا ما اعترفنا بأخطاء الأناجيل اليهودية والمسيحية وفهمنا مغزى تلك الأخطاء، فقد يؤدي هذا الفهم لتوجيه بحثنا عن الهداية.

وإلى من يرغب أن يواصل البحث بعد قراءته لهذه الفصول، فإن بإمكانه أن يفعل ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي يوسع نطاق التحليل ليشمل القرآن الكريم أولاً ثم الأنبياء ثانيًا. وبالطريقة ذاتها التي تتطلب فيها الكتب السماوية تحليلاً، كذلك فإن علينا التحقق في أمر الأنبياء إذا أردنا أن نثق بالوحي الذي ادّعوا بأنهم بلّغوه.

# ١ – العهد القديم



**[الكتاب المقدس] يحتوي على شعرٍ بليغٍ وعلى بعض الخرافات الذكية وعلى تاريخ يقطر دمًا وعلى قدر كبير من البذاءة، ويحتوي الكتاب المقدس كذلك على ألف كذبة وكذبة.**

مارك توين، **رسائل من الأرض** *Letters from the Earth*، المجلد الثاني

فلنبدأ بوضع «اثْنَيْنِ مِنْ كُلّ (نوع من الحيوانات) في الْفُلْكِ»، ثم... كلا، مهلاً. هل كان ذلك «اثنين من كلّ نوع» كما في سفر التكوين (٦: ١٩)، أم سبعة من البهائم الطاهرة واثنين من البهائم غير الطاهرة كما في سفر التكوين (٧: ٢–٣) ذاته؟

أمر غريب! ولكن لا يهم، فلدينا نحو ١٢٠ سنة للتفكير في ذلك لأن هذا هو الحد الاقصى لعمر الإنسان، كما جاء في وعد الله في سفر التكوين (٦: ٣). تمامًا مثل سام Shem (ابن نوح)...

عذرًا! مثال سيئ! جاء في سفر التكوين (١١:١١) ما يلي: «وَعَاشَ سَامٌ... خَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ».

حسنا، فلننس سامًا! ولنأخذ نوحًا ... عجبًا! الأمر مضاعف هنا! فوفق ماجاء في سفر التكوين (٩: ٢٩) نجد: «فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ». دعونا نَرَ، وعدَّ سفر التكوين (٦: ٣) بأن الحد الأقصى لعمر الإنسان هو ١٢٠ عامًا، إلا أنه بعد ذلك ببضع صفحات ذكر أن سامًا ونوحًا خالفا تلك القاعدة.

ياللهول! لمضي الزمان.

دعونا ننظر إلى تواريخ العهد القديم من زاوية مختلفة! فإليك النص (١٦: ١٦) من سفر التكوين: «كَانَ أَبْرَامُ (إبراهيم) ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ». ثم يخبرنا سفر التكوين (٢١: ٥) بأنه «كَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ». دعونا نحسب: مائة ناقص سته وثمانين، ثم اطرح ستة من العشرة الأولى وتسعة ناقص ثمانية ... حساباتي تقول أربعة عشر. إذًا فقد كان إسماعيل في الرابعة عشرة حين ولد إسحق.

ونقرأ بعد ذلك بقليل في سفر التكوين (٢١: ٨)، «فَكَبِرَ الْوَلَدُ (إسحق) وَفُطِمَ». فطبقًا للتقليد العرفي في الشرق الأوسط، فإن الأطفال يفطمون لدى بلوغهم سن الثانية من العمر. أضف عامين لسن الرابعة عشرة يكون إسماعيل قد بلغ من العمر ستة عشر عامًا حين أمرت سارة

إبراهيم بطرده (سفر التكوين ٢١: ١٠).

لا بأس حتى الآن.

وبعد ذلك ببضع آيات نقرأ كيف يصوّر سفر التكوين (٢١: ١٤-١٩) إسماعيل الطريد طفلاً ضعيفًا لاحول له ولاقوة، لا شابًا في السادسة عشرة من العمر قوي الجسد، وذلك على النحو التالي:

«فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، مَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمْيَةِ قَوْسٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: "لاَ أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ". فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ.

فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: "مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً".

وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ».

هل يوصف من هو في السادسة عشر من العمر بأنه "ولد" أم "غلام" في زمن ومكان كان فيهما أبناء السادسة عشرة رجالاً يعيلون أسرًا

متنامية وينتظرون مولودهم الثاني أو الثالث، فضلاً عن كون أحدهم صيادًا أوجنديًا أو مَلِكًا أحيانًا. كان سن السادسة عشرة في أيام إسماعيل معادلاً لسن الرجولة. كيف إذًا قام الأب بإعطاء "الولد" إسماعيل، ابن السادسة عشرة، لهاجر؟ وكيف تركت ذاك الولد يبكي كطفل رضيع تحت شجرة؟ وكيف يمكن بالضبط لهذه الأم أن تحمله وترفعه بيديها؟ وأخيرًا، هل يُتَوقع أن نصدق حقًا بأن إسماعيل كان من الضعف لدرجة يحتاج فيها أمه كي تسقيه لأنه لم يكن قادرًا على أن يجلب الماء بنفسه؟

أجل، تلك هي خلاصة الأمر. هذا ما يفترض بنا أن نصدقه.

لكن انتظر! فهناك المزيد.

فقد ورد في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢: ٢) أنه، «كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ... » كان في الثانية والأربعين من العمر! ملك في الثانية والأربعين يندر أن يُذكر اسمه إلا حين نقرأ ماجاء في سفر الملوك الثاني (٨: ٢٦)، «كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ». فأي الحالتين هي الصواب إذًا؟ أكان في الثانية والأربعين أم الثانية والعشرين؟

دعونا نجد دليلاً من الكتاب المقدس، ففي سفر أخبار الأيام الثاني (٢١: ٢٠) أن والد أخزيا Ahaziah، الملك يهورام king Jehoram، توفي وهو في الأربعين من عمره.

عجيب!

الملك يهورم يتوفى في الأربعين من عمره ويخلفه ابنه الذي كان في الثانية والأربعين؟ بعبارة أخرى، كان الملك يهورام أبًا لطفل يكبره بعامين! يقول الفأر ميكي ماوس Mickey Mouse للأطفال إن الحساب هو "أن تستطيع العد من الواحد وحتى العشرين دون أن تخلع حذاءك". ولكن مهما توافرت سبل الحساب والعد، فليس هناك من سبيل لإيجاد معنى لهذه الأرقام جميعًا. وفيما نقترب من النتيجة المنطقية بسرعه صاروخية يشير سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢: ١) إلى أن أخزيا كان الابن الأصغر للملك يهورام وذلك لأن الغزاة قتلوا جميع أبنائه الأكبر سنًا.

فإذا كان أخزيا يكبر أباه المتوفى بعامين فما عدد السنوات التي فاق بها إخوته الأكبر سنًا عمر أبيهم؟

من الواضح أنه لا يمكن الوثوق بما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢: ٢) وأن ما ورد في سفر الملوك الثاني (٨: ٢٦) عن أن أخزيا كان في الثانية والعشرين حين أصبح ملكًا هي الرواية الصحيحة.

إذًا فقد مات الملك يهورام في سن الأربعين (أخبار الأيام الثاني ٢٠: ٢١) وقد خلفه أخزيا الذي كان في الثانية والعشرين من العمر (الملوك الثاني ٨: ٢٦)، وهذا يعني أن الملك يهورام كان في الثامنة عشرة من العمر حين ولد له أخزيا، وأنه كان في السابعة عشر حين حملت به أمه. وليس ذلك فحسب، فقد كان ليهورام ابنان آخران أكبر سنًا أيضًا (أخبار الأيام الثاني ٢٢: ١). هذا يعني أنه بدأ بتكوين أسرته في سن الخامسة عشرة أو

أقل. ماذا عن إسماعيل إذًا، أكان طفلاً عاجزًا في سن السادسة عشرة؟ إنه عصر كان فيه المراهقون رجالاً، وليسوا أطفالاً.

ولكن ماذا بشأن سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢: ٢) الذي يذكر أن أخزيا كان في الثانية والأربعين من العمر حين اعتلى العرش؟

ذلك خطأ في النسخ بلا شك.

ولكن هذا ليس بيت القصيد.

فسفر إشعياء (٤٠: ٨) يزعم أنه «أَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ». لا يترك هذا التأكيد المجال لخطأ في النسخ أو لخطأ آخر مهما كان صغيرًا. وفي الحقيقه وطبقًا لإشعياء (٤٠: ٨)، فإن كلّ "كلمة" لم "تثبت إِلَى الأَبَدِ" تفقد أهليتها في أن تكون من عند الله.

وهذا ما يدفعنا لأن نشكك في المصدر.

فإذا كانت «كَلِمَةُ إِلهِنَا تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» ولم تصمد "الكلمة" المتعلقه بسن أخزيا أمام اختبار الزمن، فكلمة مَنْ تلك إذًا؟ أهي كلمة الله أم كلمة الشيطان؟

ونحن لم ننته بعد، ذلك أنه حتى العهد القديم لا يبدو على يقين بهذا الشأن.

فقد ورد في سفر صموئيل الثاني (٢٤: ١) ما يلي، «وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلاً: "امْضِ وَأَحْصِ

إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا"». إلا أن سفرأخبار الأيام الأول (٢١: ١) يذكر ما يلي، «وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ».

أيهما كان إذًا؟ الرب أم الشيطان؟ فثمة فرق ليس بالكبير ولكنه تام.

يا له من انتحال شخصية!

ولكن وبكل جدية، يمكن تفهّم الخطأ. فمن الصعب معرفة من تتحدث إليه إن لم تر وجه من يوحي إليك. وكما قال الرب في سفر الخروج (٣٣: ٢٠)، «لا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ».

ها قد اتضح الأمر.

فلا أحد يستطيع أن يرى وجه الله ثم يحيا...

فيما عدا يعقوب بالطبع، حيث ينص سفر التكوين (٣٢: ٣٠) «فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ "فَنِيئِيلَ" قَائِلاً: "لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي"».

وعلينا ألا ننسى موسى، كما جاء في سفر الخروج (٣٣: ١١)، «وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ».

وهكذا لا يمكن لإنسان أن يرى وجه الله ثم يحيا...

عدا يعقوب وموسى.

لكن الله لم يستثنهم، أليس كذلك؟

لعله غيَّر رأيه.

أو ربما لم يفعل.

فمن جهة يرى سفر التكوين (٦: ٦-٧) أن الله يرتكب أخطاء ويندم عليها فيما بعد، وذلك فيما يلي: «فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: "أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، **لأَنِّي حَزِنْتُ** أَنِّي عَمِلْتُهُمْ"» (التوكيد لي).

أما الآيات (٢٣: ١٩) فتنصّ على أنه: «لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ».

والمغزى هنا، أنه إن لم يكن الأمر واضحًا مسبقًا، فإن العهد القديم يعج بالأخطاء. لعل أبسطها هي الأخطاء الرقمية، وهي كثيرة. مثال ذلك أن سفر صموئيل الثاني (٨: ٤) يتحدث عن اصطحاب داؤود لسبعمائة فارس، أما سفر أخبار الأيام الأول (١٨: ٤) في وصف للأحداث ذاتها، فيذكر أن العدد كان نحو سبعة آلاف فارس.

عدد كبير.

**سبعمائة** فارس في جملة **وسبعة آلاف** في جملة أخرى — واضح أن أحد النساخين أخطؤوا بزيادة صفر أو إنقاصه.

كلا!

فالعهد القديم لا يحوي أصفارًا، بل هو لا يحوي أعدادًا. فلم تكن الأرقام العربية التي نعرفها جميعًا في زمن العهدين القديم والجديد شائعة الاستعمال بعد. فقد كانت الأرقام الرومانية الغامضة هي لغة الرياضيات، وأما أول شاهد على استخدام الصفر فيعود للعام ٩٣٣ بعد الميلاد.

أما في اللغة العبرية القديمة فكانت الأرقام تكتب بالحروف. كان رقم سبعمائة يكتب (شِبع مِيه) وسبعة آلاف تُكتب (شِبع إلِف). لذا فإن هذا الفارق الإنجيلي قد يمثل خطأ في النسخ، ولكنه ليس خطأ بسيطًا بفعل إضافة صفر أو نسيانه، بل هو الفرق بين (مِيّه) و(إلِف).

وعلى نحو مماثل ، يتحدث سفر صموئيل الثاني (١٠: ١٨) عن سبعمائة من راكبي العربات وأربعين ألف فارس، فيما يتحدث سفر أخبار الأيام الأول (١٩: ١٨) عن سبعة آلاف من راكبي العربات وأربعين ألفًا من جنود المشاة. ويذكر سفر صموئيل الثاني (٢٣: ٨) ثمانمائة رجل بينما يذكر سفر أخبار الأيام الاول (١١:١١) أنهم كانوا ثلاثمائة. وفيما لوكان القارئ يشتبه في أن تلك الجمل تتحدث عن أحداث مختلفة، فإن الاسمين يُوشَيْب بشَّبْث Josheb-Basshebeth ويَشُبْعام Jashobeam يظهران في إشارات مرجعية توضح أن النصّين يصفان الشخص نفسه. ويصف سفر صموئيل الثاني (٢٤: ٩) أن ثمانمائة ألف رجل «استلّوا سيوفهم» في إسرائيل وخمسمائة ألف آخرين في يهوذا، بينما يقدر سفر أخبار الأيام

الأول (٢١: ٥) أعدادهم بمليون ومائة ألف في إسرائيل وأربعمائة وسبعين ألفًا في يهوذا. ويصف سفر صموئيل الثاني (٢٤: ١٣) سبعة أعوام من المجاعة بينما ورد في سفر أخبار الأيام الاول (٢١: ١١-١٢) أنها كانت ثلاثة. ويذكر سفر الملوك الأول (٤: ٢٦) أن مرابط خيل سليمان بلغت أربعين ألفًا بينما يذكر سفر أخبار الأيام الثاني (٩: ٢٥) أنها بلغت أربعة آلاف. ويذكر سفر الملوك الأول ١٥: ٣٣ أن بَعْشا Baasha حَكم إسرائيل حتى السنة السابعة والعشرين من حكم آسا Asa ملك يهودا. ومن ناحية أخرى، يفيد سفر أخبار الأيام الثاني (١:١٦) أن بَعْشا كان لايزال ملكًا لإسرائيل في السنة السادسة بعد الثلاثين لحكم آسا. ويتحدث سفر الملوك الأول (٥: ١٥-١٦) عن وجود نحو ثلاثة آلاف وثلاثمائة نائب لسليمان بينما يذكر سفر أخبار الأيام الثاني (٢:٢) وجود ثلاثة آلاف وستمائة. ونقرأ في سفر الملوك الأول (٧: ٢٦) عن وجود ألفي حمّام إلا أن عددها في سفر أخبار الأيام الثاني (٤: ٥) يبلغ ثلاثة آلاف. وينص سفر الملوك الثاني (٢٤: ٨)، «كَانَ يَهُويَاكِينُ ابْنَ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِي أُورُشَلِيمَ »، بينما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (٣٦: ٩) أنه «كَانَ يَهُويَاكِينُ ابْنَ ثَمَانِي سِنِينَ حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ فِي أُورُشَلِيمَ». ويرد في سفر عزرا (٢: ٦٥) الحديث عن مئتي مغن ومغنية، بينما يذكر سفر نحميا (٧: ٦٧) أنهم كانوا مئتين وخمسة وأربعين.

هل تُعدّ هذه الاختلافات مهمة؟

الجواب: نعم ولا. فنحن على الأغلب لا يهمنا عدد الحمّامات والمغنين وجنود المشاة من قريب أو بعيد، أو ما إذا كانت ريشة أحد النسّاخ قد زلّت بينما قام آخر بتدوير الأرقام لأقرب خانة مئوية. فلا أهمية لهذه الاختلافات من ناحية نقلها للمعلومات المفيدة، إلا أنها وفيما يتعلق بإثبات أن العهد القديم هو كلمة الله التي لا تخطئ، فإن هذه الاختلافات تعد على جانب كبير من الأهمية.

ويضاف إلى ذلك أن هناك الكثير من التضاربات التي ليست ذات طبيعة عددية.

مثال ذلك أن سفر التكوين (٢٦: ٣٤) يحدثنا عن أن زوجتي عيسو Esau كانتا يَهُودِيتَ Judith وَبَسْمَةَ Basemath، أما سفر التكوين (٣٦: ٢-٣) فيذكر أن زوجاته كنّ ثلاثًا وهن عدا Adah وأُوُهُولِيبَامَةَ Aholibamah وبَسْمَةَ. وفي سفر صموئيل الثاني (٦: ٢٣) نجد أن ميكال Michal ظلت عاقرًا إلى أن توفيت في حين أن الآية (٢١: ٨) من السفر ذاته تنسب إليها خمسة أبناء. ويرد في سفر صموئيل الثاني (٨: ٩-١٠) أن توعي Toi كان ملكًا لحَمَاةَ Hamath وكان يورام Joram مبعوثًا للملك داؤود، David إلا أن سفر أخبار الأيام الأول (١٨: ٩-١٠) يذكر أن اسم الملك كان توعو Tou وأن اسم المبعوث كان هادورام Hadoram.

ومرة أخرى نقول إن هذا ليس بالتناقض الجسيم.

ولكن إليكم ما هو كذلك:

فسفر صموئيل الأول (١٧: ٢٥) يحدثنا بأن يِتْرَا Jethra (المعروف أيضًا بـ"يَتْرُ Jether " –– خضع الاسمان لإسناد ترافقي، وبهذا نعرف أن هذين النصّين يشيران إلى الشخص نفسه) كان من سلالة بني إسرائيل Israelite، في حين يذكر سفر أخبار الأيام الأول (٢: ١٧) أنه كان من سلالة إسماعيل. فإذا لم يكن بمقدور مؤلفي العهد القديم الاتفاق على هذه الجزئية، فلنا أن نعجب حول مدى استعدادهم، كونهم يهودًا، للقيام بتحويل مدروس لمسألة الذرية في حالة إبراهيم وهو يُضحي بـ"ابنه الوحيد" إسحق. ولقد ناقشت في بداية هذا الكتاب في فصل يحمل عنوان "عيسى مولود إلهي" حقيقة أن إسحق لم يكن يومًا الابن الوحيد الذي أنجبه إبراهيم. ونحن نجد هنا أن مؤلِّفي العهد القديم قد استبدلوا "إسماعيلي" بـ"إسرائيلي" دون دوافع واضحة. فما الاحتمال الأكبر أن يكونوا قد عملوا على تبديل سلالتي إسحق ويعقوب في وقت كان فيه حقهم بالوراثة ومواثيقهم مع الله على المحك؟

إن ماطرأ هو أن مترجمي الكتاب المقدس حاولوا إخفاء هذا التناقض حين أصبح معروفًا. مثال ذلك أن الطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة تترجم الكلمة العبرية "يِسرَئيلي" Yisre'eliy في سفر صموئيل الثاني (١٧: ٢٥) بـ"إسماعيلي" Ishmaeli ثم تقر في إحدى الحواشي بأن الترجمة الصحيحة هي "إسرائيلي"، في حين أن كلمة "يِشمَعيلي" Yishama'e'li هي التي تعني "إسماعيلي" Ishmaelite. ومما يعزز الأدلة على عدم أمانة المترجمين

حقيقة أن الغالبية العظمى من طبعات الكتاب المقدس التي تم نشرها قبل منتصف القرن العشرين (بما في ذلك الطبعة المعتمدة الأمريكية لعام ١٩٠١، التي استندت إليها الطبعة المعتمدة المنقحة والطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة) تترجِمْ كلمة "يِسرَئيلي" بـ"إسرائيلي" Israelite ولم تُحرَّف الترجمه لتصبح "إسماعيلي" إلا بعد أن تم التعرف إلى هذا التناقض في نص الكتاب المقدس.

وبهذا الخداع الحديث، فإن الطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة تتفادى التناقض في ترجمتها ولكن ليس في النصوص الأصلية. ونحن نفعل حسنًا بملاحظة هذا الخداع، فهل سندهش حقًا إذا ما حاولت ترجمات الكتاب المقدس مستقبلاً التعتيم على الأخطاء الأخرى التي يكشف عنها هذا الكتاب الذي بين أيديكم؟

والآن إليكم بيت القصيد: يحتوي كلٌّ من الإصحاح (١٩) من سفر الملوك الثاني والإصحاح (٣٧) من سفر إشعياء على سبع وثلاثين آية متتابعة ومتطابقة تطابقًا حرفيًا تقريبًا. والتناظر هنا بالغ الدقة لدرجة دفعت بنقاد الكتاب المقدس لاقتراح أن يكون المؤلفون قد انتحلوا نصوصًا بعضهم من بعض أو من الوثيقة الأصلية ذاتها. وفي حين أن السرقة الأدبية بإمكانها تفسير هذا التناسق، فإن اقتراحًا أوجه قد يُطرح بأن هذين الإصحاحين يمثلان الدقة المتقنة التي يمكن أن نتوقعها من كتاب من عند الله. وسواء رُويت القصة مرة واحدة أو مرتين أو ألف مرة، وطالما أن أصل القصة ينبع من الوحي الرباني، فإن الرواية ينبغي ألا تتغير ولو في أدق

التفاصيل. إلا أن الحقيقة هي أن الروايات تتغير في كلا العهدين القديم والجديد تغيّرًا يهدد الادعاء بعصمة الكتاب المقدس من الاخطاء.

ثم إن هناك الأسئلة البسيطة التي تطرح ذاتها. أسئلة مثل "هل يعتقد أحد حقًا بأن يعقوب Jacob تصارع مع الله وأن يعقوب كان الغالب (سفر التكوين ٣٢: ٢٤–٣٠)؟" أيعقل أن خالق كَوْنٍ يبلغ مدى قطره ٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميلاً بكل دقائقه، وفيه كوكب الأرض بيضوي الشكل معادل الحجم الذي يزن ٥,٩٧٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كلغم، أن يتصارع مع نطفة تافهة من المادة الحية خلقها بنفسه؟ ليس هذا وحسب بل وتصرعه؟

وهاكم سؤالاً بسيطًا آخر: جاء في سفر التكوين (٢: ١٧) وفيه أن الله حذّر آدم قائلاً «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». ويضيف سفر التكوين (٣: ٣) «وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: "لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا"». أيهما صحيح إذًا؟ هل قضم آدم من التفاحة أم إنه لم يفعل؟ فقد جاء في الرواية أنه قَضَم التفاحة وعاش بعد ذلك. لكن الله أنذره بالموت في اليوم ذاته. فهل قضمها أم إنه لم يفعل؟ إن كان قد فعل ذلك فقد كان ينبغي أن يموت للتو، وإن لم يفعل فقد كان ينبغي أن يكون بنو البشر لا يزالون يحيون في جنة الفردوس. فهل كلمة "يموت" خطأ في الترجمة أم استعارة أم تناقض؟ إذًا كانت خطأ، فليعترف المترجمون بذلك. وإن كانت

استعارة فبإمكاننا أن نعترف بالطبيعة المجازية للتعبير العبري ونقترح بأن عيسى لم يمت إلا إذا كان آدم قد مات. وأما إذا كانت تناقضًا، فماذا عسانا نقول...

ولننتقل للمسألة الثانية ونسأل —— من كتب العهد القديم؟ تشير الروايات إلى أن موسى كتب الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (Pentateuch)، ولكن لنا أن نفترض بأنه صادف عقبة فنية صغيرة (كحقيقة أنه كان ميتًا) وهذه العقبة تتعلق بتدوين ورقة نعيه في سفر التثنية ٣٤: ٥-١٢. إذًا من الذي كتب عن موته ودفنه وبعثه وما تبع ذلك؟ هل يمكن الوثوق بذلك المؤلف، وماذا يعني هذا فيما يتعلق بمصادر (مؤلفي) العهد القديم ككل؟

ثم هناك روايات عن السكر البواح وغشيان المحارم والعهر التي لا يطيق كلّ شخص من أهل العفة أن يقرأها على مسمع أمه، فضلاً عن قراءتها لأطفاله. ومع ذلك فإن خمس سكان العالم يثقون بكتاب يروي أن نوحًا «شَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ» (التكوين ٩: ٢٢) وأن لوطًا:

«...َ صَعِدَ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: "أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ،

فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً". ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: "إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أيضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً". فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أيضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا» (التكوين ١٩: ٣٠-٣٦).

ويتضمن العهد القديم قصصًا من الفسوق والانحراف الخلقي الزنا والبغاء (التكوين ٣٨: ١٥-٢٦)، ومزيدًا من قصص البغاء (القضاة ١٦: ١)، وقصص الفساد البواح وبالجملة (صموئيل الثاني ١٦: ٢٠-٢٣)، والعهر (حزقيال ١٦: ٢٠-٣٤ و٢٣: ١-٢١)، والعهر المصحوب بزنى المحصنات (الأمثال ٧: ١٠-١٩). ويحمل وصف اغتصاب المحرمات لـ ثامار Tamar الذي ورد في سفر صموئيل الثاني (١٣: ٧-١٤) مغزى أخلاقيًا شائقًا جدًا إذ إنها نُصحت بأن تصمت لأن المغتصب أمنون Amnon كان أخاها «أَخُوكِ هُوَ. لاَ تَضَعِي قَلْبَكِ عَلَى هذَا الأَمْرِ» (صموئيل الثاني ١٣: ٢٠). يا لراحة البال! كان المغتصب أخاها ... إذًا، ما من مشكلة! ماذا؟ هل نصدق أن مثل "درر الحكمة" هذه هي من ثمرات الوحي أم إنها وليدة أحلام منحرفة؟

وبمناسبة الحديث عن الأحلام فقد جاء في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس (٣: ١٦) ما يلي: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ

لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ». هذا كلام معقول، وهكذا ينبغي أن يكون. لكن هل يلمس أحد النفع والتوبيخ والتقويم والتأديب في الاستقامة الواردة في النصوص السابقة؟ إن من يعتقد بذلك ينبغي أن يقبع في السجن.

وإليكم أمرًا غريبًا آخر، فقد ورد في سفر التكوين (٣٨: ١٥-٣٠) أنه وُلد لثامار بيريز Perez وزارح Zerah بعد ارتكابها زنى المحارم مع حميها يهوذا Judah. ولو تجاوزنا حقيقة أنه كان ينبغي إعدام ثامار ويهوذا (فالأنبياء ليسوا فوق القانون) وفقًا لما ورد في سفر اللاويين (٢٠: ١٢)، دعونا نبحث في سلالة بيريز وزارح. فكلمة الله المزعومة تُخبرنا بأنه «لاَ يَدْخُلِ ابْنُ زِنىً فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ» (التثنية ٢٣: ٢).

فمن كان الجيل العاشر المنحدر من زارح؟

ليس بأحد ذي أهمية.

من كان إذًا الجيل العاشر المنحدر من بيريز؟

شخص مهم للغاية، واسمه سليمان Solomon. ولأبيه (الجيل التاسع) أيضًا اسم مألوف ومعروف وهو داؤود.

ولو صّدقنا ما ورد في إنجيل متّى (١: ٣-٦) فإن داؤود كان يمثل الجيل التاسع المنحدر من ابن سِفاح، وعليه فإنه لا يمكن له في كلّ حالٍ أن يدخل في "جماعة الرب". وهذا ينسحب أيضًا على سليمان. ومع ذلك،

يُعرّف الاثنان بأنهما من آباء الجنس البشري، فضلاً عن كونهما أنبياء.

إنه لفهم غريب في أفضل الأحوال.

يضاف إلى ذلك أنه إذا كان لنا أن نصدق العهد القديم، فسليمان لم يكن هو الجيل العاشر المنحدر كسليل غير شرعي لبيريز فحسب، بل الجيل الأول من السفاح الناتج عن زنى داؤود بـ بثْشَبَع Bathsheba زوجة أوريا Uriah (صموئيل الثاني ١١: ٢-٤). ومرة أخرى، إذا مررنا مرور الكرام بعقوبة الموت التي ظلت دون تنفيذ (اللاويين ٢: ١٠)، فإن سليمان يصور بأن له جرعة مضاعفة من عدم الشرعية.

أليس كذلك؟

هناك خلل في الأمر. فإما أن داؤود وسليمان لم يكونا نبيّيْن أو أن العهد القديم لا يوثق به. أجزاء الوحي السماوي لا ينبغي أن تتطلب إعادة صياغة وقوة كي تنتظم معًا، بل لا بد لها من الانسجام تماشيًا مع كمال الواحد الذي خلق السموات والأرض بتناغم تام. هذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال، ويرى المسيحي العادي أن هذا هو الحال تمامًا مع العهد الجديد.

إلا أن هذا التأكيد يتطلب إجالة نظر كذلك. وبإمعان النظر فيما تقدم فإن بوسعنا أن نتفهم السبب الذي حدا بمؤلف أرمياء للتأسّي قائلاً: "كيف تقولون: نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟ انظروا، فحقًا أن قلم الكتبة الكاذب باطلاً يكتب" (أرمياء ٨:٨). وبخلاف طبعة الملك جيمس

الجديدة، فإن الطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة لم تلطف من العبارة وتوردها كما يلي: «كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَرِيعَةُ الرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقًّا إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ».

هذا هو العهد القديم. إنه يعج بالأخطاء إلى الحد الذي جعل أحد المؤلفين يبدي حسرة على تحريف الكتب السماوية بوساطة «قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ».

الكثيرون يزعمون أن مشكلات مماثلة تطغى على العهد الجديد حيث تبرز مواطن ضعف وعدم اتساق وتناقضات تقلب الادعاء بأنه كتاب سماوي خال من الأخطاء. وإذا كان الأمر كذلك، فإن المسيحيين يواجهون التحدي الماثل في السؤال "أمُتّبع أنت التعاليم الربانية أم التعاليم المسيحية؟"

المسألة تتطلب شهادة.

فأتباع الله سيسلّمون بالحقيقة الربانية عندما تتضح لهم، أما أتباع كلّ دين وضعي فسوف يدافعون عن عقيدتهم في مواجهة المنطق والوحي. وقد تقدم بحث الأساس الهش ـــ أو الذي لا وجود له ـــ لمعظم العقائد المسيحية التي يُستمات في الدفاع عنها. وما يبقى هو فحص صحة سند نص العهد الجديد من بطلانه.

# ٢ – العهد الجديد



**كلانا يقرأ الكتاب المقدس صباح مساء،**

**فأنت تقرأ ما اسودَّ منه وأنا أقرأ الضياء.**

ويليام بليك *William Blake* ، **الإنجيل الأبدي** *The Everlasting Gospel*

من الطبيعي ألا نرى في هذا الاقتباس الوجداني للشاعر بليك Blake شيئًا جديدًا. فالعهد الجديد يحتوي على ما يكفي من التناقضات لإفراز مجموعة مذهلة من التأويلات والمعتقدات والأديان، التي يُزعم أنها جميعها مستقاة من الكتاب المقدس. وهكذا، نجد أحد المؤلفين يعرض لنا الملاحظة الطريفة التالية:

بوسعك وليس بوسعك

ويتوجب عليك وليس عليك،

وسوف تفعل ولن تفعل،

فأنت هالك إن فعلت،

وهالك إن لم تفعل.[٢٢٦]

لماذا هذا التباين في وجهات النظر؟ بادئ ذي بدء يخبرنا جايسون بيدون بقوله: "لقد أوضحت ما بوسعي بالقول إن كل ترجمة تمّت إنما تمّت بسبب دوافع شخصية، وإنه ليس ثمة ترجمة بينها تمثل مشروع بحث حيادي أو أنموذجي."[٢٢٧] والأهم من ذلك هو أن المعسكرات اللاهوتية المختلفة تتباين في الرأي حول الكتب التي ينبغي أن يتم إدراجها في الكتاب المقدس. فما يعدّه معسكر ما كتابًا منتحلاً apocrypha قد يتخذه معسكر آخر جزءًا لا يتجزأ من الكتاب المقدس وتلك التي يجب أن تُستبعد. وعلاوة على ذلك، فإنه وفي تلك الكتب التي تم اعتمادها بالفعل، تتسم النصوص المرجعية المختلفة بعدم الاتساق. ويعدّ عدم الاتساق هذا واسع الانتشار لدرجة أن **قاموس الُمترِجم للكتاب المقدس** The Interpreter's Dictionary of the Bible يذكر أنه "ليس من المبالغ فيه القول إنه لا يوجد جملة واحدة متفق عليها اتفاقًا كليًا في العهد الجديد." [٢٢٨]

---

[٢٢٦] Dow, Lorenzo. *Reflections on the Love of God.*

[٢٢٧] BeDuhn. p. 161..

[٢٢٨] Buttrick G.A. (Ed.). 1962 (1996 print). *The Interpeters' Dictionary of the Bible.* Vol. 4. Nashville: Abingdon Press. pp. 594-595 (under Text, NT).

ألا توجد جملة واحدة؟ ألا يمكننا الوثوق ولو بجملة واحدة من الكتاب المقدس؟ لايعقل ذلك.

ربما.

ولكن الحقيقة هي أنه يوجد ما يزيد على ٥,٧٠٠ مخطوطة إغريقية تشكل كلّ العهد الجديد أو جزءًا منه.[٢٢٩] وعلاوة على ذلك فإنه "لا يوجد فيها مخطوطتان متطابقتان تطابقًا تامًا في التفاصيل ... بل إن بعض هذه الاختلافات كبيرة." [٢٣٠] أضف إلى ذلك عشرة آلاف مخطوطة من الفولجاتا اللاتينية Latin Vulgate [الترجمة اللاتينية للتوراة أو الإنجيل] والعديد من المخطوطات القديمة الأخرى (أي السريانية Syriac، والقبطية Coptic، والأرمينية Armenian، والجورجية Georgian، والإثيوبية Ethiopic، والنوبية Nubian، والجرمانية Gothic، والسلافية Slavonic)، وماذا لدينا؟

هناك الكثير من المخطوطات.

الكثير من المخطوطات التي لا تتطابق في بعض المواضع، بل ويناقض بعضها بعضًا في مواضع ليست بالقليلة. فنجد أن العلماء يقدرون عدد المتغيرات في المخطوطات بمئات الآلاف، وبعض التقديرات تصل الى

---

٢٢٩ Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus.* p. 88.

٢٣٠ المرجع السابق، *Lost Christianities.* p.78.

٤٠٠,٠٠٠.[٢٣١] يقول بارت د. إهرمان بكلمات باتت الآن مشهورة، "لعل من الأسهل أن نصوغ المسألة ضمن نطاق نسبي، إذ يوجد في مخطوطاتنا [الإنجيلية] اختلافات تفوق عدد كلمات العهد الجديد."[٢٣٢]

كيف حدث هذا؟

إساءة حفظ للسجلات، عدم النزاهة، عدم الكفاءة، التحيز المذهبي — قل ما تشاء.

لقد ضاعت جميع المخطوطات الأصلية التي كُتبت في عهد المسيحيين الأوائل.[٢٣٣]،[٢٣٤]،[٢٣٥] ونتيجة لذلك "فإننا لن نكون قادرين على الادعاء بالمعرفة الحقة بالنص الأصلي لجميع من نصوص الكتابات التوراتية.[٢٣٦]

ويعود تاريخ أقدم المخطوطات الكامله (مخطوطة الفاتيكان Vatican MS رقم ١٢٠٩ ومجموعة المخطوطات السريانية السينائية Sinaitic

---

[٢٣١] المرجع السابق، *Misquoting Jesus*. P.89.

[٢٣٢] المرجع السابق، *The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings*. P.12

[٢٣٣] المرجع السابق، *Lost Christianities*. p.49

[٢٣٤] Metzger, Bruce M. *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. Introduction.p.1.

[٢٣٥] Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus*. p. 6.

[٢٣٦] المرجع السابق، ص. ٦

Syriac Codex) إلى القرن الرابع، أي بعد ثلاثمائة عام من بعثة عيسى. وماذا عن المخطوطات الأصلية؟ لقد ضاعت أيضًا. والنسخ المنسوخة عن المخطوطات الأصلية؟ لقد ضاعت أيضًا. بمعنى آخر، فإن أقدم المخطوطات المتاحة لدينا هي نُسخ لنُسخ عن نُسخ – عن- الله أعلم كم نسخة – عن المصدر الأصلي.

إذًا، فلا عجب أنها مختلفة بعضها عن بعض.

حتى في أيدي أمهر الناس، فإن نسخ الأخطاء ليس بالأمر المثير للدهشة. إلا أن مخطوطات العهد الجديد لم تكن بين أكثر الأيادي كفاءة. ففي فترة أصول الديانة المسيحية، كان الكتبة غير مدربين وغير موثوقين وغير أكفاء وفي بعض الأحيان هم أميّون.[٢٣٧] ومن الممكن أن أولئك الذين كانوا ضعاف البصر قد اختلطت عليهم الأحرف والكلمات المتشابهة، في حين أن ضعاف السمع منهم ربما أخطؤوا في تدوين النصوص المقدسة، بينما كما كانت تُقرأ بصوت عال على مسامعهم. وكثيرًا ما كان العمل يُنهك الكتبة فينزعون إلى ارتكاب الأخطاء التي تصاحب الإجهاد.

وكما قال ميتزغر Metzger وإهرمان، "بما أن أغلب الكتبة إن لم يكن جميعهم، كانوا على الأرجح هواة في فن النسخ، فلا بد أن عددًا كبيرًا نسبيًا من الأخطاء قد تسلل بدون شك إلى نصوصهم بينما كانوا

[٢٣٧] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities* and *Misquoting Jesus*

يخطّونها."[٢٣٨] والأسوأ من ذلك أن بعض هؤلاء الكتبة سمحوا للتحيز المذهبي بالتأثير في نقلهم لتلك النصوص.[٢٣٩] وكما يقول إهرمان:"إن أولئك الكتبة الذين نسخوا النصوص قد غيروها." [٢٤٠] وبشكل أكثر تحديدًا، "يصعب تقدير عدد التعديلات المتعمدة التي تم إدخالها لخدمة المعتقدات المذهبية."[٢٤١] وأكثر تحديدًا من ذلك، "في طريقة التعبير الفنية للنقد النصي - التي أحتفظ بها بسبب المفارقات الكبيرة — فإن هؤلاء الكتبة حرّفوا نصوصهم من أجل أسبابهم اللاهوتية."[٢٤٢]

هذه الأخطاء كانت على شكل إضافات وحذوفات واستبدالات وتعديلات، وغالبًا ما كانت في الحروف أو الكلمات أو السطور، وربما كانت كذلك في آيات بأكملها.[٢٤٣]،[٢٤٤] وفي الحقيقه فقد "ظهر في

---

٢٣٨ Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. p.275.

٢٣٩ Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*.pp. 49, 217, 219-220.

٢٤٠ المرجع السابق، ص 219.

٢٤١ Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. p.265. See also Ehrman, *Orthodox Corruption of Scripture*.

٢٤٢ Ehrman, Bart D. 1993. *The Orthodox Corruption of Scripture*. OUP. p.12.

٢٤٣ Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*. p.220

٢٤٤ Metzger, Bruce M. *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. Introduction.p.3.

النص العديد من التغييرات والإضافات الغريبة"[٢٤٥] التي كانت نتيجتها أنّ "جميع شواهد العهد الجديد المعروفة هي إلى حد كبير أو صغير نصوص مُختلطة، بل إن بعض أقدم المخطوطات ليست خالية من الأخطاء الفادحة."[٢٤٦]

إن مجال هذه الأخطاء واسع جدًا لدرجة أن مائتين من علماء المنتدى اليسوعي خلصوا إلى نتيجة مفادها أن "إثنين وثمانين بالمائة من الكلمات المنسوبة ليسوع في الأناجيل هي كلمات لم يتفوه بها قط.[٢٤٧]

ولننظر فيمايلي في بعض الأمثلة. فوفقًا للعالم التوراتي ج إينوك بويلّ J. Enoch Powell فيما يتعلق بإنجيل متى:

> [في إنجيل متى] تم إقحام نصوص كاملة عن يوحنّا المعمدان كان من شأنها أحياناً أن تسبب أينما ظهرت خللاً كبيراً في النص. وكان وظيفة هذه النصوص جميعاً أن تظهر يوحنا أنه وجد في يسوع المسيح تحقيقًا لرسالته الشخصية.[٢٤٨]

---

٢٤٥ المرجع السابق، ص 10.

٢٤٦ Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. p.343.

٢٤٧ Funk, Robert Walter. 1996. *Honest to Jesus: Jesus for a New Millennium*. Polebridge Press. p.5.

٢٤٨ Powell, J. Enoch. 1994. *The Evolution of the Gospel*. Yale University Press. p. xx.

والأسوأ من ذلك "أنه في الحقيقة يمكن القول إن **جميع** الخطابات الطويلة التي قيل إن المسيح جاء بها هي خطابات مصطنعة تم إدراجها.(٢٤٩) وهذه بالطبع تتضمن "الخطبة العظيمة great sermon"، و"مهمة البعثة missionary charge" كل مثل أو حكاية parable ورد ذكرها في إنجيل متى على أنها من أقوال يسوع المسيح.

وفي كتاب **الإساءة للمسيح** يقدم إهرمان أدلة مقنعة على أن قصة المرأة التي قُبض عليها بتهمة الزنا (يوحنا ٧: ٥٣، ٨: ١٢) والاثنتي عشرة آية الأخيرة في إنجيل مرقس لم تكن موجودة في الأناجيل الأصلية، بل تمت إضافتها من قبل الكَتبة في وقت لاحق.(٢٥٠) وعلاوة على ذلك، فإن هذه الأمثلة "تُمثل اثنين فقط من بين آلاف المواضع التي طرأ فيها التغيير في مخطوطات العهد الجديد من قبل الكتبة." (٢٥١)

في الواقع، فقد تم تزوير كتب كاملة من الكتاب المقدس.(٢٥٢) وهذا لا يعني بالضرورة أن ماتحتويه خطأ، ولكنه، بالتأكيد، لا يعني أنه صحيح. إذًا، أي الكتب تعرضت للتزوير؟ أفسس Ephesians ورسالة بولس إلى أهل كولوسى Colossians ورسالة بولس الثانية الى أهل تسالونيكى 2

---

[٢٤٩] المرجع السابق، p. xxi.

[٢٥٠] Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus*. pp.62-69.

[٢٥١] المرجع السابق، ص 68.

[٢٥٢] Ehrman, Bart D. *Misquoting Jesus*. pp.9-11, 30, 235-6.

Thessalonians والرسالتان الأولى والثانية إلى تيموثاوس 1&2 Timothy والرسالة إلى تيطس Titus ورسالتا بطرس الأولى والثانية 1&2 Peter ورسالة يهوذا Jude – أي ما مجموعه تسعة من أصل سبعة وعشرينً كتابًا من العهد الجديد والرسائل – هي كلها إلى حد ما موضع اشتباه.[٢٥٣]

هناك كتب مزورة؟ وفي الكتاب المقدس؟

لماذا لا يفاجئنا ذلك؟ فنحن بالمحصلة لا نعرف هوية مؤلفي الأناجيل. بل هم في الواقع مجهولون.[٢٥٤] فعلماء الكتاب المقدس نادرًا ما ينسبون الأناجيل إلى متّى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا. وكما يقول إهرمان: "إن معظم العلماء اليوم قد تخلوا عن هذه التعريفات، وهم يدركون أن تلك الكتب قد كتبها مسيحيون غير معروفين وإن كانوا مثقفين نسبيًا ويجيدون التحدث (والكتابة) باللغة اليونانية خلال الشطر الثاني من القرن الأول للميلاد."[٢٥٥] ويؤكد غراهام ستانتون ذلك بقوله "إن الأناجيل، بخلاف معظم الكتابات اليونانية — الرومانية Graeco-Roman، هي مجهولة المصدر. فلم تكن العناوين المألوفة التي تعطي اسم مؤلف ما (مثلاً "إنجيل يوحنا"...) موجودة في المخطوطات الأصلية، بل تمت إضافتها في أوائل

---

[٢٥٣] المرجع السابق، ص 235.

[٢٥٤] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*. p.3,235. Also, see Ehrman, Bart D. *The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings*.p.49.

[٢٥٥] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*. p.235.

القرن الثاني فقط."[٢٥٦] من أضافها؟ "أضافها أشخاص غير معروفين يعودون لزمن الكنيسة الأولى. وفي معظم الحالات تبقى هذه الأسماء مجرد تخمينات، أو ربما نتيجة لأماني في التقوى." (٢٥٧)

إذن، ماذا كان أثر حواريي عيسى في تأليف تلك الأناجيل؟ على حد علمنا كان أثرهم إما صغيرًا أو معدومًا. ولكن تبعًا لما يقوله إهرمان: "فإن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، كما أن متى ومرقس ولوقا ويوحنا لم يكتبوا الأناجيل."[٢٥٨] وفضلاً عن ذلك: "فإن من بين الاثنين والعشرين كتاباً من كتب العهد الجديد، ثمانية منها فقط مؤكد أنها تعود للمؤلف الذي تحمل اسمه: رسائل بولس السبع التي لايمارى فيها (وهي الرسائل إلى أهل رومية، وأهل كورنثوس الأولى والثانية، وأهل غلاطية، وأَهْلِ فِيلِبِّي، والأُولَى إِلَى أَهْلِ تَسَالُونِيكِي، و إِلَى فِلِيمُونَ أهل كولوسى تيموثاوس) ووحي يوحنا (على الرغم من أننا لسنا واثقين من شخصية يوحنا هذه)."[٢٥٩]

ولماذا نحن لسنا متأكدين من شخصية يوحنا هذا الذي "ألّف إنجيل يوحنا"؟ سوف نعود لهذا لاحقاً ولكن يكفينا الآن أن نفهم أن ليس هناك من سبب يدفعنا لنصدّق أنْ لا أحد من الحواريين كتب شيئًا من كتب

---

٢٥٦ Stanton, Graham N.p. 19.

٢٥٧. Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus.* p. 20.

٢٥٨ Ehrman, Bart D. *Jesus Interrupted.* Harper One.p.5.

٢٥٩ Ehrman, Bart D. *Jesus Interrupted.* Harper One.p.112.

الأناجيل. فبادئ ذي بدء، دعونا نتذكر أن مرقس كان أمين سر بطرس، وأن لوقا كان رفيق بولس. وتصنّف الآيات: لوقا (٦: ١٤-١٦) ومتى (١٠: ٢-٤) الحواريين الاثني عشر، ومع أن هاتين القائمتين تتعارضان فيما يتعلق باسمين اثنين، إلا أن مرقس ولوقا لم يردا في القائمتين. إذًا، نستطيع القول بأن متّى ويوحنا فقط كانا حواريين حقيقيين. لكن ذلك لا يغير من الأمر شيئًا، فعلماء العصر الحديث ينفون أهليتهما ليكونا من كُتاب الأناجيل.

لماذا؟

هذا سؤال وجيه. بما أن يوحنا هو أشهرهما، فلماذا ننفي أهليته ليكون مؤلفًا لـ "إنجيل يوحنا"؟

ألأنه كان ميتًا؟

ثمة مصادر متعددة تُقر بأنه ليس هناك دليل يشير إلى أن الحواري يوحنا كان هو من كتب إنجيل "يوحنا."[٢٦٠]،[٢٦١] ناهيك عن شهادات شُكك في مصداقيتها لكتّاب عاشوا في القرن الثاني الميلادي. وربما أكثر ما

---

[٢٦٠] Kee, Howard Clark (Notes and References by). 1993. *The Cambridge Annotated Study Bible, New Revised StandardVersion*. Cambridge University Press. Introduction to gospel of "John".

[٢٦١] Butler, Trent C. (General Editor). *Holman Bible Dictionary.* Nashville: Holman Bible Publishers. Under "John,the Gospel of".

يدحض ذلك بصورة مقنعة الاعتقاد بأن الحواري يوحنا مات حوالي عام ٩٨ للميلاد،[٢٦٢] في حين أن إنجيل يوحنا كُتب بعد ذلك باثنتي عشرة سنة، أي حوالى عام ١١٠ للميلاد.[٢٦٣] ومن جهة أخرى يمكن القول إن سفر أعمال الرسل (٤: ١٣) يخبرنا بأن يوحنا وبطرس كانا "غير متعلمَيْن" (ولا داعي للتلاعب بالترجمة هنا، فبإمكان القارئ. الرجوع لأصل الكلمة في النسخة اليونانية). وبعبارة أخرى، كانا أميّين. إذًا، أيًا كان لوقا (رفيق بولس) ومتّى (أمين سر بطرس) ويوحنا (وهو مجهول الهوية، ولكنه بالتأكيد لم يكن ذاك الأمّي المتوفى منذ فترة طويلة)، فإننا لا نملك سببًا للاعتقاد بأن شيئًا من الأناجيل كانت من تأليف حواريي عيسى.

وتحقيقًا لهذه الغاية، يطرح ستانتون سؤالاً يفرض نفسه: "هل كان القرار النهائي بقبول متّى ومرقس ولوقا ويوحنا مؤلفين صحيحًا؟ من المتفق عليه عمومًا اليوم أن كاتبي إنجيلي متّى ويوحنا لم يكونا من الحواريين. كما أنه من المحتمل أن مرقس ولوقا لم يكونا من مرافقي الحواريين."[٢٦٤]

إلا أن البروفيسور إهرمان كان الأكثر توكيدًا في تصريحاته:

إن العلماء النقديين متحدون إلى حد ما اليوم في الاعتقاد بأن متّى لم

---

٢٦٢ Easton, M. G., M.A., D.D. *Easton's Bible Dictionary*. Nashville: Thomas Nelson Publishers. Under "John the Apostle."

٢٦٣ Goodspeed, Edgar J. 1946. *How to Read the Bible. The John C. Winston Company*. P.227.

٢٦٤ Stanton, Graham N.pp.134-135.

يكتب الإنجيل الأول، وأن يوحنا لم يكتب الإنجيل الرابع، وأن بطرس لم يكتب رسالة بطرس الثانية، بل ومن المحتمل أنه لم يكتب رسالة بطرس الأولى. ولا يوجد كُتب أخرى في العهد الجديد تزعم أن كتّابها كانوا من حواريي عيسى. هناك، بالطبع، كُتب كتبها الرسول بولس. ثمة ثلاثة عشر شخصًا في العهد القديم تمت الإشارة إليهم بهذا الاسم، ومن بين هؤلاء ما لا يقل عن سبعة يقر جميع الباحثين تقريبًا بأنهم حقيقيون.[٢٦٥]

لماذا إذًا تُدعى الأناجيل الأربعة في الكتاب المقدس بأناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا؟ يرى بعض العلماء، ومنهم إهرمان، أن ذلك كان شبيهًا بالوسم بعلامة تجارية – وهو المصطلح المستخدم في مجال الدعاية الحديث للممارسة التجارية القائمة على التماس تأييد المشاهير لبيع المنتج.[٢٦٦] ولقد كان أمام مسيحيي القرن الثاني الذين كانوا يفضلون هذه الأناجيل الأربعة أحد خيارين: إما الاعتراف بأن مؤلفي تلك الأناجيل مجهولون، وإما التظاهر بنقيض ذلك. ولم يستطيعوا مقاومة إغراء تلك الخدعة، وعليه فقد اختاروا أن يضفوا سلطة الحواريين على الأناجيل، وبذلك يكونون قد وسموا تلك الأناجيل ولو بصورة غير شرعية بـ"علامة تجارية" لتبدو رسمية وموثوقة.

وما نراه هنا هو أننا لا نملك دليلاً على أن كتب الكتاب المقدس بما في ذلك الأناجيل، هي من تأليف حواريي عيسى. وفضلاً عن ذلك، فإن

---

[٢٦٥] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*. p.236.

[٢٦٦] المرجع السابق، ص 235.

معظم العلماء متفقون على أن النصف فقط من الكتب المنسوبة إلى بولس هي من تأليفه. وبغض النظر عن هوية من ألَّف وماذا ألَّف، فقد أدى التحريف والتناقضات إلى اختلافات في المخطوطات فاقت عدد الكلمات في العهد الجديد. وأخيرًا، فإن علماء النقد النصي أخفقوا في التوصل إلى اتفاق.[٢٦٧] لماذا؟ ذلك لأن "الاعتبارات، كما سيظهر، تعتمد على الاحتمالات، وأحيانًا يتوجب على الناقد النصي أن يوازن بين مجموعة من الاحتمالات في مواجهة احتمالات أخرى."[٢٦٨] أضف إلى ذلك أنه فيما يتعلق بالمشكلات النصية الأكثر تعقيدًا، تعد "الاحتمالات مقسمة بالتساوي بشكل أكبر، وعلى الناقد أحيانًا أن يرضى باختيار أقل النصوص تعقيدًا أو الاعتراف بعدم وجود قاعدة واضحه للاختيار." [٢٦٩]

وللتوسع حول هذه الفكرة، "في بعض الأحيان لا تثبت قراءة من قراءات النصوص المتنوعة أنها أصلية، وعلى المرء [أي ناقد النصوص] إما أن يختار ما جرى اعتباره النص الأقل تعقيدًا وإما الانغماس في التنقيح الظني."[٢٧٠] تنقيح ظني... تنقيح ظني — أليس هذا هو المقابل في لغة العلماء لتعبير "تخمين مدروس"؟

---

٢٦٧ Metzger, Bruce M. *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. Introduction. p.14.

٢٦٨ المرجع السابق، ص 11.

٢٦٩ Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. p.316.

٢٧٠ المرجع السابق، ص 343.

وهكذا، لعله لا ينبغي لنا أن نستغرب من أنه كما أصاب أرمياء Jermiah الأسى من "الأقلام الكاذبة" لكتبة العهد القديم، فإن أوريجن Origen – أحد آباء الكنيسة في القرن الثالث– قد أصابه الأسى أيضًا من "الأقلام الكاذبة" لكتبة العهد الجديد:

> لقد أصبحت الاختلافات بين المخطوطات كبيرة، إما بسبب إهمال بعض الناسخين أو بسبب التجرؤ المنحرف لآخرين، فقد كان هؤلاء إما يهملون مراجعة ما دونوه وإما يضيفون ويحذفون كما يحلو لهم في أثناء عملية المراجعة.[٢٧١]

كان ذلك صوت أحد آباء الكنيسة في القرن الثالث في تعليق له اقتصر على مئتي العام الأولى. ولنا أن نتساءل عن التحريفات الأخرى التي وقعت خلال القرون السبعة عشر أو الثمانية عشر التالية. ومهما حدث في القرون التي تلت، فإننا نعرف أن النسّاخ الذين ائتمنوا على نسخ مخطوطات العهد الجديد والحفاظ عليها حتى القرن الثالث قد غيّروا فيها.

ولنا هنا أن نسلّم بأن الكثير من أخطاء النسخ كانت غير متعمدة وغير مهمّة. إلا أن إهرمان يخبرنا بأن أخطاء أخرى كثيرة لم تكن متعمدة

---

٢٧١ Metger, Bruce M. 1963. "Explicit References in the Works of Origento Variant Readings in New Testament Manuscripts," in J.N. Birdsall and R.W.Thomson (ed.). *Biblical And Patristic Studies In Memory of Robert Pierce Casey.* Herder: Frieburg. pp. 78-79.

أو مهمة فحسب بل إنها ارتُكبت بدافع عقدي.[٢٧٢] ذاك هو التخريب في نص الكتاب المقدس الذي يعنينا — ألا وهو تلك الإضافات والحذوفات والتغييرات، سواء أكانت متعمده أم لا، والتي غيرت الرسالة المقصودة في مخطوطات العهد الجديد.

لقد كان لتلك التغييرات أثر كبير في مجرى الديانة المسيحية. فقد منحت الفاصلة اليوحناوية Johannine Comma (الآيتين ٧-٨ من الأصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى، كما ناقشنا في الفصل الثالث الجزء المعنون "الثالوث") دعمًا زائفًا لعقيدة التثليث. وأدت إضافة الآيات الاثنتي عشرة الأخيرة في إنجيل مرقس إلى تضليل بعض الطوائف الآبالاشية Appalachian التي اتجهت لممارسة التعامل مع الثعابين، بالإضافة للكثير من الطوائف الإنجيلية التي مارست ما يُعرف بـ"التكلم بالألسنة". كما أدى التحوير الذي طرأ على قصة حياة عيسى إلى تحويل النظرية اللاهوتية إلى نظرية تأليهه والمجيء بمعتقد التكفير عن الخطايا. وفي خضم ذلك العمل لم يعمد الكتبة إلى نقل رسالة عيسى، بل إلى تغييرها.

ومن الحالات التي تم فيها التعرف إلى التحريف والتصحيح ما ورد في أعمال الرسل (٨: ٣٧). فهذه الآية غير موجودة في أقدم المخطوطات ويبدو أنها أقحمت في النص من قِبل أحد النسّاخ في مرحلة لاحقة. ولهذا السبب فقد أسقطت من الكثير من الترجمات الحديثة بما في ذلك الطبعة

---

[٢٧٢] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*. p.217, 221-227.

الدولية الجديدة، والطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة. فإذا ما بحثنا عن تلك الآية فسنجد أن هاتين الطبعتين وغيرهما من التراجم المرموقة قد أدرجتا رقم أعمال الرسل (٨: ٣٧) إلا أنها تركت الفقرة فارغة.

وإليكم مثالاً آخر... يقول م. ميتزغر إن الآية (١٥: ٣٤) من أعمال الرسل هي بلا ريب آية أقحمها النسّاخ في النص إقحامًا.[٢٧٣] وليس وحده من ذهب إلى ذلك، فمرة أخرى، تدرج كلّ من الطبعة الدولية الجديدة والطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة رقم هذه الآية مع تركها دون نص. إلا أن طبعة الملك جيمس الجديدة أبقت عليها كما فعلت الأناجيل اللاتينية.

ولقد جرى أيضًا وبطريقة مماثلة إسقاط آيات أخرى عديدة من العهد الجديد من أشهر طبعات الأناجيل كالطبعة الدولية الجديدة والطبعة المعتمدة المنقحة الجديدة إلا أنه تم الاحتفاظ بها في طبعة الملك جيمس الجديدة. وأبرز ما جرى حذفه هو: متّى (١٧: ٢١ و١٨: ١١) ومرقس (٧: ١٦، ٩: ٤٤، ٩: ٤٦، ١١: ٢٦)، وجزء من لوقا (٩: ٥٦، ١٧: ٣٦، ٢٣: ١٧)، ويوحنا (٥: ٤) والرسالة إلى أهل رومية (١٦: ٢٤) وجزء من رسالة يوحنا الأولى (٥: ٧).

وفي حين تقرّ بعض الأناجيل بما تم إقحامه بصورة غير شرعية، وتعمل

---

[٢٧٣] Metzger, Bruce M. *A Textual Commentary on the Greek New Testament.* P.388.

على حذفه، تتجاهل أخرى ذلك. بل الواقع أنها لا تكتفي فقط بتجاهل ما تم إقحامه بصورة غير شرعية، بل تصادق عليه.

وإذا ما رغبنا في توثيق بعض تلك الأخطاء، فإن المكان المنطقي للبدء به هو كتب العهد الجديد التي تحظى بأكبر قدر من الاحترام، ألا وهي الأناجيل.

وقد سبق أن بينّا أن حواريي عيسى ليسوا هم - على ما يبدو- مؤلفي الأناجيل. إلا أنهم لو كانوا قد ألفوا تلك الأناجيل بالفعل، فلا يبدو أن عيسى رأى أن باستطاعة حوارييه التعامل مع كلّ ما أراد أن يخبرهم به (يوحنا ١٦: ١٢) — «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أيضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ». فقد عدّهم ضعاف الإيمان (متّى ٨: ٢٦، ١٤: ٣١، ١٦: ٨، ولوقا ٨: ٢٥)، ويفتقرون إلى الفهم (متّى ١٥: ١٦) وأصابه الأسى لاضطراره إلى تحمّل ذلك «الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُلْتَوِي... » (لوقا ٩: ٤١).

ولذلك لعلّه لا ينبغي لنا أن نضطرب إن علمنا أن الحواريين لم يؤلفوا الأناجيل، فهم ربما لم يكونوا أفضل الناس للقيام بمثل ذلك العمل. فالذين كان يفترض منهم أن يعرفوا عيسى أكثر من غيرهم — وهم أقاربه — كانوا يظنّون أنه مجنون (مرقس ٣: ٢١، ويوحنا ٨: ٤٨)، كما أن القوم الذين أرسِل إليهم نبذوه (يوحنا ١: ١١). وعليه، فإن المسألة الأهم لا ينبغي أن تكون في: من مؤلفو الأناجيل، بل فيما إن كانت تلك

الأناجيل كتبًا يمكن الوثوق بها في المقام الأول. الجواب على مايبدو هو "لا." فالمنتدى اليسوعي قام بتحليل الكلمات المنسوبة لعيسى في إنجيل يوحنا وكان "غير قادر على إيجاد قول واحد من شأنهم أن يرجعوه لعيسى التاريخي إرجاعًا مؤكدًا ... فالكلمات المنسوبة لعيسى في الإصحاح الرابع هي في الغالب من صنيع أحد مؤلفي الأناجيل الأربعة."[٢٧٤] والسؤال الآن لماذا قام هذا المؤلف بمثل هذا العمل؟ الجواب هو لأن "أتباع المسيح كانوا ميّالين لتبني كلمات المسيح واتباعها وفقًا لما يتماشى وحاجاتهم. وهذا مادفع بهم لاختراع سياقات روائية بناء على خبراتهم، حيث اقحموا المسيح فيها على أنه الشخصية المؤلِّفة."[٢٧٥]. يوثق المنتدى اليسوعي مئات الأمثلة في الأناجيل، بما فيها حالات حيث " استعار أتباع المسيح على نحو واسع من كتب الحكمة العامة، ثم قاموا بصياغة أقوالهم وأمثالهم الخاصة بهم، ومن ثمَّ قاموا بنسبها للمسيح."[٢٧٦].

يكفي ما قلناه عن "يوحنا"، ولننظر الآن إلى بعض المشكلات المحددة، ولنبدأ بإنجيل متّى على سبيل المثال، حيث هناك العديد من النصوص التي تبعث القارئ المتأمل على التساؤل، إذ يؤكد النص الوارد في

---

[٢٧٤] Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus. p. 10.

[٢٧٥] Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus.* p. 21.

[٢٧٦] Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus.* p. 22.

متّى (٢: ١٥) أن عيسى أُخذ إلى مصر «لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». حسنًا، ذاك هو الطرح. لكن، أي نبوءة في الكتاب المقدس بالضبط كان من المفترض أن يحققها بقاء عيسى في مصر؟ إنها هوشع (١١: ١). ولنرَ ماذا يقول نص هوشع هذا (١١: ١) بالضبط؟ إنه: «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».

هذا تطابق في النصوص الإنجيلية —— أليس كذلك؟

كلا.

فالتطابق لا يبدو مُرضيًا إلا إذا توقفنا عن القراءة. وإذا تابعنا القراءة في الآيات التالية نجد أن النص الكامل هو: «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي. كُلَّ مَا دَعَوْهُمْ ذَهَبُوا مِنْ أَمَامِهِمْ يَذْبَحُونَ لِلْبَعْلِيمِ، وَيُبَخِّرُونَ لِلتَّمَاثِيلِ الْمَنْحُوتَةِ» (هوشع ١١: ١-٢). وإذا ماأخذنا هذه الآية ضمن السياق فإننا لانستطيع تطبيق هذا النص على عيسى إلا إذا أقررنا بأن عيسى كان يعبد التماثيل.

ويعج العهد الجديد بأخطاء مماثلة. فبعد آيتين قصيرتين تاليتين، يعلّق متّى (٢: ١٧) على إبادة هيرُودس Herod لأطفال بيت لحم بالكلمات: «حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ».

ثمة مشكلة صغيرة. حيث إن النص المشار إليه في العهد القديم —

(إرميا، ٣١: ١٥) – يشير إلى حدث حقيقي وقع في التاريخ، ألا وهو اختطاف أطفال راحيل بالإضافة إلى آخرين من الجالية الإسرائيلية على يد سرجون ملك آشور Sargon, the king of Assyria. والمكافئ الإنجليلي ليس متكلفًا وملتويًا فحسب، بل إنه لا وجود له. وكذلك الأمر فيما يتعلق بمتّى (٢٧: ١٠) الذي يشير إلى اقتباس من إرميا (٣٢: ٦-٩). فالاقتباس لا أثر له في إرميا. يضاف إلى ذلك أن متّى (٢٧: ١٠) يتحدث عن حقل فخاريّ سعره ثلاثون قطعة من فضة. بينما يتحدث إرميا (٣٢: ٦-٩) عن حقل حنمئيل Hanamel الذي سعره سبعة عشر شيكل من الفضه. وكلتاهما كانتا معاملتين حقيقيتين ولكنهما مختلفتان زمانًا ومكانًا. وكلّ محاولة للزعم بتحقق نبوءة من نبوءات كتاب سماوي سابق ما هي إلا نزوة في أفضل الأحوال.

وتطول قائمة الأمثلة.

وبناء عليه، يمكننا تفهم السبب الذي جعل مؤلفي العهد الجديد يسعون إلى توثيق مصداقيتهم من خلال ادعاء تحقق نبوءات العهد القديم. بيد أن مفعول هذا النهج يكون عكسيًا عندما يتضح أن النصوص المشار إليها هي إما مقتبسة بشكل خاطئ أو في غير موضعها، أو حتى غير موجودة أساسًا. وبدلاً من إضفاء الشرعية عليها، فإن مثل هذه الأخطاء تضع الوثيقة، بل والمؤلف أيضًا، موضع الشك.

الآن وقد تطرقنا إلى بعض تلك الأخطاء، دعونا نُلْق نظرة على قائمة

قصيرة (وليست كاملة على كلّ حال من الأحوال) من التناقضات الواضحة.

# ٣ – تناقضات داخل العهد الجديد: الجزء الأول



**حتى لو كانت قاتمة فسوف نعرضها**

إعلان في صحيفة التايمز، **وكالة ليو بيرنِت للدعاية والإعلان**[٢٧٧] *Leo Burnett Adv. Agency*

وتوضح الأمثلة التالية بعض أشد تناقضات العهد الجديد بروزًا: وكما كان الحال سابقًا فإن الغرض هنا ليس التشهير بالكتاب المقدس وإنما كشف حقيقته. فأولئك الذين يعدّون أن العهد الجديد هو كلمة الله التي لا تخطئ بحاجه للتأمل في هذه القائمة في ضوء حقيقة أن الله منزه عن الخطأ تنزيهًا كاملاً.

وما دام الأمر كذلك، يجب أن يدفع التعرف إلى أخطاء العهد الجديد

---

[٢٧٧] مقتبس من:
Cohen, J.M. and M.J. 1996. *The Penguin Dictionary of Twentieth-Century Quotations*.Penguin Books. p.273.

الباحث الجاد لأن ينظر إلى ما هو أبعد من ذلك قليلاً.

**١. متّى (١: ١٦) ولوقا (٣: ٢٣) — من كان والد يوسف؟**

متّى (١: ١٦): «وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ».

لوقا (٣: ٢٣): «وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي».

**٢. متّى (٢:١٤) ولوقا (٢:٣٩) — إلى مصر أم إلى الناصرة؟**

متّى (٢: ١٤): «فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ».

لوقا (٢: ٣٩): «وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ، رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ».

**٣. متّى (٤: ٣-٩) ولوقا (٤: ٣-١١) — تصير الحجارة خبزًا، ويطرح نفسه إلى أسفل ثم يعبد الشيطان أم تصير الحجارة خبزًا، ويعبد الشيطان ثم يطرح نفسه إلى الأسفل؟**

متّى (٤: ٣-٩): يقول الشيطان لعيسى «قُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا. ثم اطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، وأخيرًا أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي».

لوقا (٤: ٣-١١): يقول الشيطان لعيسى «قُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا، ثم إِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ، وأخيرًا اطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلُ».

## ٤. متّى (٦: ١٣) ولوقا (١١: ٢-٤) — أي النصين هو الأصح لـ"صلاة الرب"؟

متّى (٦: ١٣): «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا **الْيَوْمَ**. وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا **كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أيضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا**. وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. **لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ**».

لوقا (١١: ٢-٤): «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا **كُلَّ يَوْمٍ**، وَاغْفِرْ لَنَا **خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أيضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا**، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ».

## ٥. متّى (٧: ٧-٨) ولوقا (١٣: ٢٤) — كلّ من يسأل يُعطى أم لا؟

متّى (٧: ٧-٨): «اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ

لَهُ».

لوقا (١٣: ٢٤): «اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ».

**٦. متى (٨:٥) ولوقا (7:3 – 7:7) —— هل جاء قائد المئة نفسه أم أرسل رسلاً؟**

متّى (٨:٥): «وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ كَفْرَنَاحُومَ، جَاءَ إِلَيْهِ قَائِدُ مِئَةٍ يَطْلُبُ إِلَيْهِ... ».

لوقا (٧: **٣–٧**): «فَلَمَّا سَمِعَ عَنْ يَسُوعَ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُيُوخَ الْيَهُودِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَشْفِيَ عَبْدَه. فَلَمَّا جَاؤوا إِلَى يَسُوعَ طَلَبُوا إِلَيْهِ بِاجْتِهَادٍ قَائِلِينَ :إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هذَا، لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا، وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ. فَذَهَبَ يَسُوعُ مَعَهُمْ. وَإِذْ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ الْبَيْتِ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدُ الْمِئَةِ أَصْدِقَاءَ يَقُولُ لَهُ: يَا سَيِّدُ، لاَ تَتْعَبْ. لأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. لِذلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ».

**٧. متّى (٨: ٢٨) ولوقا (٨: ٢٧) —— رَجُل أم رَجُلان؟**

متّى (٨: ٢٨): «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْعَبْرِ إِلَى كُورَةِ الْجِرْجَسِيِّينَ، اسْتَقْبَلَهُ **مَجْنُونَانِ** خَارِجَانِ مِنَ الْقُبُورِ هَائِجَانِ جِدًّا، حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَازَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ».

لوقا (٨: ٢٧): «وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الأَرْضِ اسْتَقْبَلَهُ **رَجُلٌ** مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَ فِيهِ شَيَاطِينُ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيل، وَكَانَ لاَ يَلْبَسُ ثَوْبًا، وَلاَ يُقِيمُ فِي بَيْتٍ، بَلْ فِي الْقُبُورِ».

**٨. متّى (٩: ١٨) ومرقس (٥: ٢٢–٢٣) —— ميتة أم حية؟**

متّى (٩:١٨): «وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهذَا، إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: إِنَّ ابْنَتِي الآنَ مَاتَتْ، لكِنْ تَعَالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فَتَحْيَا».

مرقس (**٥: ٢٢–٢٣**): «وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ يَايِرُسُ جَاءَ. وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا قَائِلاً: ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا»!

**٩. متّى (١٠: ٢–٤) ولوقا (٦: ١٣–١٦) —— من كان حواريًا، لَبَّاوس** Lebbeus (**وكنيته تداوُس** Thaddeus) **أم يهوذا بن يعقوب؟**

متّى (١٠: ٢–٤): «أَمَّا أَسْمَاءُ الاثْنَيْ عَشَرَ رَسُولاً فَهِيَ هذِه: اَلأَوَّلُ سِمْعَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ، وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي، وَيُوحَنَّا أَخُوهُ. فِيلُبُّسُ، وَبَرْثُولَمَاوُسُ. تُومَا، وَمَتَّى الْعَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى، **وَلَبَّاوُسُ الْمُلَقَّبُ تَدَّاوُسَ**. سِمْعَانُ الْقَانَوِيُّ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ الَّذِي أَسْلَمَهُ».

لوقا (**٦: ١٣–١٦**): «وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَه، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أيضًا "رُسُلاً": سِمْعَانَ الَّذِي سَمَّاهُ أيضًا بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ. يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. فِيلُبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ. مَتَّى وَتُومَا. يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ. **يَهُوذَا أَخَا يَعْقُوبَ**، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي صَارَ مُسَلِّمًا أيضًا».

**١٠.متّى (١٠:١٠) ومرقس (٦:٨) ـــ احملوا عصًا أم لا تحملوا؟**

متّى (١٠:١٠): «... وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً **وَلاَ عَصًا**، لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌّ طَعَامَهُ».

مرقس (٦:٨): «وَأَوْصَاهُمْ أَن لا يَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ **غَيْرَ عَصًا فَقَطْ**، لاَ مِزْوَدًا وَلاَ خُبْزًا وَلاَ نُحَاسًا فِي الْمِنْطَقَةِ...».

**١١.متّى (١١: ١٣–١٤) و(١٧: ١١–١٣) ويوحنا (١: ٢١) ـــ هل كان يوحنا المعمداني إيليا أم لا؟**

متّى (١١: ١٣–١٤): «لأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ **إِلَى يُوحَنَّا** تَنَبَّؤوا. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا **هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ**».

متّى (: ١١–١٣): «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَلكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ **إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ** وَلَمْ

يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذلِكَ ابْنُ الإِنْسَانِ أيضًا سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ. حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ **قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ**».

يوحنا (**١: ٢١**): فَسَأَلُوهُ (أي يوحنا المعمداني): «إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟ فَقَالَ: **لَسْتُ أَنَا**».

**١٢. متّى (١٢: ٣٩) (آية يُونَانُ هي الآية الوحيدة) مقابل مرقس (٨: ١٢) (لا تعطى له آية) مقابل لوقا (٧: ٢٢) و(١١: ٢٠) (اعتبار المعجزات آيات) ـــ أيها صحيح؟**

متّى (١٢: ٣٩): «فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ: جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ **إِلاَّ آيَةَ** يُونَانَ **النَّبِيِّ**».

مرقس (٨: ١٢): «فَتَنَهَّدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: لِمَاذَا يَطْلُبُ هذَا الْجِيلُ آيَةً؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **لَنْ يُعْطَى هذَا الْجِيلُ آيَةً**»!

لوقا (٧: ٢٢): «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمْيَ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمَّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينَ يُبَشَّرُونَ».

لوقا (١١: ٢٠): و«لكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ».

**١٣. متّى (١٥: ٢٢) ومرقس (٧: ٢٦) — هل كانت المرأة من كنعان أم اليونان؟**

متّى (١٥: ٢٢): «وَإِذَا امْرَأَةٌ **كَنْعَانِيَّةٌ** خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا».

مرقس (٧: ٢٦): «وَكَانَتِ المرَأَةُ أُمَمِيَّةً، وَفِي جِنْسِهَا فِينِيقِيَّةً سُورِيَّةً. فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنِ ابْنَتِهَا».

**١٤. متّى (٢٠: ٢٩) ومرقس (١٠: ٤٦-٤٧) — شحاذ واحد أم اثنان؟**

متّى (**٢٠: ٢٩-٣٠**): «وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ مِنْ أَرِيحَا تَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ، وَإِذَا **أَعْمَيَانِ** جَالِسَانِ عَلَى الطَّرِيقِ. فَلَمَّا سَمِعَا أَنَّ يَسُوعَ مُجْتَازٌ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ»!

مرقس (**١٠: ٤٦-٤٧**): «وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ، كَانَ **بَارْتِيمَاوُسُ الأَعْمَى** ابْنُ تِيمَاوُسَ جَالِسًا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ، ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي»!

**١٥. متّى (٢١: ١-٢) ومرقس (١: ١-٢) هل كان يوجد أتان أم لا؟ ائتياني "به" (أي الجحش) أم "بهما" (أي الجحش والأتان)؟**

متّى (٢١: ١-٢): «وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاؤوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تِلْمِيذَيْنِ قَائِلاً لَهُمَا: اِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ **أَتَانًا** مَرْبُوطَةً وَ**جَحْشًا مَعَهَا**، فَ**حُلاَّهُمَا** وَائتِيَاني **بِهِمَا**».

مرقس (١: ١-٢): «وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِه، وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ وَأَنْتُمَا دَاخِلاَنِ إِلَيْهَا تَجِدَانِ **جَحْشًا** مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَحُلاَّه وَائتِيَا **بِهِ**».

**١٦.متّى (٢٦: ٧٤-٧٥) ومرقس (١٤: ٧٢) ـــ قبل أن يصيح الدِّيك مرة أم مرتين؟**

متّى (26:74 – 26:75): «فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: إِنِّي لاَ أَعْرِفُ الرَّجُلَ! **وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ**. فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: إِنَّكَ **قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ** تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا».

مرقس (١٤:٧٢): «**وَصَاحَ الدِّيكُ ثَانِيَةً**، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ لَهُ يَسُوعُ: إِنَّكَ **قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ**، تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا تَفَكَّرَ بِهِ بَكَى».

**١٧.متّى (٢٧: ٥) وأعمال الرسل (١: ١٨) ـــ كيف مات**

**يهوذا؟**

متّى (٢٧: ٥): «فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى **وَخَنَقَ نَفْسَهُ**».

أعمال الرسل (١: ١٨): «فَإِنَّ هذَا اقْتَنَى حَقْلاً مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ، وَإِذْ **سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ** انْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ، فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُه كُلُّهَا».

**١٨. متّى (٢٧: ١١-١٤) (قال عيسى لبِيلاَطُسُ "أَنْتَ تَقُولُ" ولم يتفوه بكلمة أخرى) مقابل يوحنا (١٨: ٣٣-٣٧) (دار حوار بين عيسى وبيلاطس).**

متّى (٢٧: ١١-١٤): «فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قِائِلاً: أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ تَقُولُ. وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: أَمَا تَسْمَعُ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ وَلاَ عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدًّا».

يوحنا (١٨: ٣٣-٣٧): «ثُمَّ دَخَلَ بِيلاَطُسُ أيضًا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَدَعَا يَسُوعَ، وَقَالَ لَهُ: أنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هذَا، أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟ أَجَابَهُ بِيلاَطُسُ: أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟ أُمَّتُكَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ

مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا. فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: أَفَأَنْتَ إِذًا مَلِكٌ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي».

**١٩. متّى (٢٧: ٢٨) (رداء قرمزي) مقابل يوحنا (١٩: ٢) (ثوب أرجوان)**

متّى (٢٧: ٢٨): «فَعَرَّوْه وَأَلْبَسُوهُ **رِدَاءً قِرْمِزِيًّا**».

يوحنا (١٩: ٢): «وَضَفَرَ الْعَسْكَرُ إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَلْبَسُوهُ **ثَوْبَ أُرْجُوَانٍ**».

**٢٠. متّى (٢٧: ٣٤) ومرقس (١٥: ٢٣) — هل كان ممزوجًا بمِرّة أم مِرارة؟ أذاقها أم لا؟**

متّى (٢٧: ٣٤): «أَعْطَوْه خَلاً **مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ** لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا **ذَاقَ** لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ».

مرقس (١٥: ٢٣): «وَأَعْطَوْه خَمْرًا **مَمْزُوجَةً بِمُرّ** لِيَشْرَبَ، **فَلَمْ يَقْبَلْ**».

**٢١. مرقس (١٥: ٢٥) ويوحنا (١٩: ١٤-١٥) — هل صُلب عيسى قبل الساعة الثالثة أم بعد الساعة السادسة؟**

مرقس (١٥: ٢٥): «وَكَانَتِ **السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ** فَصَلَبُوهُ».

يوحنا (**١٩: ١٤-١٥**) «وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ، و**نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ**. فَقَالَ لِلْيَهُودِ: هُوَذَا مَلِكُكُمْ!. فَصَرَخُوا: خُذْه! خُذْه! اصْلِبْهُ»!

**٢٢. لوقا (١: ١٥، ١: ٤١، ١: ٦٧، ٢: ٢٥) ويوحنا (٧: ٣٩) ــــ أَأُعطِي الروح القدس أم لا؟**

لوقا (١: ١٥): «وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ (أي يوحنا المعمداني) **يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**».

لوقا (١: ٤١): «فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، **وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**».

لوقا (١: ٦٧): «**وَامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**... ».

لوقا (٢: ٢٥): «وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، **وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ**».

يوحنا (٧: ٣٧): «قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ **لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ**، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ».

**٢٣. لوقا (٢: ١٠-١٤) ولوقا (١٢: ٤٩-٥٣) ــــ هل تبشر**

**الملائكة بنبي ليرسي السلام في الأرض والوئام بين الناس أم ليضرم النار والانشقاق؟**

لوقا (٢: ١٠-١٤): «فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ. وظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، **وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ**».

لوقا (١٢: ٤٩-٥٣): «جِئْتُ (عيسى المسيح) **لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ**، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة. يَنْقَسِمُ الآبُ عَلَى الابْنِ، وَالابْنُ عَلَى الأَبِ، وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ، وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا، وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا».

**٢٤. لوقا (٢٣: ٣٩-٤٠) ومرقس (١٥: ٣١) — هل دافع أحد اللصين عن عيسى أم لا؟**

لوقا (٢٣: ٣٩-٤٠): «وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ **يُجَدِّفُ** عَلَيْهِ قَائِلاً: "إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ

وَإِيَّانَا!" **فَأجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَه** قَائِلاً: "أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ»؟

مرقس (١٥: ٣١): «وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكَتَبَةِ، قَالُوا: "خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! لِيَنْزِلِ الآنَ الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ، لِنَرَى وَنُؤْمِنَ!". **وَاللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ كَانَا يُعَيِّرَانِهِ**».

## ٢٥.لوقا (١٤: ٢٦) ورسالة يوحنا الأولى (٣: ١٥) — أن يكره الأخ أخاه أم غيرذلك؟

لوقا (١٤: ٢٦): «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ (المسيح عيسى) **وَلاَ يُبْغِضُ** أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَه **وَإِخْوَتَهُ** وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أيضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا».

رسالة يوحنا الأولى (٣: ١٥): «**كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ** فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ».

## ٢٦.لوقا (٢٣: ٢٦) ومتى (٢٧: ٣٢) ومرقس (١٥: ٢١) مقابل يوحنا (١٩: ١٧) — من الذي حمل الصليب سمعان أم عيسى؟

لوقا (٢٣: ٢٦): «وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أَمْسَكُوا **سِمْعَانَ، رَجُلاً**

**قَيْرَوَانِيًّا** كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ».

متى (٢٧: ٣٢): «وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا **إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ**، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ» (أي صليب المسيح عيسى).

مرقس (١٥: ٢١): «فَسَخَّرُوا رَجُلاً مُجْتَازًا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ، وَهُوَ **سِمْعَانُ الْقَيْرَوَانِيُّ** أَبُو أَلَكْسَنْدَرُسَ وَرُوفُسَ، لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ».

يوحنا (١٩: ١٧): «فَخَرَجَ (**المسيح عيسى**) **وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ** إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ» وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ "جُلْجُثَةُ".»

**٢٧. لوقا (٢٣: ٤٣) ويوحنا (٢٠: ١٧) — هل صعد إلى السماء أم لا؟**

لوقا (**٢٣: ٤٣**): «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:"الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ **الْيَوْمَ** تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ». (قيلت لأحد الاثنين اللذين صُلبا مساء اليوم الذي صُلب فيه عيسى نفسه، وفيها تنبؤ بصعوده **في اليوم ذاته**)

يوحنا (**٢٠: ١٧**): «قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي **لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي**». (قيلت لمريم المجدلاوية **بعد يومين** من

صلبه).

**٢٨.لوقا (٢٣: ٤٦) مقابل يوحنا (١٩: ٣٠) — هل كانت كلمات عيسى الأخيرة «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي" أم "قَدْ أُكْمِلَ»؟**

لوقا (**٢٣: ٤٦**): وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، **فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي**". وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ».

يوحنا (**١٩: ٣٠**): «فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: "**قَدْ أُكْمِلَ**". وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ».

**٢٩**.يوحنا (١: ١٨) ورسالة يوحنا الأولى (٤: ١٢) والرسالة الأولى إلى تيموثاوس (٦: ١٦) (الله **لا** يُرى) في مقابل التكوين (١٢: ٧ و١٧: ١ و١٨: ١ و٢٦: ٢ و٣٢: ٣٠) والخروج ٣: ١٦و٦: ٢-٣ و٢٤: ٩ و٣٣: ١١ و٣٣: ٣٣ والعدد (١٤: ١٤) وعاموس (٩: ١) (الله **يُرى**).

فعلى سبيل المثال، ينص كلٌّ من يوحنا (١: ١٨) ورسالة يوحنا الأولى (٤: ١٢) على ما يلي: اَللهُ لَمْ يَرَه أَحَدٌ **قَطُّ**.

التكوين (١٢: ٧): « **وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ** وَقَالَ... ».

التكوين (٣٢: ٣٠): «فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي **نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ**، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي».

الخروج (٦: ٢-٣): «ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ. وَ**أَنَا**

**ظَهَرْتُ** لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ **بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهْوَه» فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ... ».

**٣٠. يوحنا (٥: ٣١) ويوحنا (٨: ١٤) — هل كانت شهادة عيسى حقًا أم لا؟**

يوحنا (٥: ٣١): «إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي **لَيْسَتْ حَقًّا**».

يوحنا (٨: ١٤): «أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: "وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي **حَقٌّ**، لأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ».

**٣١. أعمال الرسل (٩: ٧) وأعمال الرسل (٢٢: ٩) — هل سمع المسافرون معه صوتًا أم لا؟**

أعمال الرسل (٢٢: ٩): «وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، **يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ** وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا».

أعمال الرسل (٢٢:٩): «وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلكِنَّهُمْ **لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ** الَّذِي كَلَّمَنِي».

**٣٢. أعمال الرسل (٩: ٧) وأعمال الرسل (٢٦: ١٤) — أسَقَطَ أتباع بولس على الأرض أم ظلوا واقفين؟**

أعمال الرسل (٩: ٧): «وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ **فَوَقَفُوا صَامِتِينَ**، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا».

أعمال الرسل (٢٦: ١٤): «**فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الأَرْضِ**، سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: "شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ». [٢٧٨]

**٣٣.متّى (١: ٦-١٦) ولوقا (٣: ٢٣-٣١) — هل يفصل بين داؤود ويوسف** (زوج مريم العذراء) **ستة وعشرون جيلاً أم واحد وأربعون في سلالة نسل عيسى؟**

إن السلالتين ببساطة لا تتفقان. ولا يتناظر اسمان **متعاقبان** باستثناء الاسم الأخير، أي يوسف، وهو الذي لم يكن والد عيسى الحقيقي مهما جمح الخيال بنا. يضاف إلى ذلك أن اسم الله لم يدرج، وهو أمر ذو دلالة؛ فلو أن عيسى كان حقًا "ابن الله"، فهل كان الله سيُسقط اسمه من شجرة النسب، ليس مرة واحدة فحسب بل مرتين؟

وعدم التطابق في قائمتي الأسماء هو كالآتي (وفقًا لطبعة الملك جيمس الجديدة):

[٢٧٨] إن رؤيا بولس المزعومة (كما مر أعلاه في الآيتين ٣١ و٣٢) من مرتكزات عقيدة التثليث، لأنه إذا ما فقدت شهادة بولس مصداقيتها، فمن أي مؤلف آخر للإنجيل تستمد عقيدة التثليث جذورها؟ ومما يثير القلق هو حقيقة اختلاف الروايات الثلاث لرؤيا بولس. فهل يمكن لتلك التناقضات أن تكون مايحمل الدلائل التي تشير إلى التزييف؟ كما علينا ألا ننسى الاختلافات بين الأناجيل الأربعة فيما يتعلق بالأحداث التي أعقبت صلبه المزعوم، كما هو موضح في الفصل المعنون، "ألوهية عيسى؟ — الأدلة".

| | متّى (١ : ٦–١٦) | لوقا (٣: ٢٣–٣١) |
|---|---|---|
| | داؤود | داؤود |
| ١) | سُلَيْمَانَ | نَاثَانَ |
| ٢) | رَحُبْعَامُ | مَتَّاثَا |
| ٣) | أَبِيَّا | مَيْنَانَ |
| ٤) | آسَا | مَلَيَا |
| ٥) | يَهُوشَافَاطَ | أَلِيَاقِيمَ |
| ٦) | يُورَامَ | يُونَانَ |
| ٧) | عُزِّيَّا | يُوسُفَ |
| ٨) | يُوثَامَ | يَهُوذَا |
| ٩) | أَحَازَ | شِمْعُونَ |
| ١٠) | حِزْقِيَّا | لاَوِي |
| ١١) | مَنَسَّى | مَتْثَاتَ |
| ١٢) | آمُونَ | يُورِيمَ |
| ١٣) | يُوشِيَّا | أَلِيعَازَرَ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٤) | يَكُنْيَا | يُوسِي |
| ١٥) | شَأَلْتِئِيلَ | عِيرِ |
| ١٦) | زَرُبَّابِلَ | أَلْمُودَامَ |
| ١٧) | أَبِيهُودَ | قُصَمَ |
| ١٨) | أَلِيَاقِيمَ | أَدِّي |
| ١٩) | عَازُورَ | مَلْكِي |
| ٢٠) | صَادُوقَ | نِيرِي |
| ٢١) | أَخِيمَ | شَأَلْتِيئِيلَ |
| ٢٢) | أَلِيُودَ | زَرُبَّابِلَ |
| ٢٣) | أَلِيعَازَرَ | رِيسَا |
| ٢٤) | مَتَّانَ | يُوحَنَّا |
| ٢٥) | يَعْقُوبَ | يَهُوذَا |
| ٢٦) | يُوسُفَ (زوج مريم) | يوسف (لا صلة بمريم) |
| ٢٧) | | شِمْعِي |
| ٢٨) | | مَتَّاثِيَا |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٩) | | مَآثَ |
| ٣٠) | | نَجَّايِ |
| ٣١) | | حَسْلِي |
| ٣٢) | | نَاحُومَ |
| ٣٣) | | عَامُوصَ |
| ٣٤) | | مَتَّاثِيَا |
| ٣٥) | | يوسف (لا صلة له بمريم) |
| ٣٦) | | يَنَّا |
| ٣٧) | | مَلْكِي |
| ٣٨) | | لاَوِي |
| ٣٩) | | مَتْثَاتَ |
| ٤٠) | | هَالِي |
| ٤١) | | يوسف (زوج مريم) |

يدافع المتحمسون النصارى عن عدم الاتساق هذا بالزَّعم بأن إحدى السلالتين هي لعيسى عن طريق أمه، أما الأخرى فهي لعيسى عن طريق

زوج أمه يوسف. إلا أن الكثيرين يعدّون هذا الدفاع مثالاً آخر للمزاعم المرفوضة من قبيل "صدِّق ما أقول لا ما تراه بأم عينك"، لأن الكتاب المقدس ينص في كلتا الحالتين – وعلى نحو جليٍّ – أن كلّ سلالة تشير إلى أسلاف عيسى عن طريق يوسف زوج مريم العذراء.

# ٤ – تناقضات داخل العهد الجديد: الجزء الثاني



**إن الأفضل حين يفسد يصبح الأسوأ.**

مثل لاتيني: (*Corruptio optimi pessima*)[٢٧٩]

يعتقد الكثير من النصارى بأن العهد الجديد هو كلام الله الخالص على الرغم من وجود الدليل على مايثبت النقيض. وبولس نفسه فنّد هذا الاعتقاد في الرساله الأولى لأهالي كورنثوس (٧: ١٢) «وَأَمَّا الْبَاقُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لاَ الرَّبُّ...» — مشيرًا إلى أن ما كان في الرسالة صدر عنه لا عن الله. وهكذا على أقل تقدير فإن هذا الجزء من الإنجيل وباعتراف بولس نفسه هو ليس من كلام الله. ويشير بولس في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس (١: ١٦) بأنه لا يذكر إن كان قد عمّد أحدًا غير

---

[٢٧٩] مقتبس من:

Lejeune, Anthony. 1998. *The Concise Dictionary of Foreign Quotations*. Stacey London. P.7.

كريسبُس Crispus، وغايُس Gaius، وبيت استفانوس Stephanas قائلاً: «عَدَا ذلِكَ لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ عَمَّدْتُ أَحَدًا آخَرَ». فهل يبدو هذا الكلام صادرًا عن الله؟ هل يمكن لله أن يقول: "عمّد بولس كريسبس، وغايُس، وبيت استفانوس، وربما كان هناك آخرون، بيد أن ذلك حدث منذ عهد سحيق، وكما تعلمون فقد حدث الكثير منذ ذلك الحين. ولستُ أذكر تمامًا الآن".

ورد في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس (٧: ٢٥-٢٦) أن بولس قد كتب: «وَأَمَّا الْعَذَارَى، فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ، وَلكِنَّنِي أُعْطِي رَأْيًا كَمَنْ رَحِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا. **فَأَظُنُّ** أَنَّ هذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضِّيقِ الْحَاضِرِ...» (التوكيد لي). وتنص الرسالة الثانية لأهل كورنثوس (١١: ١٧) على مايلي: «الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ الرَّبِّ، بَلْ كَأَنَّهُ فِي غَبَاوَةٍ...». ومرة أخرى أيصدّق أحد أن الله يتحدث بمثل هذا؟ اعترف بولس بأنه أجاب دون هدي رباني ودون تخويل إلهي، وأنه كان يؤمن شخصيًا بأن الله رحمه بأن يكون أمينًا في إحدى الحالات بينما كان يتحدث بغباوة في الحالة الأخرى. ويبرز بولس افتراضه للصلاحية بالكلمات: «بِحَسَبِ رَأْيِي. وَأَظُنُّ أَنِّي أَنَا أيضًا عِنْدِي رُوحُ اللهِ» (الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٧: ٤٠). المشكلة أن عددًا لا يستهان به من الناس قد زعموا أن عندهم "روح الله" في الوقت الذي ينغمسون فيه في فعل أشياء شاذة تمام الشذوذ وليست بربانية. وعليه: هل علينا أن نُعجب بثقة بولس (بنفسه) أم يتوجب علينا شجبها؟ وبغض النظر عن كيفية إجابتنا

عن هذا السؤال فإن النقطة هي أنه بينما تتوانى درجة التيقن عند البشر في بعض الأحيان، فإن هذا لا يليق بالخالق العليم القدير. فلا يمكن لله أن يقول "أظن..." كما فعل بولس.

ففي حين يظن إنسان ما أنه توافر لديه فهم تام للأمور كافّة فيستل قلمه ويؤلّف إنجيلاً، مبررًا ذلك بقوله إنه ارتأى ذلك حسنًا (لوقا ١: ٣)، فقد كتب الكثيرون عن الدين بافتراض أن لديهم فهمًا تامًا، ولأنهم ارتأوا أن ذلك كان حسنًا. إلا أن مثل هذه المشاعر الاستعلائية وحدها لا تصنع إنجيلاً.

ويكون الموقف التقهقري للمدافعين عن الكتاب المقدس عندها هو التأكيد بأن العهد الجديد ليس هو بالكلام الحرفي لله بل هو كلام الله **المُلْهَم**. ويستمد مثل هذا التوكيد الدعم من الرسالة الثانية إلى تيموثاوس (٣: ١٦) الذي يقرر البديهي ألا وهو: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ...». إلا أن ذلك لا يعني أن شيئًا ما يصبح كتابًا منزلاً بمجرد تسميته بذلك. كما أن مجرد اعتماد مجلس كنسي أربعة أناجيل مع استبعاد ألف إنجيل آخر (وحرقها)، أو نحو ذلك، لا يجعل أحدًا منها كتابًا مقدسًا. ولا يكمن البرهان في آراء الناس، ولو أجمعوا عليه، بل في ألوهية المصدر ووفقًا للدليلين الداخلي والخارجي. ويمكن أن تُعد تلك الكتب التي لا تصمد على محكّ المصدر أو الإلهام الرباني أو كليهما إما أنها لم تكن صافية بادئ ذي بدء، وإما أنها ببساطة كتبٌ محرفة. والحق يقال إنه لا يليق بكمال الله أن يوحي أو يُلهم الأخطاء.

وتساعد الآية (٤٠: ٨) في إشعياء في تحديد معيار يمكن لنا بموجبه أن نتثبت من أصالة الوحي: «يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ». ولسنا بحاجة لأن نشكك في مصدر أشعياء (٤٠: ٨)، ذلك أن الآية صحيحة وبدهيّة وصالحة لكل زمان ومكان ولا سبيل لإنكارها — فكلمة الله (أي تعاليمه) **ثابتة** إلى الأبد. إلا أن المسألة هي أنه ليس كتب [الكتاب المقدس] كلها ثابتة إلى الأبد، كما يتضح من قائمة التحريفات الطويلة المسرودة في الفصل السابق. وإذا كانت «كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» أي إنها لا تُفْقد أبدًا، فأين إنجيل عيسى الأصلي، إذا كان حقًا لم يُفقد؟ لا يوجد عالم إنجيل حق على قيد الحياة يجادل في حقيقة عدم وجود صفحة واحدة من إنجيل عيسى الأصلي. وإذا ما وضعنا العلماء جانبًا، فإن كلّ امرئ بوسعه التوصل إلى هذه الخلاصة بمفرده بإدراك أن عيسى كان يتكلم الآرامية لا اليونانية.[٢٨٠] [٢٨١]، كما أن أقدم المخطوطات المعروفة التي اعتمدت بأنها صحيحة تمامًا يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي وهي في معظمها مكتوبة بلغة لم يتحدثها عيسى البتة وهي اليونانية القديمة (Koiné Greek).

ولأن الأناجيل قد ألفها مؤلفون مجهولون في غالبها بدوافع مجهولة ومُبَهّرة بأخطاء يسهل كشفها ولا تليق بجلال الخالق، فإن الفجوة التي

---

[٢٨٠] Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*. p.102.

[٢٨١] Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus*. p. 27.

حدثت نتيجة فقدان إنجيل عيسى الأصلي جلية واضحة، ولم يتم التعويض عنها بشكل شاف.

إن الأخطاء والتناقضات التي نصادفها في أقدم المخطوطات التي ماتزال موجودة كثيرة لدرجة دفعت ب سي. جيه. كادو C.J.Cadoux الأستاذ في علم تاريخ الكنيسة بجامعة أكسفورد كي يكتب مايلي:

لذلك نجد في الأناجيل الأربعة – الوثائق الرئيسة التي لابد لنا من الرجوع إليها إذا ما أردنا إكمال الصورة المجردة التي يمكننا تجميعها من مصادر أخرى – نجد مادة متباينة النوعية من حيث المصداقية. فعنصر يقينية النص بعيد المنال لدرجة تغري بالتوقف عن البحث منذ البداية، والإعلان بأن المهمة ميئوس منها. وتمثل التناقضات وعدم الاحتمالات التاريخية في أجزاء من الأناجيل جزءًا من الجدليات المطروحة لصالح نظرية "أسطورة المسيح". إلا أن هذه التناقضات وعدم الاحتمالات التاريخية – كما أوضحنا – تفوقها اعتبارات أخرى تمامًا. غير أن التناقضات والشكوك المتبقية خطيرة، وبالتالي يعدّ الكثير من المحْدثين - الذين لا يساورهم أدنى شك في وجود عيسى الحقيقي - أن كلّ محاولة للفصل بين ما هو صحيح وثابت تاريخيًا عمّا هو أسطوري أو خرافي – وهو ما تعجّ به الأناجيل – وأن إعادة صياغة قصة بعثة عيسى من البواقي التاريخية ذات المصداقية الأكبر، إنما هي محاولة

يائسة.[٢٨٢]

و كادو ليس وحده الذي ذهب إلى ذلك. فكلّ باحث جادّ في الأديان سرعان ما يدرك الإحباط القائم بين علماء اللاهوت المسيحيين الذي يرجع إلى حدٍ كبير لافتقارهم إلى نسخة أصلية من الإنجيل، وإلى مؤلفين معروفي الهوية، وإلى الهدي الذي لا لبس فيه.

فإلى جانب كادو على سبيل المثال نجد روبرت دبليو فونك Robert W.Funk، العالِم المؤسس لـ"ندوة عيسى" وهو يقول:

ومما يعقِّد المشكلة عدم تطابق نسختين من كتب العهد الجديد تطابقًا تامًا، لأنها جميعًا من وضع البشر. فهناك تقديرات بوجود أكثر من سبعين ألف تباين هام في المخطوطات اليونانية للعهد الجديد نفسه. وهذا الكم الهائل من التباينات قد تم تقليصه إلى عدد يمكن تدبره وذلك بطبعات نقدية حديثة تصنف، وتقوِّم، وتختار من بين مئات الاحتمالات. والطبعات النقدية للعهد الجديد اليوناني التي يستخدمها العلماء هي في الواقع من وضع نقاد النصوص ومحرريها. وهي غير متطابقة مع جميع المخطوطات القديمة المتبقية. بل إنها مزيج من العديد من النُسخ المتباينة.[٢٨٣]

---

[٢٨٢] Cadoux, Cecil John. 1948. *The Life of Jesus*. Middlesex: Penguin Books.pp.16-17.

[٢٨٣] Funk, Robert Walter. 1996. *Honest to Jesus, Jesus for a New Millenium*. Polebridge Press. pp.94-95.

يعزو دَمِّلو Dummelow – الأستاذ في جامعة كامبريدج Cambridge – غياب القيم الاخلاقية في الحفاظ على سجلات النصوص المقدسة إلى كثرة ما ظهر من التباين في تلك النصوص، وذلك كما يلي:

فالناسخ أحيانًا كان يضع ما لم يكن في النص، بل ما كان يعتقد أنه يجب أن يكون فيه. وكان يثق بذاكرة متقلبة الأطوار، أو أنه كان يجعل النص يتفق وآراء المدرسة التي كان ينتمي إليها. إلى جانب هذا، فقد تم حفظ عدد هائل من النسخ. وإضافة إلى النسخ والاقتباسات العائدة للآباء المسيحيين الأوائل، فإن ماهو معروف هو وجود حوالي أربعة آلاف مخطوطة يونانية(٢٨٤) من العهد الجديد. ونتيجة لذلك فإن هناك عددًا كبيرًا لا يستهان به من القراءات المختلفة.(٢٨٥)

وخشية أن يعدّ ما سبق ذكره رأيًا شخصيًا، فإن الاقتباس آنف الذكر ورد في مؤلَّف شارك في تأليفه اثنان وأربعون من علماء الكتاب المقدس المسيحيين ممن يتمتعون بسمعة عالمية. ويحق لنا أن نتساءل: لماذا تنتقد مثل هذه المجموعة من العلماء المرموقين كتاب هدايتها ما لم يكن ذلك

---

٢٨٤ يعود هذا الاقتباس لمئة عام من الزمان. أما في يومنا هذا فيبلغ عدد المخطوطات اليونانية المكتشفة ٥٧٠٠ مخطوطة.

٢٨٥ Dummelow, Rev. J. R. (ed). 1908. *A Commentary on the Holy Bible*. N. Y.: Macmillan Publishing Co., Inc. Introduction, p.16.

انطلاقًا من التمسك بالحقيقة؟

كما أن هناك علماء مرموقين آخرين يقدمون شروحاتهم للنصوص الإنجيلية واسعة الاختلاف:

خُطب الإنجيل الرابع Fourth Gospel (بعيدًا عن الزعم المسيحي الأول) مختلفة اختلافًا كبيرًا عن تلك المتضمنة في ملخصات الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد. إن حالها هو حال تعليقات مؤلف الكتاب الرابع نفسه من العهد الجديد، ولا يمكن أن تُعَدّ هذه الأناجيل متساوية من حيث المصداقية في أنها تدوين لما قاله عيسى: فعلى خلاف ماهو قائم اليوم، لم تكن الدقة الأدبية في العصور القديمة تحول دون إسناد خطابات خيالية إلى شخصيات تاريخية: فقد مارس أفضل المؤرخين القدامى تأليفًا لخطابات وإسنادها على مثل هذه الشاكلة.[٢٨٦]

يُقدم القس جيه. آر. فِنْدْلي J.R.Findlay الملاحظة التالية: " لم تزعم الكتابات الإنجيلية التي أنتِجت على هذا النحو، ولا تلك التي يتضمنها العهد الجديد الآن، لدى ظهورها أنها تملك سلطة كنسية، بل كانت جميعها وليدة الرغبة لتقديم ما عُرف عن المسيح أو ما جرى اعتقاده عنه، وذلك بهدف إرضاء الحاجات الدينية للمجتمعات التي كُتبت لها كلّ

٢٨٦ Cadoux, Cecil John.p.16.

مجتمع على حده."[٢٨٧]

إن ملاحظات فِنْدْلي حول الأناجيل الملفقة يمكن تطبيقها بالسوية ذاتها على الأناجيل الكنسية:

> من الطبيعي أن تبرز الرغبة في تقديم الحقائق الإنجيلية التي تنسجم والفكر والشعور السائدين. وإذا ما أريد إشباع هذه الرغبة، استدعى الأمر بعض التصرف في التراث المقبول عمومًا، إلا أن ذلك لم يكن بالأمر الجلل في عصر ضعف فيه وازع الضمير لأجل الالتزام بوصف الأشياء كما هي عليه في واقع الأمر. وهكذا وضعت أناجيل لتعكس بجلاء تصورات الحاجات العملية للمجتمع التي أُلفت من أجله. وقد استخدمت فيها المادة التقليدية، لكن لم يكن المؤلف ليتردد في تغييرها أو في إحداث إضافات إليها أو إسقاط ما لم يتوافق وغاياته؟[٢٨٨]

أو بعبارة أبسط، "بالنسبة إلى المسيحيين الأوائل الذين نقلوا إلينا القصص التي لدينا الآن في الأناجيل، كان من المشروع أحيانًا بل ومن الضروري لهم تغيير حقيقة تاريخية لإثبات وجهة نظر لاهوتية".[٢٨٩]

---

[٢٨٧] Findlay, Rev. Adam Fyfe, M.A., D.D. 1929. *The History of Christianity in the Light of Modern Knowledge*. London: Blackie & Son, Ltd. p.318.

[٢٨٨] المرجع السابق، ص 320.

[٢٨٩] Ehrman, Bart D. *The New Testament: A Historical Introduction*

إن حقيقة أن كتّاب الأناجيل عملوا على تعديل النص ليتماشى وغاياتهم هو أمر معروف تمامًا بين العلماء، وقد أدت تلك الحقيقة إلى وضع منهجية دقيقة لتحليل الأناجيل تُعرف بنقد التنقيح redaction criticism. ويتمثل عمل ناقد التنقيح هذا بالتعرف إلى نوايا كلّ مؤلف وموقعه اللاهوتي وهدفه التبشيري، وذلك من خلال تحليل أسلوب الإنجيل الكتابي والتعديلات التحريرية التي أدخِلت على المصادر التي استمد منها كلّ إنجيل مادته، بما في ذلك من إضافات وحذوفات وإعادة تفسير أو ترتيب.[٢٩٠]

وسواء أكنا نتفق والرأي القائل بأن العهد الجديد هو مصدر غير موثوق لمعرفة الحق أم لم نتفق، فإنه يمكن افتراض أن صمت سلطات الكنيسة في مواجهة مثل هذه الانتقادات ينطوي على موافقة منها. لكن مهما كان السبب في هذا التغاير الكبير في الروايات الإنجيلية، فإن الحقيقة تظل بأنها تختلف حقًا، وأن الافتقار إلى الانسجام يظل صعوبة ضارة تشوّه وجه الزعم بخلو الكتاب المقدس من الأخطاء تشويهًا كبيرًا.

وعلينا أن نتساءل في ضوء هذه التناقضات عن السبب الذي حدا بالكنيسة إلى اعتماد كتب متضاربة في شرع واحد. والجواب ببساطة هو أن هذه الكتابات المسيحية هي التي خدمت أهداف الكنيسة المبكرة على

---

*to the Early Christian Writings*. p.57.

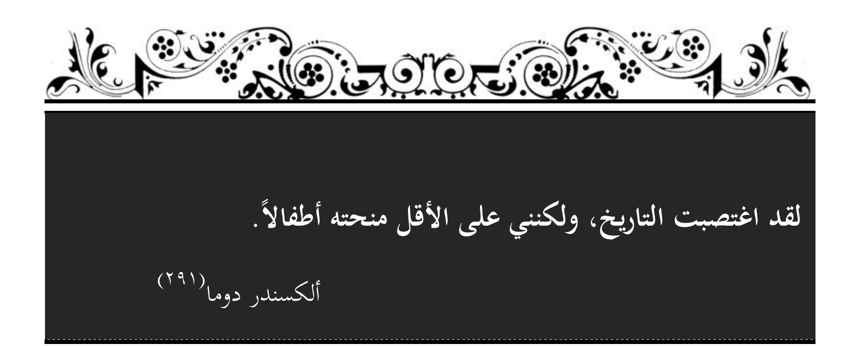
[٢٩٠] للمزيد من المعلومات انظر: Stanton, Graham N. 1989. *The Gospels and Jesus*. OUP. pp.24-26.

أفضل وجه.

أوليست هذه فكرة مخيفة!

بيد أنها تقودنا إلى السؤال حول الكيفية التي تم بها وضع قائمة الأسفار المعتمدة للعهد الجديد، لذا، فلننتقل إلى ذلك الموضوع الآن.

# ٥ – مشكلات قائمة الأسفار المعتمدة للعهد الجديد




وفقًا لـ **معجم هاربر للإنجيل** فإن "لأسفار العهد الجديد المعتمدة تاريخًا غير متّسق ومعقدًا ... كما أنه لم تظهر قوائم كنسية معتمدة للأسفار قبل حوالي العام ١٥٠ بعد الميلاد."[٢٩٢] ويعلق جون رومان John Reumann في كتابه **التباين والاتحاد في فكر العهد الجديد** *Variety and Unity in New Testament Thought* بالقول: "إن الأسفار كمجموعة كتب دينية تصبح أشد تعقيدًا عندما يدرك المرء بون المسافة بين ماكتب فيها (وكيف أن بعض الكتابات التي لم تُدرج ليست

---

[٢٩١] مقتبسة من:

Lejeune, Anthony. 1998. *The Concise Dictionary of Foreign Quotations*. Stacey London. P.72.

[٢٩٢] Achtemeier, Paul J. p.111.

على كلّ حال أفضل منزلة من ناحية الأسلوب، وكم هي متأخرة من حيث تاريخ الكتابة)، أو حينما يرى المرء مدى تباين الآراء حول بعض هذه الكتابات إبان عهود كتابات آباء الكنيسة."[٢٩٣]

ويضيف غراهام ستانتون قائلاً: "لقد استبقت الكنيسة المبكرة لديها أربعة أناجيل على الرغم مما أحدثه ذلك من حرج متكرر حول مدى الاختلافات فيما بينها...". [٢٩٤]

ومع ذلك تزعم **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة**: بأن "جميع الكتب في القائمة الكنسية موحاة، إلا أن ماهو مشكوك فيه هو فيما إن كان هناك كتبٌ موحىً بها ليست مدرجةً في القائمة بسبب فقدها. ولم تسوِّ الكنيسة هذه المسألة بعد، والاعتقاد السائد هو أن بعض الكتب الموحاة ربما فُقدت."[٢٩٥]

لِمَ هذا الشك المستتر بأن بعض الكتب قد فُقدت؟ إن الأدلة الإنجيلية الواردة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (٥: ٩) والرسالة الثانية إلى كورنثوس (٢: ٣-٩ و٧: ٨-١٢) تصف رسالتي بولس اللتين اختفتا.[٢٩٦] كما يتحدث بولس عن «الرساله من لاَوُدِكِيَّةَ» في رسالته الى

---

٢٩٣ Reumann, John. 1991. *Variety and Unity in the New Testament Thought*. OUP. p.281.

٢٩٤ Stanton, Graham N.p. 135.

٢٩٥ *New Catholic Encyclopedia*. Vol 2, p.386.

٢٩٦ المرجع السابق، ص 386.

كورنثوس (٤:١٦)، فأين هذه الرسالة؟ يضاف إلى ذلك أنه يرد ذكر ما مجموعه ستة كتب مفقودة في العهد القديم في أخبار الأيام الأول (٢٩:٢٩) وأخبار الأيام الثاني (٩: ٢٩) و(١٢:١٥).[٢٩٧] إذًا، ثمة مواد مفقودة بكل تأكيد. وأما مقدار ما تم إضافته بغير حق فيبقى مسألة خلافية أخرى.

وبغض النظر عن تلك الكتب التي فُقدت، فإننا نجد أن خمسة كتب أخرى (وهي بطرس الثاني، ويوحنا الثاني، ويوحنا الثالث، ويعقوب، ويهوذا) تعرّضت لنكسة في قبولها وذلك بسبب صحة إسنادها. وبالإضافة إلى ذلك فقد أضفيت الشرعية الكنسية إلى كتب أخرى سقطت منذ ذلك الوقت في غياهب الأسفار المشكوك بأصالتها، في حين تبقى شرعية كلاً من العبرانيين وسفر الرؤيا موضع جدال إلى يومنا هذا.[٢٩٨] وعقب "الاستقرار النهائي" للكتاب المقدس في القرن الخامس، بقيت الكتب الخمسة آنفة الذكر، وكتاب العبرانيين وسفر الرؤيا مثار جدل.[٢٩٩] وقد ثبت أن ذلك الجدل كان جدلاً إشكاليًا جدًا سعى الجميع لوضع حد سريع له. وبناء عليه، وبعد أكثر من ألف سنة من التردد والنقاش، تم إرساء تعريف عَقَدي لأسفار الكتاب المقدس المعتمدة في مرسوم صدر عن مجلس ترِنْت Council of Trent بعنوان "الأسفار الكنسية المعتمدة"

---

[٢٩٧] المرجع السابق، ص 386.

[٢٩٨] المرجع السابق، ص 391.

[٢٩٩] المرجع السابق، ص 395.

De Canonicis Scripuris وذلك في الثامن من أبريل / نيسان عام ١٥٦٤.[٣٠٠]

ولكي نكون منصفين، ينبغي أن ننوه بأننا نجد إشارة إلى كتب العهد الجديد السبعة والعشرين في وقت مبكر وذلك في عام ٣٦٧ م، وذلك في الرسالة الرعوية السنوية التي صاغها أثناسيس Athanasius، أسقف الإسكندرية bishop of Alexandria. وقد حدد أثناسيُس في هذه الرسالة الكتب السبعة والعشرين، هذه الكتب دون غيرها، بأنها سماوية المصدر.[٣٠١] ولسوء الحظ، فإن أثناسيُس أو أحدًا مثله لم يفلح في وضع قائمة أسفار كنسية تحظى بقبول عالمي. فالكنيسة السورية استبعدت خمسة كتب من قائمة أسفار العهد الجديد التي تتضمن اثنين وعشرين كتابًا، في حين أضافت الكنيسة الأثيوبية أربعة كتب أخرى ليصبح المجموع واحدًا وثلاثين.[٣٠٢] وإذا ما أخذنا كتب العهد القديم بالحسبان، فإن الكتاب المقدس الكاثوليكي التقليدي دواي - ريمز، وتراجم أخرى أكثر حداثة – مثل الإنجيل الأمريكي الجديد والطبعة المعتمدة المنقحة (الطبعة الكاثوليكية) – تحتوي ثلاثة وسبعين كتابًا، أي أكثر بسبعة كتب من الكتاب المقدس البروتستانتي، وأقل بثلاثة كتب من نسخة الكتاب المقدس الأرثوذكسية. وهكذا فإن العالم المسيحي إلى يومنا هذا ما يزال منقسمًا

---

٣٠٠ المرجع السابق، ص 395.

٣٠١ Ehrman, Bart D. *Lost Christianities*.p.54., and *Misquoting Jesus*.p.36..

٣٠٢ Ehrman, Bart D *Lost Christianities*.p.231. .

حول ما يتألف منه العهد الجديد من كتب.

ومع ذلك، فإننا نركز في نقاشنا على الكنيسة الكاثوليكية بسبب دورها البارز تاريخيًا، ثم نعود لمجلس ترِنْت عام ١٥٦٤ وترسيخ قائمة كتب العهد الجديد. وقد نتساءل بأي حق تم وضع قائمة أسفار كهذه بعد بعثة عيسى بستة عشر قرنًا تقريبًا. أما الكنيسة الكاثوليكية فموقفها هو أن، "مرسوم ترِنْت الذي كرره الفاتيكان الأول Vatican I في الرابع والعشرين من أبريل / نيسان عام ١٨٧٠م هو القرار المعصوم عن الخطأ لمجلس القضاء الكنسي magisterium. كما قضى المرسوم بإضافة بعض أجزاء من كتب العهد القديم التي لا تعد في الأصل جزءًا منه، وهي: مرقس (١٦: ٩–٢٠) ولوقا (٢٢: ١٩ب، و٤٣–٤٤) ويوحنا (٧: ٥٣ و٨: ١١)."[٣٠٣]

والجدير بالملاحظة الزعمان المترافقان القائلان بـ عصمة مجلس القضاء الكنسي وبـ الأصالة المشكوك فيها للكتب، الأمر الذي يوحي بأن مزاعم العصمة تلك لم تكن أكثر من مجرّد دعاية بابوية.

فبالمحصلة النهائية، هذه هي الكنيسة نفسها التي لعنت anathemized البابا هونوريوس الأوّل Honorius I بعد وفاته في مجلس القسطنطينية الثالث (المجمع المسكوني السادس Sixth Ecumenical Council) في العام ٦٨٠ م. وكان البابا هونوريوس قد حكم الفاتيكان

---

[٣٠٣] *New Catholic Encyclopedia*. Vol 2, p.395.

مدة ثلاثة عشر عامًا (٦٢٥ - ٦٣٨ ميلادية)، وصادق عليه مجمع القسطنطينية الكنسي في السنة التي توفي فيها بوصفه "متفقًا تمامًا والتعاليم الرسولية".[٣٠٤] إلا أنه بعد مرور أربعة وأربعين عامًا أعلنت الكنيسة ذاتها التي صادقت على تعيين هونوريوس لَعَنَه لأنه "عندما آلت إليه السلطة الرسولية لم يطفئ شعلة تعاليم الهرطقة في مهدها، بل غذاها بإهماله لها" و"سمح لحكم التراث الرسولي الطاهر الذي آل إليه من أسلافه بأن يُلوث".[٣٠٥]

يا للهول! أيهما الرأي الصحيح إذًا؟ هل كان البابا هونريوس "متفقًا تمامًا والتعاليم الرسولية" أم إنه لوث التراث الرسولي؟

وفي العام ٦٨٢ م، قام البابا القديس ليو الثاني Leo II بدعم من المجمع الكنسي الترولي Trullan Synod والمجلسان المسكونيان السابع والثامن بتشكيل قرار اللَّعن الصادر المجمع المسكوني السادس.[٣٠٦]،[٣٠٧]،[٣٠٨] وبهذا يكون لدينا بابوان متعارضان two opposing popes، وعلينا أن نتساءل: أيهما هو المنزّه عن الخطأ، إن كان أحدهما كذلك. فلابد أن **أحدهما** كان على خطأ— فإما أن البابا

٣٠٤ Chapman. Dom John. 1907. *The Condemnation of Pope Honorius*. London: Catholic Trust Society. P.25.

٣٠٥ المرجع السابق، الصفحات 114-115.

٣٠٦ المرجع السابق، ص 115.

٣٠٧ *Encyclopaedia Britannica. CD-Rom.*

٣٠٨ *New Catholic Encyclopedia.* Vol 7, pp.123-125.

هونوريوس استحق اللعن وفقًا لقوانين الكنيسة، وإما أن البابا القديس ليو الثاني لعن رجلاً بريئًا. إذًا لابد وأن أحدهما كان مخطئًا، ولكن وفقًا لعقيدة العصمة البابوية، فإن الكنيسة تريد منا أن نصدّق أن كلا الرجلين كان على صواب.

وبتصفح أخبار التاريخ البابوي ثمة روايات مماثلة تبعث على الدهشة الاستغراب. فقد عرّف البابا بيوس التاسع Pope Pius IX عقيدة العصمة البابوية في المجمع الأول للفاتيكان والذي الْتأَم ما بين عامي ١٨٦٩ و١٨٧٠م. نفهم من هذا أن العقيدة استعصت على التعريف مدة تنيف على خمسة عشر قرنًا. إلا أنه يمكن تفهّم هذا التأخر في الاعتراف بتلك العقيدة في ظل تاريخ البابوية. فقد شهد القرن السابع التآمر متباين الألوان الذي أحاط بالبابا هونوريوس الأول، كما وصفنا أعلاه. وفي القرن العاشر جاء البابا جون الثاني عشر John XII الذي كانت جرائمه ضد الدين والإنسانية من العمق والاتساع والفسوق بحيث دفعت أحد المؤلفين كي يسمه بـ كاليجولا المسيحي Christian Caligula، مضيفًا بالقول:

> كان الاتهام الذي وُجه إليه تحديدًا تحويله قصر لاتيران Lateran إلى بيت دعارة وأنه وعصابته اعتدوا على نساء من الحجيج في كنيسة القديس بطرس نفسها، وأن القرابين التي كان يضعها العامة من الناس على المذبح كانت تُنهب كما لو كانت غنيمة يغرفون منها متى شاؤوا. وكان مولعًا بالقمار بشكل مسرف،

وكان في أثناء لعبه يذكر أسماء آلهة مُعرّاة بات الجميع الآن يعدها من الشياطين. كما كان ذا شهوة جنسية نهمة لا تشبع، وهو ما كان يعد جريمة صغرى في عرف الرومان. والأسوأ من ذلك بمراحل أنه كان يكافئ من يرتدن مخدعه بقطع من الأراضي فضلاً عن قطع من الذهب. وقد تمكنت إحدى عشيقاته من أن تصبح سيدة إقطاعية "إذ كان حبّه لها قد أعماه للحد الذي جعله يعينها حاكمة لبعض المدن، كما أهداها الصلبان والكؤوس الذهبية الخاصة بالقديس بطرس نفسه."[٣٠٩]

وتولى البابا بنيدكت التاسع Benedict IX رئاسة كنيسة القديس بطرس St. Peter عام ١٠٣٢ حيث ما لبث أن قام ببيع منصب البابوية لعرّابه جيوفاني غراتيانو Giovanni Gratiano لقاء مبلغ ضخم مقداره ١,٥٠٠ رطل من الذهب.[٣١٠] كما ظهرت إخفاقات مماثلة مع من تبع لاحقًا من البابوات، ومثال ذلك حين أصبحت رئاسة كنيسة القديس بطرس مثقلة على نحو مزعج بثالوث باباوات القرن الخامس عشر وهم: بنيدكت الثالث عشر Benedict XIII، وغريغوري الثاني عشر Gregory

[٣٠٩] Chamberlin, E. R. 1993. *The Bad Popes*. Barnes & Noble, Inc.,p.43-44.

أما المقتبس الملحق فينسب إلى: Liudprand of Cremona, *Libre de Gestis Ottonis* ترجمة F.A. Wright. London.1930.Chapter 10.

[٣١٠] المرجع السابق، ص 71-70.

XII ويوحنا الثالث والعشرون John XXIII،[٣١١] (الذي كان قرصانًا سابقًا، وكأن الوضع كان يحتمل المزيد من الدسائس) وجميعهم تولوا كرسي البابوية في الوقت ذاته.[٣١٢]

ولعل أكثر الأمور غرابة هو ما يتعلق ببابا القرن الثالث عشر سيليستين الخامس Celestine V، الذي تشير إليه **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** بالقول "إن ما طبع حكم سيليستين هو خنوعه المؤسف للملك تشارلز الثاني Charles II وعدم كفاءته الإدارية ... وحين أدرك عدم كفاءته، أصدر مرسومًا دستوريًا في العاشر من كانون الثاني/ديسمبر، أعلن فيه حق البابا في الاستقالة، وفي الثالث عشر من الشهر ذاته أعلن استقالته بمحض إرادته."[٣١٣] ويصعب العثور على تطور أكثر إثارة للحكاية، فها هو ذا أحد البابوات يدرك عدم كفاءته ويستقيل. ويزعم الكاثوليك أن البابا معصوم عن الخطأ، إلا أن سيليستين، كما يبدو، لم يكن قادرًا على فعل الصواب. أن ترى من هو معصوم عن الخطأ ولكن لايمتلك الكفاءة، إنه لأمر غريب حقًا!

---

[٣١١] بالدساري كوسا Baldassacre Cossa (١٣٦٠-١٤١٩)، والذي يجب عدم الخلط بينه وبين البابا يوحنا الثالث والعشرين من القرن العشرين. في كتابه **تاريخ انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية**، اتهم غيبون Gibbon بابا القرن الخامس عشر، يوحنا الثالث والعشرين، بـ "القرصنة والقتل واللواط والاغتصاب والزنا بالمحارم". وقد جرى تنحيته عن منصبه وإبطال لقبه في العام 1415م، بحيث أصبح البابا يوحنا في القرن العشرين البابا يوحنا الثالث والعشرين الحقيقي في نظر الكنيسة.

[٣١٢] Chamberlin, E. R. p.158.

[٣١٣] *New Catholic Encyclopedia*. Vol 3, p.365.

عقد البابا يوحنا الثالث والعشرون John XXIII مؤخرًا الاجتماع الثاني لمجلس الفاتيكان في العام ١٩٦٢م الذي أصدر فيه أخيرًا وثيقة التبرئة المسماة بـ "حدث في زماننا" *Nostra Aetate* حيث قام بإعلانها في الثامن والعشرين من أكتوبر/ تشرين أول ١٩٦٥م خليفته البابا بولس السادس Pope Paul VI. وهي وثيقة برّأت اليهود من جريمة صلب المسيح عيسى المزعومة. ليس ذلك فحسب، بل إن الوثيقة تؤكد أن "الكنيسة تعتقد أن مسيح السلام، أصلح بصليبه ما بين اليهود والأمميين موحدًا إياهم جميعًا في شخصه."[٣١٤] وهنا صدرت صرخة استغراب جماعية من أرجاء العالم دوى صداها في أروقة الضمير المسيحي منذ ذلك الحين.

وبغض النظر عما إذا كان المسيح عيسى قد صلب أم لا، فليس لذلك علاقة بموضوعنا هنا. **إن المهم** هو ملاحظة أن الرأي الذي ساد بين جميع البابوات منذ إنشاء كنيسة الروم الكاثوليك عارضه أحد باباوات القرن العشرين ومجلسه، ثم صادق عليه جميع البابوات اللاحقين. وعليه نسأل، هل كان جميع البابوات السابقين على خطأ إذ لم يقروا بالبراءة المفترضة لليهود، أم إن البابا يوحنا الثالث والعشرين والبابا بولس السادس والبابوين يوحنا بولس الأول Pope Paul I ويوحنا بولس الثاني Pope Paul II صادقوا على عقائد صحيحة من الناحية السياسية، ولكنها تنبثق

٣١٤ *Nostra Aetate*. 28 October 1965. Item No 4. Official publication of the Vatican website: www.vatican.va.

من الجانب المظلم للواقع؟

لابد أن هذه التبرئة أثلجت صدور اليهود، وذلك لأن المضمون العملي لذلك هو وضع حدٍ لزهاء ألفي عام من العداء للسامية الذي كانت تبيحه الكاثوليكية. فقد دعا البابا يوحنا بولس الثاني الكنيسة لل "التوبة" (بالعبرية *tshuva*) نتيجة تاريخها الطويل في معاداة السامية وأن يمتنع الكاثوليك من الآن فصاعدًا عن التحرش باليهود أو التمييز بحقهم على أساس أنهم عُدّوا خطًا ملعونين ومدانين بدم المسيح مدة ألفي العام خلت. إلا أنه وكما أن البابوات "المعصومين" السابقين لم يوافقوا عبر القرون السابقة على تبرئة اليهود من دم المسيح، فإن أعضاء الكنيسة الأرثودوكسية الحالية لم يوافقوا كذلك وذلك لأنه:

في أثناء مداولات مجلس الفاتيكان حول الإعلان المتعلق باليهود، أبلغ مجمع الكنيسة القبطية الأرثوذوكسية المقدس Synod of Coptic Orthodox Church روما بفهمه الصريح بأن "الكتاب المقدس يشهد شهادة جلية بأن اليهود قد صلبوا الرب عيسى المسيح وأنهم يتحملون مسؤولية صلبه. وتضمن الإبلاغ تذكيرًا بأن "اليهود قالوا لبيلاطس البنطي Pontius Pilate مرارًا وتكرارًا: «اصلبه، اصلبه! » (لوقا ٢٣: ٢١)، «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (متّى ٢٧: ٢٥). وقد قدمت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بعد ذلك وثائق تدعم رأيها بأن اليهود "مدانون" بموجب العهد الجديد. فالقديس بطرس الرسول يقول: «وَلكِنْ

أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ» (أعمال الرسل ٣: ١٤-١٥). يضاف إلى ذلك أن الإدانة شملت اليهود جميعًا في كيانهم الجماعي، قديمًا وحديثًا. "ولا تشمل هذه الإدانة مجموعة محددة دون سواها؛ لأن القديس بطرس خاطب يهود «كل أمة تحت السماء» (أعمال الرسل: ٢)."[٣١٥]

ولكن، أليس تقلُّب الرأي والمراوغة مدعاة للعجب؟ ففي المحصلة، أن المطلوب من المسيحيين الاعتقاد بأن حواريي عيسى وأتباعه الأتقياء لم يتمكنوا من الاتفاق على قائمة أسفار الكتاب المقدس بعد مضي شهر أو سنة أو سنتين على بعثة عيسى. إلا أنه وبطريقة ما، استطاع رجال دين متنورين تنويرًا استثنائيًا أن يستقطروا حقيقة علم المسيحية من الكتب المقدسة بعد مضي خمسة عشر قرنًا من بعثته.

ولعله ينبغي لنا أن نخشى من مغبة الوثوق برأي رجال الدين التقدميين الذين أدخلوا العديد من البدع الدينية innovations في أروقة العبادة التقليدية، بدع مثل الصليب cross، والمصلّب crucifix [الصليب وعليه صورة المسيح]، واللوحات paintings، والأيقونات الدينية icons، ورسومات عيسى والقديسين على الزجاج الملوَّن stain glass. وبطبيعة الحال فإن كثيرًا من المسيحيين يحبّون هذه البدع ويدافعون عنها بناء على

---

٣١٥ Gilbert, Arthur. 1968. *The Vatican Council and The Jews*. NY: The World Publishing Company.p.7.

طبيعتها الملهمة المثيرة للعواطف، ولأنها تمثل تذكيرًا دينيًا. قد يكون الأمر كذلك. لكن ما الحكم الإنساني الذي يرجَّح على وصايا الله في ميزان الرأي؟ ومن ذا "المرء الرباني" الذي يقول دومًا: "أجل، إن الله يحرّم هذا، ولكني أرى أن لا بأس عليك إذا قمت به!" إن قمة الصفاقة أن نعتقد بأن الرّبّ قد فاته – بطريقة ما – الإحاطة بمناحي الحياة كافّة إحاطة تامة، وأننا نحن معشر البشر نمتلك الحق في الاعتراض على حكمه بناءً على صلفنا.

فعلى سبيل المثال، إن أكثر رموز المسيحية شهرة هما الصليب والمصلَّب، وقد يتبادر إلى الأذهان بأن ارتداء مثل هذه الرموز أوعرضها أو تبجيلها يعود بجذوره إلى عصر عيسى.

وليس هناك ما هو أبعد عن الحقيقة بهذا الشأن.

والحق أن قضية تبني كلّ من الصليب والمصلَّب في العبادة المسيحية قد ابتُدع بعد بعثة عيسى بعدة قرون. فقد كان أوّل ظهور لصور الصليب المجرّد في عهد قسطنطين Constantine وذلك في القرن الرابع.[٣١٦] بينما يعود تاريخ مشاهد الصلب الأولى إلى القرن الخامس الميلادي، وتعود الصورة التي تمثل المسيح مصلوبًا إلى القرن السادس، إلا أن المصلّب لم يظهر على منضدة المذبح إلا في القرن الثالث عشر.[٣١٧] وحول هذا

[٣١٦] *New Catholic Encyclopedia*. Vol 4, p.486.

[٣١٧] المرجع السابق، الصفحات 485-486.

الموضوع نقرأ في **الموسوعة الكاثوليكية الجديدة** التعليق التالي: "لا نجد تصويرًا لموت المسيح في فدائه على جبل الجُلْجُثَةُ في الفن الرمزي للقرون المسيحية الأولى. وبفعل تأثرهم بتحريم الصور المنحوته في العهد القديم، فقد تردد المسيحيون الأوائل في تصوير أداة آلام الرب."[٣١٨]

قلّما نجد مثل هاتين الجملتين بهذا الكم من المعلومات الثرّة. وإننا إذ نعلم أن المسيحيين في القرون الأولى كانوا يتقيدون بأمر العهد القديم وينتهون بنواهيه فإننا نعجب ممّا بدّل الأحوال منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا. فقد كان المسيحيون الأوائل يتفادون الصور المنقوشة graven images احترامًا لوصايا الربّ. ولم يبدأ الفنانون بالخروج على قيودهم الدينية إلا بعد أن لانت نفوسهم بفعل أربعمائة عام من المواقف "التقدمية".

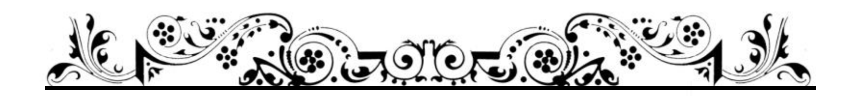
ثم ساد في وقت لاحق مزيد من البدع، مثل اقتناء التماثيل والرسومات واللوحات الجدارية والرسومات والنوافذ الزجاجية المزركشة. هذه هي ثمرات الذين يزعمون أنهم يترسّمون خطا عيسى، محوّلين بذلك عيسى من محطم للتماثيل الدينية إلى عيسى الإيقونة. ومن هنا فإنه يتعذر انتقاد المتطهرين إذ يشير هؤلاء إلى الاختلافات بين تعاليم عيسى والممارسات المسيحية. وفي حين يهلّل بعضهم للابتعاد عن ناموس العهد القديم المتشدد والمقيد، نجد آخرين يرتعدون من تبعات اتباع طريق غير ذاك الذي اختطّه الله لهم.

---

[٣١٨] المرجع السابق، ص 486.

ويسعى أهل الله رجالاً ونساءً للحصول على إيضاحات إنجيلية لدعم معتقداتهم. أما أهل المؤسسات من الرجال والنساء فيلتمسون تطمينات رجال الدين، التي تُعدّ بالنسبة إلينا الآن مدعاة للشك، إن لم نقل إنه لا يمكن الوثوق بها، أو لعلنا نجرؤ على وصفها بالفاسدة فسادًا تامًّا.

## ٦— نقاط التقاء العهد القديم والعهد الجديد والقرآن



**الإيمان المفرط خطر، تمامًا كما هو الإيمان الضعيف.**

دِنِس ديدرو[٣١٩] *Denis Diderot*

على الرغم من التحريفات التي طالت العهدين القديم والجديد، وعلى الرغم من جميع الاضافات والحذوفات والتغييرات، وعلى الرغم من تزييف كتب بأكملها والتعديلات التي أُدخِلت بدافع عَقَدي على نصوص سابقة، وبالرغم من حقيقة أن مؤلفي أناجيل العهد الجديد ونصف رسائل بولس مجهولون، وعلى الرغم من أنه لا يُعرف من كتب ماذا، وأين أو متى أو لماذا كتب ذلك تحديدًا، فإنه من الممكن إثبات أن كلمة الله ما تزال موجودة في الكتاب المقدس. وقد يكون هذا **صحيحًا!** المشكلة هي أن الكثير من التعاليم الأخرى المشكوك فيها تكمن فيه كذلك. كيف إذًا

---

[٣١٩] مقتبسة من:

Lejeune, Anthony. 1998. *The Concise Dictionary of Foreign Quotations*. Stacey London.p.105.

يمكن التمييز بين كلمة الله وكلمة الإنسان؟

يدّعي بعضهم أنه يمكن بمقدورنا فعل ذلك، في حين يزعم آخرون أن الله وحده هو القادر على ذلك.

ولعل هذا هو أحد التفسيرات للاهتمام المتزايد بالدين الإسلامي في البلدان الغربية، حتى غدا الإسلام اليوم أسرع الديانات انتشارًا في العالم.[٣٢٠]

يتمثّل الطرح الإسلامي في أن المفتوحة قلوبهم وعقولهم للدليل سوف يدركون كلاً من العناصر الإلهية والعناصر البشرية في الكتاب المقدس. فالعناصر الإلهية تعد بمثابة الأساس الكتابي للقوانين والأخلاق ومنظومة السلوك، أما العناصر البشرية فتدفع بالمخلصين للبحث عن وحي الله الختامي. ويرى المسلمون في القرآن التنزيل الأخير الذي يسد الفراغات في إطار الحقائق المتناثرة في العهدين القديم والجديد.

نقرأ في القرآن قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (القرآن الكريم ٣: ٤-٣).

فعبر هذه الآية يحسب الكثيرون أن القرآن الكريم يصادق على كتابي

٣٢٠ *Guinness Book of Knowledge*.p.195.

اليهود والنصارى (العهد القديم والعهد الجديد) المقدَّسَيْن على أنهما كتابان منزّلان من عند الله. ولكن هذا غير صحيح. فالقرآن ينص على أن الله حقًا أنزل التوراة (توراة موسى) والإنجيل (إنجيل عيسى)، وينص كذلك على وجود بعض من الحقيقة في ثنايا هذين الكتابين المقدسين إلى يومنا هذا. لكن القرآن لا يحدد أين يمكن العثورعلى توراة موسى وإنجيل عيسى وعلى الحقيقة المنشودة بين ثناياهما، سواء أكانت هذه النصوص موجودة في أسفار الكتاب المقدس أم في أناجيله، أم في الكتب المنتحلة التي تدعى الأبوكريفا، أم في غيرها.

ويمثل هذا المنظور قضية هنا، فقد يقرأ المرء "التوراة (توراة موسى) والإنجيل (إنجيل عيسى)" ويعادل – بناء على ردة فعل انعكاسية – هذه النصوص التي يقرأ أنها الإشارة إلى العهدين القديم والجديد. غير أن التحليل السابق ينبغي أن يُقنع أشد المتحمسين بأنه بغض النظر عن مكان وجود الكتابين المنزلين على موسى وعيسى، فإنهما لم يُحفظا في الكتاب المقدس بذات الصفاء الذي أنزلا فيه. ومن هنا تبرز الحاجة لوحي أخير ليصادق على ماأنزل من قبل بحيث يفنّد ما مسّته يد التحريف من بني البشر، وليكون "فرقانًا (بين الحق والباطل)". ومن هنا أيضًا تبرز الحاجة لوحي يحمل البشارة التالية:

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن

كَثِيرٍۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (القرآن الكريم ٥: ١٥-١٦).

وللأسف فقد أعاق التحريف الذي لحق بالعهدين القديم والجديد قدرتنا على التمييز بين الوحي الحقيقي والإضافات الوضعية لبني البشر. وبعض حالات سوء فهم النصوص المقدسة ليست خطرة نسبيًا، ولكن بعضها الآخر مأساوي. فعلى سبيل المثال، يعتقد المسيحيون "المولودون من فوق [من جديد]" born-again – وفقًا لما جاء في نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس – بأنه «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣)، وأنه «ينبغي أن تُولدوا من فوق» (يوحنا ٣: ٧). وتعتمد هذه الطائفة الحديثة على عقيدة تقوم على عبارة «تُولدوا من فوق [من جديد]»، وهي في واقع الأمر ترجمة خاطئة للعبارة اليونانية "gennao anothen" التي تعني "تَولَّد generated" أو "أُنجِب begotten" من فوق.[٣٢١] ووفقًا للترجمة الصحيحة، فإن الناس **جميعًا** مولودون من فوق شئنا أم أبينا، فأين المرء الذي "تولّد من أسفل"؟ وبعض نسخ الكتاب المقدس الحديثة تتحلى بقدر أكبر من الأمانة في نقل

[٣٢١] *Strong's Exhaustive Concordance of the Bible*

الترجمة الصحيحة، أما بعضها الآخر فليس كذلك، ولا يسعنا هنا إلا أن نتخيل مدى الضغط الهائل الذي أدى إلى أن تغيير تلك الأناجيل لكلمتين اثنتين من أجل بيع بضعة ملايين أخرى من نسخ الكتاب المقدس. الطبعة الدولية الجديدة مثلًا تتخذ موقفًا وسطًا بترجمتها لعبارة "gennao anothen" بـ "مولودون من فوق". وبالتالي هذا يعني حرفيًا، أن هناك ملايين من الأرواح التي فارقت هذه الحياة الدنيا وآمالها في الخلاص معلقة على عبارة رئيسة، ليست في واقع الأمر موجودة في الدلالة اليونانية للعبارة.

وكما ناقشنا سابقًا، فقد برز إلى الوجود قدر كبير من مثل سوء الفهم الناجم عن الأرضية الخصبة للآيات الاثنتي عشرة الأخيرة من إنجيل مرقس. ويتساءل أحد الكُتّاب: "كيف أنهى مرقس إنجيله؟ نحن لا نعرف للأسف، فقصارى ما يمكن قوله هو أن هنالك أربع نهايات مختلفة تتداولها المخطوطات، ولكن ربما لا تمثل واحدة منها ماكان ينويه مرقس أصلاً". [٣٢٢]

أهذا "قصارى ما يمكن قوله"؟

بالكاد.

فقد ظلّت هذه الآيات الاثنتا عشرة الاخيرة (مرقس ١٦: ٩-٢٠)

---

[٣٢٢] Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*.p.322.

موضع خلاف فترة طويلة، ولأسباب وجيهة. فأقدم مخطوطتين (مخطوطة الفاتيكان Vatican MS رقم ١٢٠٩ ومجموعة المخطوطات السريانية السينائية Sinaitic Syriac Codex) تنتهيان عند الآية الثامنة من الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس. والآيات (١٦: ٩-٢٠) من مرقس غير موجودة في شيء من أوراق البردي papayri المعروفة التي يعود تاريخها لما قبل القرن السادس ميلادي، وعلاوة على ذلك، فإنه حتى في نسخة سريانية يعود تاريخها للعام ٦١٦ م نجد أن هذه الآيات الاثنتي عشرة مدوّنة فقط في ملاحظة هامشية (وهو ما تؤكده الإشارات الهامشية طبعة نِسْلة "Nestle" من "ovum Testamentum GraeceN"). وأما بالنسبة إلى كليمان الإسكندريّ Clement of Alexandria وأوريجن Origen، فإن هذه الآيات ليس لها وجود.[٣٢٣] ويشهد يوسيبيوس Eusebius وجِروم Jerome أن هذه النهاية لإنجيل مرقس لم تكن موجودة في واحدة من المخطوطات اليونانية التي كانا على علم بها.[٣٢٤] ويستطرد البروفيسور ميتزغر في الشرح قائلاً "إن عددًا لا يستهان به من المخطوطات التي تحتوي على تلك الآيات تحمل ملاحظات من النسّاخ تفيد بخلو النسخ اليونانية القديمة منها، وفي مخطوطات أخرى أضيفت إلى تلك الآيات علامة النجمة [*] أو النسبة المئوية [%]، وهما علامتان اعتاد الكتبة استخدامهما للإشارة إلى وجود إضافة مُقحمة في وثيقة ما ... ومن

---

[٣٢٣] Metzger, Bruce M. *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. P.103.

[٣٢٤] المرجع السابق، ص 103.

الواضح أن الصيغة الموسّعة المتمثلة في النهاية الطويلة ليست أصلية ... من المرجح أنها كانت من صنع أحد النُسّاخ في القرن الثاني أو الثالث للميلاد."[٣٢٥]

وكما تُقر به الطبعة المنقحة المعتمدة للعام ١٩٧٧ من الكتاب المقدس في حاشية الآية (١٦: ٨) من إنجيل مرقس فإن "بعض أقدم المرجعيات تقول إن نهاية الكتاب يجب أن تكون عند الآية الثامنة."[٣٢٦] ونجد في إنجيل المفسّر *The Interpreter's Bible* التعليق التالي: "لقد بُذلت محاولات لاستعادة "النهاية المفقودة" لإنجيل مرقس في الأجزاء المتبقية من إنجيل متى أو إنجيل لوقا أو إنجيل يوحنا أو أعمال الرسل؛ إلا أنه لم تتم الموافقة على شيء منها بكل عام. ومن المشكوك فيه فيما إذا كانت نُسخ لوقا ومتى من إنجيل مرقس قد تجاوزت الآية (١٦: ٨). وهذه إحدى المسائل الرائعة للبحث، لكنها على الأرجح تستعصي على الحل في الوقت الراهن."[٣٢٧]

وهناك أمل في "أن المزيد من اكتشاف المخطوطات القديمة قد يساعد في إيجاد الحلول،"[٣٢٨] لكن النقاش يحتدم في هذه الأثناء، ومع أن هذه الآيات قد خطّها على الأرجح عضو المجلس الكهنوتي أرِسْتُن Ariston في

[٣٢٥] المرجع السابق، الصفحات 104-103..

[٣٢٦] The Bible, Revised Standard Version. 1977. N. Y.: American Bible Society. Footnote at end of "Mark".

[٣٢٧] *The Interpreter's Bible*.p.915.

[٣٢٨] المرجع السابق.

القرن الثاني،[٣٢٩] إلا أن الترجمة اللاتينية المعتمدة لدى الكاثوليك، وكذلك الكثير من ترجمات الكتاب المقدس المعتمدة لدى البروتستانتيين قد أبقت عليها. وعليه، فإن أولئك الذين يثقون بأن الكتاب المقدس لا يحتوي إلا على "الحقيقة الخالصة gospel truth" يواصلون قبول التعاليم التي تحملها هذه الآيات. ومالضير في ذلك؟ الضير هو أن هذه الآيات الاثنتي عشرة الأخيرة من إنجيل مرقس تدعم معتقدات التبشير بالإنجيل evangelism، والتعميد، وطرد الأرواح الشريرة exoricism، والتحدث بالألسنة speaking in tongues، واختبار الإيمان بالتعامل مع الأفاعي ذات الأجراس rattlesnakes. إن أكثر من نصف عدد الوفيات بلدغة الأفعى ذات الأجراس في الولايات المتحدة تقع بين أفراد الطوائف المسيحية التي تؤمن بالتعامل مع الثعابين، لا لأن أعدادًا أكثر منهم يتعرضون للدغ وإنما لأنهم يعدّون أن عدم الإبلاغ عن تلك الحالات أو معالجتها تصرفٌ يُعبّر عن الإيمان.

ولو أن ترجمات الكتاب المقدس الحديثة تلتزم بأقدم المصادر النصية وحذفت الآيات (١٦: ٩-٢٠) من إنجيل مرقس لاقترب أتباع طائفة شهود يهوه Jehovah's Witnesses خطوة أكثر نحو السهر حتى ساعة متأخرة من أيام السبت (وسوف يكون هذا حال من يجاورهم من عاثري الحظ)، ولاستطاع أتباع الطوائف الخمسينية Pentecostals إطلاق ألسنتهم الملتوية بالكلام النبيل الواضح، ولتخلص جميع المسيحيين من أحد

---

[٣٢٩] المرجع السابق.

أسباب خوفهم على مصير أمواتهم ممن لم يُعمّد.

إذًا، في المحصلة، ماذا لدينا؟ إن لدينا خالقًا مُنزهًا عن الخطأ تنزّهًا تامًا كاملاً وعهدًا قديمًا وآخر جديدًا يعجّان بالأخطاء. فكيف لنا أن نوفّق بين هاتين الحقيقتين؟ يمكن لنا أن نفعل ذلك بإحدى حالتين: إما بإغلاق أعيننا عن عيوب النص، وإما بالاعتراف بهذه العيوب ومحاولة إيجاد معنى لها. وقد أخفق في هذا المدافعون المسيحيون واليهود إخفاقًا ذريعًا.

وهنا يأتي دور وجهة النظر الإسلامية.

فالمسلمون يؤكدون أنه كلما تعرضت "كلمة الله" المنزلة إلى التحريف بيد البشر فإن الله بواسع رحمته يجدد رسالته عبر وحي جديد ومُبيّن. وبهذه الطريقة، استعيض عن العهد القديم الذي تعرض للتحريف بالعهد الجديد الذي بدوره استعيض عنه بالقرآن الكريم. ويؤكد المسلمون أن ما بقي ثابتًا ولم يسمح الله بضياعه في خضم تلك الدورة المتكرّرة (الوحي الرباني ثم التحريف الإنساني ثم الوحي الرباني المبين الجديد) هو رسالته بالوحدة الإلهية. فهذه العقيدة هي عماد الإيمان الحق، وعليه فقد حفظ الله دينه عبر الأزمان وعبر مراحل الوحي. وإذا كان هذا الكتاب قد أثبت شيئًا فهو أنه سواء أكنا نتحدث عن الوحدة الإلهية في وصايا العهد القديم أم في تعاليم المسيح عيسى أم في رسالة القرآن الكريم، فإننا نتحدث عن العقيدة الأزلية ذاتها: ألا وهي أن الله واحد أحد لا شريك له.

ولنتذكر أن كلّ عنصر عقدي من عناصر عقيدة التثليث مبني إما على

أدلة غير إنجيلية، وإما على أساس التلاعب أو الفهم الخاطئ أو كليهما لآياتٍ من آيات العهد الجديد المبهمة أوالمشكوك فيها أو المعزولة. وفي جميع الحالات فإن هذه الآيات، كما ناقشنا عاليه، تفتقر إلى الدعم من الكتب أو الرسائل الأخرى، بل في بعض الحالات تتعارض صراحة وتعاليم عيسى الموثّقة.

والآن يحق لنا أن نتوقع أن الله لن يُخفي أهم عناصر المعتقد الحق، لأن الهدف من الوحي هو الكشف عن هذا المعتقد. ففي النهاية - وكما يعرف كلّ مدرس أن الجزء الأعظم من التدريس هو التكرار - فإنه يُتوقع أن تكون عناصر كلّ عقيدة صحيحة قد تم نُقلها وفق أسس واضحة لا لبْس فيها، مرّات عديدة. وهذا هو الحال تمامًا بالنسبة إلى الكتاب المقدس. فأكثر تعاليم العهدين القديم والجديد تكرارًا واتساقًا وصحة تدعو إلى وحدانية الله وإلى وجوب طاعته، وهو أمر يتضمن تضمنًا عفويًا التوجيه للإيمان بخاتم الأنبياء وآخر الرسالات.

الآن سوف يسارع العديد من المسيحيين واسعي الاطلاع إلى الإشارة إلى أن الكتاب المقدس ينتهي بتحذير شديد اللهجة في رؤيا يوحنا The Book of Revelation. فلنضع جانبًا أن "الرسالة إلى العبرانيين كانت موضع شك لوقت طويل في الغرب، وأن رؤيا يوحنا كانت عادة مايتم استبعادها في القرنين الرابع والخامس حين كانت مدرسة أنطاكية school

of Antioch تحكم سيطرتها."[٣٣٠] كلا، دعونا من ذلك، ولْنكتفِ بتأمل مايلي: تُحذر الآية الأخيرة من الكتاب المقدس (رؤيا يوحنا ٢٢: ١٨-١٩) من أن يزيد أحد في "هذا الكتاب" أو ينقص منه، وهو تحذير لابد أن يثير السؤال: أي كتاب؟ فالكتاب المقدس هو مجموعة من الكتب. ومن هنا جاء اسمها من الكلمة اللاتينية *biblia*، التي تعني حرفيًا "الكتب The books". ومن هنا فإن الكلمة "bibliograghy" تعني "قائمة من الكُتُب"، و "bibliophile" تعني "محب الكتب"، وكلمة "biblioteque" الفرنسية تعني "مكتبة"، وغيرها الكثير الكثير من الأمثلة. ويعلق ف. ف. آربُثنُت F.F.Arbuthnot على ذلك قائلاً:

وتعيدنا رحلة قصيرة أخرى إلى القرن الرابع عشر، حين بدأ الناس يقولون "الكتاب المقدس". وحقيقة الأمر أننا ندعو مجموعة الكتب هذه بـ "الكتاب المقدس"، كما لو أنها كانت كتابًا واحدًا لا مجموعة كتب، وهي حقيقة في غاية الأهمية، حقيقة أثمرت سوءَ فهمٍ كبيرًا. وطبيعي أن نعتقد أن للكتاب الواحد مؤلفًا واحدًا أو مخرجًا عبقريًا واحدًا ....

بيد أنه وقبل القرن الرابع عشر لم يكن يدعى بـ "الكتاب المقدس" ولم يكن يُنظر إليه بأنه كتاب واحد. كما أنه لم يكن يُدعى في اليونانية *Ton Biblion* [أي الكتاب] بل *Ta Biblia*

---

٣٣٠ Kelly, J. N. D. 1978. *Early Christian Doctrines*. San Francisco: Harper & Brothers Publishers.p.60.

أي الكتب. ولم تكن هذه المجموعة تُدعى كتبًا قبل القرن الخامس على الإطلاق، بل مجرد كتابات: كتابات عبرانية ومسيحية.[٣٣١]

وينبغي أن نشير أيضًا إلى أن كتب "الكتاب المقدس" **ليست** مرتبة وفقًا لتسلسل زمني. فلم يكن سفر رؤيا يوحنا هو آخر كتاب تمت كتابته، إلا أن وضعه الإستراتيجي في نهاية الكتاب المقدس يعطينا هذا الانطباع الخاطئ. بل الحق يقال إن الاعتقاد السائد هو أن رسالة يعقوب والرسائل الأولى والثانية والثالثة من رسائل يوحنا وإنجيل يوحنا ويهوذا إضافة إلى الرسالتين الأولى والثانية إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس ورسالة بطرس الثانية قد كتبت جميعًا في فترة تقدر بما بين خمسة إلى خمسة وستين عامًا **بعد** تأليف رؤيا يوحنا.[٣٣٢] إن فارقًا من خمس ثوان —— ناهيك عن ٥٥ عامًا —— من شأنه أن يعد خرقًا لعبارة "لن تزيدوا عليه" **إذا** ما كان القصد أن تنطبق آيات رؤيا يوحنا آنفة الذكر على الكتاب المقدس بمجمله. ولكنها لا تنطبق، ولا يمكن أن تنطبق.

إن أقدم مخطوطات العهد الجديد هي "المخطوطة السينائية" التي يعود تاريخها للقرن الرابع، وتحتوي كلاً من راعي هرماس The Shepherd of Hermas ورسالة برنابا Epistle of Barnabas وهما كتابان أقر الكثير من

---

[٣٣١] Arbuthnot, F.F. 1885. *The Construction of the Bible and the Korân*. London: Watts & Co. pp.8-9.

[٣٣٢] Goodspeed, Edgar J. pp. 226–7

المسيحيين الأوائل بأنهما من كتب العهد الجديد.[٣٣٣] إلا أن هذين الكتابين حُذفا في وقت لاحق وألحقا بالأبوكريفا. كما أن الكتاب المقدس البروتستانتي أقصى سبعة كتب أخرى، فضلاً عن أجزاء من كتب أخرى تضمنت إسدراس الأول والثاني Esdras I & II، وتوبت Tobit، ويهوذا Judith، وإضافات في كتاب إستر Esther، وحكمة سليمان The Wisdom of Solomon، وكتاب سيراش Ecclesiasticus، وباروخ Baruch، ورسالة أرمياء The Letter of Jermiah، وصلاة عزاريا Prayer of Azariah، ونشيد الفتيان الثلاثة The Three Young Men، إضافة إلى سوزانا Susanna، وبِل Bel ودراغون Dragon، وصلاة مناسة Prayer of Manasseh، والإصحاح الأول والثاني من المكابيين Maccabees I & II. إن الحذوفات هذه تمثل إخلالاً بعبارة "لن تحذفوا منه ...". في جميع الأحوال، فيما لو طُبِّقت تعاليم "رؤيا يوحنا" على الكتاب المقدس بمجمله.

ومن هنا فإن "الكتاب" الذي يشير إليه آخر سطر في رؤيا يوحنا ليس في واقع الأمر إلاّ **سفر** رؤيا يوحنا نفسه دون سواه. وإلا فإن المنتهكين الرئيسين بالتحذير الخاص بالحذف والإضافة هم رجال الدين المسيحيون أنفسهم، لأن الكثير قد أضيف وحُذف من الـ*liaBib*، أو مجموعة الكتب ككل.

---

٣٣٣ Ehrman, Bart D. *The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings* .p.14.

إن مناقشات كهذه ليست غريبة عن رجال الدين المسيحيين، ولكنها خافية إلى حد كبير عن العامة من الناس. فقلة من العلماء يخرجون عن نطاق العقائد التي رسخوا فيها، كما أن قلة من العامة يمتلكون الاهتمام والدافعية الكافيين لخوض المعركة الفكرية اللازمة لمواجهة السلطات المسيحية في معتقداتها التي لا أساس لها، (التي هي في معظم الأحيان زيف واضح). وعلى الرغم مما تقدم، فإن المصادر المسيحية الأكثر صراحة تعترف بأمور مذهلة. فمثلاً – وكما ذكرنا آنفًا – ليس من عالِم مسيحي ذي شأن يعدّ أن اليونانية قد كانت لغة عيسى الأصلية. ومع ذلك يتحدث الكثيرون عن "اليونانية الأصلية" وهم يعلمون أن هذا سوف يصبح تقليدًا تتّبعه العامة مع مرور الوقت. إلا أنه لو سئل معظم رجال الدين مباشرة عن لغة عيسى لأجابوا بأمانة بأن عيسى كان يتكلم الآرامية والعبرية القديمتين وليس اليونانية القديمة التي كانت سائدة آنذاك التي دونت بها مخطوطات العهد الجديد.[٣٣٤] والكاهن ج. ر. دَمِّلو الأستاذ في جامعة كامبريدج واحد من بين الكثيرين الذين يتطوعون بالإدلاء بمثل هذه المعلومات.[٣٣٥]

وقد سبحت في الآونة الأخيرة حفنة من علماء اللاهوت عكس تيّار جارف من الأدلة والرأي العلمي لتقترح أن عيسى كان في واقع الأمر يتكلم اليونانية القديمة (Koiné Greek). ربما كان تقديم مثل هذه الردود

---

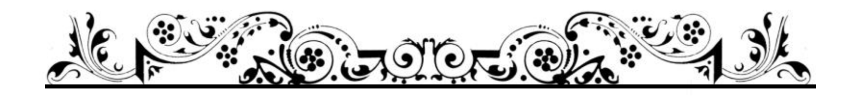
[٣٣٤] المرجع السابق، ص 48.

[٣٣٥] Dummelow, Rev. J. R. Introduction, p. xvi.

السطحية لجمهور البسطاء من البشر أمرًا يسيرًا في وقت مضى، ولكن ذلك الوقت انقضى منذ أمد بعيد. إن عِبْءَ المسيحية إذًا هو القبول بعقائد إيمان واهية، على الرغم من بروز الدليل الذي يهاجم كلّ جدار من جدران قلعة عقيدة التثليث المتصدعة حتى يطال أساسها، ألا وهو العهد الجديد.

أما التحدي الماثل أمام الإسلام فيتمثل في: القبول بموسى وعيسى أنهما نبيّان من البشر (وكفى)، وإدراك جحود أولئك الذين شكّلوا اليهودية والمسيحية في صيغتيهما الحاليتين، والإيمان بمحمد بأنه خاتم النبيين الذي بشّر به العهدان القديم والجديد، وتبجيل الوحي الذي جاء به. ويذهب المسلمون للقول بأن هذا الوحي يتواءم والكتب السماوية السابقة، ويتفق والفطرة البشرية، ويتطابق وحقائق الحياة الدنيا. ويقولون بدعوى أن هذا الوحي قادر على الصمود أمام أعلى مستويات التحليل النقدي وذلك لأنه إلهي الفحوى والتصميم والإتقان، وهم يصدحون بالقول إن هذا الوحي إنما هو القرآن الكريم.

# الخاتمة



**احرص على الرجوعِ إلى المؤلف لفهم مراده لا للبحث عن مرادك.**

جون رَسْكِن *John Ruskin*: **السمسم والزنابق**

ما النتائج التي تشير إليها الأدلة الواردة في هذا الكتاب؟

لقد بدأنا بالطرح القائل إن لفظ الجلالة "الله" متوافقة في كلّ من العهدين القديم والجديد وكذلك في القرآن الكريم، وأوضحنا أن هذه الكتب السماوية الثلاثة تشترك في استخدامها لصيغة جمع العظَمة أيضًا. ويكشف تحليل الاختلافات العَقَديّة بين المسيحية والإسلام أن الكثير من تعاليم المسيحية مستمدة من مصادر غير إنجيلية أكثر من كونها مستمدة من تعاليم عيسى نفسه. وإن مايثير الصدمة هو أن الكثير من العقائد المسيحية وتعاليم بولس التي اشتُقت المسيحية منها تناقض في واقع الأمر تعاليم عيسى.

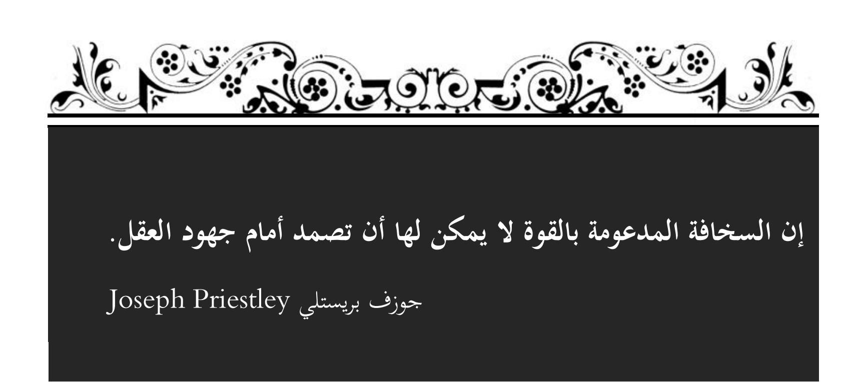
وعندما نلتمس الإيضاح في ثنايا الكتاب المقدس فإننا نجد أن كلاً من

العهدين القديم والجديد قد طالهما التحريف. فإذا لم يكن باستطاعتنا الوثوق بجزء ما من هذين الكتابين فبأي الأجزاء يمكننا أن نثق؟

ومع ذلك، فإننا نكتشف استمرارية في العقيدة بين العهدين القديم والجديد، ولا نعجب لذلك. فعلى المستوى الفطري، نتوقع أن تكون الحقيقة الربانية أزلية. ولذلك، فعندما نجد أن تعاليم كلّ من موسى وعيسى تنص على أن الله واحد وتبشّر بنبي خاتم، فلا بد لنا من أن نولي الأمر اهتمامنا.

والنقطة المهمة الأخرى هي أن تعاليم موسى وعيسى ومحمد يتسق بعضها مع بعض اتساقًا ملحوظًا. بل الحق أنها تتفق أكثر مما تختلف. وبالطبع فإن تعاليم محمد تتعارض بشدة مع تعاليم بولس، إلا أن هذا هو حال تعاليم موسى وعيسى أيضًا. وما ذاك إلا مجال آخر يتفق فيه الأنبياء الثلاثة والوحي الذي جاؤوا به، ألا وهو أن الثلاثة منهم يناقضون تعاليم بولس.

فإذا لم يكن بإمكاننا الوثوق بالعهدين القديم والجديد للوصول إلى الهدى الروحي، فلماذا يتوجب علينا الوثوق بالقرآن الكريم إذًا؟ وهل يرتقي محمد إلى مستوى النبوة التي ذهب للقول بها؟ إن هذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها بجملة أو بفقرة أو بفصل من كتاب. بل هي تتطلب كتابًا بأكمله، وهذا ماسوف يكون عليه الحال بالتحديد في الجزء التالي لهذا الكتاب، والذي أدعوكم لقراءته وهو بعنوان "**من وجدوا الله**".


إن السخافة المدعومة بالقوة لا يمكن لها أن تصمد أمام جهود العقل.
جوزف بريستلي Joseph Priestley

# الملحق:

# منهجية مصطلح الحديث الشريف

يأمر القرآن الكريم المؤمنين بإطاعة رسول الله والاقتداء بهديه. ولهذا السبب فقد دأب المسلمون الأوائل على حفظ تعاليم محمد وسنته في مجلدات تُعرف بكتب الحديث *hadith*، حرصوا فيها على تدوين أدق التفاصيل. ومنذ ذلك اليوم والمسلمون الملتزمون يصوغون حياتهم وفقًا للقالب الذي وضعه رسول الله. فعن طريق الحديث نحن لا نعرف وحسب عدد المرات التي كان ينظّف محمد فيها أسنانه (ليس أقل من خمس مرات في اليوم)، بل ونعرف أيضًا بأيّ ترتيب نظّفها (أفقيا مُبتدئًا باليمين)، ونعرف كيف كان يأكل وكيف كان يشرب وينام وكيف كان يرتدي ملابسه، ونعرف كيف كانت أخلاقه وسلوكه في أدق التفاصيل. والأهم من ذلك أننا نعرف كيف كان يعيش الدّين الذي كان يقوم بتبليغه، وهو ما نشأ عنه العديد من السوابق الاجتماعية والشرعية.

وليس من المستغرب أن "أتباعه" من غير الأتقياء قد حاولوا تعديل الدين بما يتفق أكثر ورغبات نفوسهم وذلك من خلال تلفيق الأحاديث النبوية. وعلى نقيض ما قد نتوقعه مبدئيًا فإن ذلك أدى إلى تعزيز مصداقية روايات الحديث بدلاً من إضعافها. فكما أن النقود المزورة تدفع بالحكومات إلى تبني معايير ذات مستوى أعلى من الإنتاج والتوثيق فإن

الأحاديث المدسوسة حدت بالمسلمين إلى اتباع مستويات أعمق من التحليل في سند الأحاديث الشريفة. وبالطريقة ذاتها التي يستطيع الخبراء بواساطتها تمييز العملات الحقيقية من العملات الزائفة، يميّز المسلمون بين الأحاديث الصحيحة والأحاديث الضعيفة والأحاديث الموضوعة.

وقد أصبحت عملية اصطلاح الحديث المعيار الذهبي للتوثيق التاريخي في ذلك الزمان ولقرون تلت. والمؤكد أنها بقيت إرثًا لامثيل له في الغرب. فاليوم نحن لا نعرف حقًا ما كانت عليه الحياة في إنجلترا وأوروبا في مطلع الألفية الأولى، وذلك لندرة السجلات الموثوقة والمعلومات التي يمكن التحقق منها. ولكننا من خلال الحديث نعرف أدق التفاصيل عن محمد وحياته في شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن السابع.

وفيما يلي لمحة موجزة لمعايير اصطلاح الحديث الصارمة: فالأحاديث الفردية individual *hadith* تُصنف في إحدى فئتين رئيسيتين: أحاديث صحيحة authentic وأحاديث ضعيفة weak. وتُقسم الأحاديث الصحيحة إلى أربع فئات فرعية وجميعها مقبولة، في حين تُقسم الأحاديث الضعيفة إلى ثلاثين فئة فرعية وجميعها مرفوضة. وكي يكون الحديث مقبولاً يجب أن يكون ذا سند متصل من الرواة chain of transmission وصولاً إلى النبي. يجب أن يكون كلّ راو في السند عدلاً، وأمينًا، وأن يكون مشهودًا له بقوة الحافظه، وأن يكون ضابطًا. ويجب أن يكون متن الحديث ذاته خاليًا من العيوب الضمنية internal defects ويجب ألا يتعارض والأحاديث المقبولة الأخرى أو القرآن الكريم. كما ويشتمل كلا الشرطين

السابقين على العديد من مُفقدات الأهلية، التي يبلغ مجموعها خمسًا وعشرين فئة من المسببات. فعلى سبيل المثال، كان الراوي يُستبعد إذا ما كان غير متزن عقليًا، أو غير مسلم (لأنه معرض أكثر للرغبة في تخريب الدين)، أو غير ناضج أو صاحب بِدع أو كذابًا (أو متهمًا بالكذب) أو عُرف عنه ارتكابه للمعاصي الكبيرة أو مواظبته على ارتكاب الآثام الصغيرة أو إن كان قد أخفق في اتباع القيم الحميدة.

وكان شرود الذهن يُبطل الدقة، كأن يروي الراوي القصة ذاتها مرتين أو أكثر مستخدمًا صياغة مختلفة وإن لم يتغير المعنى. ولم تكن تقبل السجلات المرممة بعد إنقاذها من كارثة طبيعية كالحريق مثلاً. وكان يُطعن في مجموعة الحديث التي ينقلها راوٍ تتعارض روايته وحديثه مع حديثٍ ذا درجة أعلى من الصحة. حتى الأخطاء الضمنية في الحديث قد تُفقده أهليته. مثال ذلك: إذا نقل معلم حديثًا وفسر كلمة دون أن يفهم الطالب أن هذا التفسير ليس جزءًا من الحديث، وقام الطالب لاحقًا بنقل الحديث كاملاً مع تفسير معلمه ذاته، فإنه يُطعن في رواية الطالب لذلك الحديث. حتى وقوع خطأ بسيط كتبديل موقع راويين في سند الحديث (أو سقوط اسم راو من السند) كفيل بإضعاف تلك الرواية، وإن سلم متن الحديث من التغيير.

وتُقسم الأحاديث أيضًا وفقًا للسند "سلسلة الرواة chain of narrators" إلى أحاديث متواترة وآحاد. الحديث المتواتر: هو ذلك الذي نقله عدد كبير من الرواة (أربعة رواة كحد أدنى ولكن عادة ما يكونون

عشرة أو أكثر) لمنع افتراء الكذب، **من أول السند حتى نهايته**. لماذا يعد تواطؤ الرواة على الكذب مستحيلاً؟ لأسباب عملية، كأن لا يكون الرواة قد التقوا قط أو أن يكونوا معزولين جغرافيًا بعضهم عن بعض أو أن يكون جميع الرواة ذوي سمعة لا تشوبها شائبة بحيث يتعارض كذب أحدهم وسيرة حياته المشهود لها.

أي حديث تناقلته سلسة من الرواة عبر العصور يقل عددهم عن عدد رواة الحديث المتواتر يصنف بأنه حديث آحاد. وحديث الآحاد هذا يتفرّع بدوره إلى ثلاث فئات. فالحديث الذي تناقله ألف راوية ثقات في كلّ سلسلة من السند باستثناء مرحلة واحدة تحوي أقل من أربعة رواة يُخفّض تلقائيًا إلى درجة أحاديث الآحاد.

إن كلا التصنيفين – الأول عن طريق المتن والثاني عن طريق السند – يكمل أحدهما الآخر إلى حد كبير، فالحديث الصحيح المتواتر يصدّق حكمًا أكثر من الحديث الضعيف أحادي السند. وعلى ما يبدو فإن فرصة الأحاديث الملفّقة في الإفلات من أحد هذين الغربالين ضئيلة، ولكن الإفلات من كليهما يكاد يكون مستحيلاً.

# المراجع

Achtemeier, Paul J. (General Editor). *Harper's Bible Dictionary*. 1985. New York: Harper and Row.

Aland, Kurt and Barbara Aland. 1995. *The Text of the New Testament: An Introduction to the Critical Editions and to the Theory and Practice of Modern Textual Criticism*. William B. Eerdmans Publishing Co.

Aland, Kurt, Matthew Black, Carlo M. Martini, Bruce M. Metzger & Allen Wikgren (Editors). 1968. *The Greek New Testament*. Second Edition. United Bible Societies.

Arberry, A. J. 1996. *The Koran Interpreted*. A Touchstone Book: Simon & Schuster.

Arbuthnot, F. F. 1885. *The Construction of the Bible and the Korân*. London: Watts & Co.

Ayto, John. *Dictionary of Word Origins*. 1991. New York: Arcade Publishing, Inc.

Baigent, Michael and Richard Leigh. 1993. *The Dead Sea Scrolls Deception*. Simon & Schuster.

BeDuhn, Jason David. 2003. *Truth in Translation*. University Press of America, Inc.

The Bible, Revised Standard Version. 1977. New York: American Bible Society.

Burman, Edward. 1984. *The Inquisition: The Hammer of Heresy*. New York: Dorset Press.

Butler, Trent C. (General Editor). 1991. *Holman Bible*

*Dictionary*. Nashville: Holman Bible Publishers.

Buttrick, George Arthur (Ed.). 1962 (1996 Print). *The Interpreter's Dictionary of the Bible*. Nashville: Abingdon Press.

Buzzard, Anthony. 2007. *Jesus Was Not a Trinitarian*. Restoration Fellowship.

Cadoux, Cecil John. 1948. *The Life of Jesus. Middlesex*: Penguin Books.

Carmichael, Joel, M.A. 1962. *The Death of Jesus*. New York: The Macmillan Company.

Carroll, Lewis. 1905. *Alice's Adventures in Wonderland*.

*Catholic Encyclopedia*. CD-ROM; 1914 edition

Chamberlin, E. R. 1993. *The Bad Popes*. Barnes & Noble, Inc.

Chapman, Dom John. 1907. *The Condemnation of Pope Honorius*. London: Catholic Truth Society.

Cohen, J.M. and M.J. 1996. *The Penguin Dictionary of Twentieth-Century Quotations*. Penguin Books.

Conybeare, Fred. C., M.A. 1898. *The Key of Truth*. Oxford: Clarendon Press.

Cross, F. L. and E. A. Livingstone (editors). 1974. *The Oxford Dictionary of the Christian Church*. London: Oxford University Press.

Dawud, Abdul-Ahad (Formerly known as Reverend David Benjamin Keldani, Bishop of Uramiah). 1992. *Muhammad in the Bible*. Jeddah: Abul-Qasim Publishing House.

Douglas, J. D. (general editor). *The New International Dictionary of the Christian Church*. 1978. Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House.

Dow, Lorenzo. *Reflections on the Love of God.*

Dummelow, Rev. J. R. (editor). 1908. *A Commentary on the Holy Bible*. New York: Macmillan Publishing Co., Inc.

Easton, M. G., M.A., D.D. 1897. *Easton's Bible Dictionary*. Nashville: Thomas Nelson Publishers.

Ehrman, Bart D. 2009. *Jesus, Interrupted.* HarperOne.

Ehrman, Bart D. 2005. *Lost Christianities*. Oxford University Press.

Ehrman, Bart D. 2003. Lost Scriptures: Books that Did Not Make It into the New Testament. Oxford University Press.

Ehrman, Bart D. 2005. *Misquoting Jesus*. HarperCollins.

Ehrman, Bart D. The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings. 2004. Oxford University Press.

Ehrman, Bart D. 1993. The Orthodox Corruption of Scripture: The Effect of Early Christological Controversies on the Text of the New Testament. Oxford University Press.

Eisenman, Robert and Michael Wise. 1993. *The Dead Sea Scrolls Uncovered.* Penguin Books.

*Encyclopaedia Britannica*. 1994–1998. CD-ROM.

*Encyclopaedia Judaica*. 1971. Jerusalem: Keter Publishing House Ltd.

Findlay, Rev. Adam Fyfe, M.A., D.D. 1929. *The*

*History of Christianity in the Light of Modern Knowledge*. London: Blackie & Son, Ltd.

Funk, Robert Walter. 1996. *Honest to Jesus, Jesus for a New Millennium*. Polebridge Press.

Funk, Robert W., Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar. 1993. *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus.* HarperCollins Publishers.

Gehman, Henry Snyder (editor). 1970. *The New Westminster Dictionary of the Bible*. The Westminster Press.

Gibbon, Edward, Esq. 1854. *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*. London: Henry G. Bohn.

Gilbert, Arthur. 1968. *The Vatican Council and The Jews*. New York: The World Publishing Company.

Goodspeed, Edgar J. 1946. *How to Read the Bible*. The John C. Winston Company.

Guillaume, Alfred. 1990. *Islam*. Penguin Books.

*Guinness Book of Knowledge*. 1997. Guinness Publishing.

Gwatkin, H.M. 1898. *The Arian Controversy*. London: Longmans, Green, and Co.

Hart, Michael H. 1998. *The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History*. .Citadel Press

Hastings, James (editor). 1913. *The Encyclopedia of Religion and Ethics*. .Scribner's Sons Charles

Hastings, James (editor); Revised edition by Frederick C. Grant and H. H. Rowley. 1963. *Dictionary of The Bible*. Second Edition. Charles Scribner's Sons.

The Holy Bible, New King James Version. .١٩٨٢ .homas Nelson PublishersT

The Holy Bible, New Revised Standard Version. Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House.

Huxley, Thomas H. 1870. *Discourse Touching The Method of Using One's Reason Rightly and of Seeking Scientific Truth*.

Ibn Hisham. *As-Seerah An-Nabawiyyah*.

*The Interpreter's Bible*. 1957. Nashville: Abingdon Press.

Kee, Howard Clark (Notes and References by). 1993. *The Cambridge Annotated Study Bible, New Revised Standard Version*. .Cambridge University Press

Kelly, J. N. D. 1978. *Early Christian Doctrines*. San Francisco: Harper & Brothers Publishers.

Kittel, Gerhard and Gerhard Friedrich (editors). 1985. *Theological Dictionary of the New Testament*. Translated by Geoffrey W. Bromiley. William B. Eerdmans Publishing Co., Paternoster Press Ltd.

Küng, Hans. 2007. *Islam, Past, Present and Future*. One World Publications.

Lea, Henry Charles. 1958. *A History of the Inquisition of the Middle Ages*. .New York: Russell & Russell

Lehmann, Johannes. 1972. *The Jesus Report*. Translated by Michael Heron. London: Souvenir Press.

Lejeune, Anthony. 1998. *The Concise Dictionary of Foreign Quotations*. Stacey London. 1984, 25 June. London *Daily News*.

McBrien, Richard P. (General Editor). 1995. *HarperCollins Encyclopedia of Catholicism*. New York: HarperCollins Publishers.

McManners, John (Editor). 1990. *The Oxford Illustrated History of Christianity*. Oxford University Press.

Meagher, Paul Kevin OP, S.T.M., Thomas C. O'Brien, Sister Consuelo Maria Aherne, SSJ (editors). .١٩٧٩ Philadelphia: Corpus *.ry of ReligionEncyclopedic Dictiona* .Publications

Metzger, Bruce M. 1963. "Explicit References in the Works of Origen to Variant Readings in New Testament Manuscripts," in J. N. Birdsall and R. W. Thomson (ed.), *Biblical And Patristic Studies In Memory Of Robert Pierce Casey*. Herder: Frieburg.

Metzger, Bruce M. 2005. *A Textual Commentary on the Greek New Testament*. Deutsche Bibelgesellschaft, D–Stuttgart.

Metzger, Bruce M. and Ehrman, Bart D. 2005. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. .Oxford University Press

Michener, James A. May, 1955. "Islam: The Misunderstood Religion," in *Reader's Digest* [American Edition].

Motley, John Lothrop. 1884. *The Rise of the Dutch Republic: A History*. London: Bickers & Son.

*.Musnad Ahmad*

Myers, Jacob M. 1966. *Invitation to the Old Testament*. New York: Doubleday & Company.

*New Catholic Encyclopedia*. 1967. Washington, D.C.: The Catholic University of America.

*The New International Encyclopaedia*. 1917. 2nd Ed. New York: Dodd, Mead and Company.

*Nostra Aetate*. 28 October 1965. Item #4. Official publication of the Vatican website: www.vatican.va.

Nydell, Margaret K. 2006. *Understanding Arabs*. Intercultural Press.

Ostrogorsky, George. 1969. *History of the Byzantine State*. (Translated from the German by Joan Hussey). New .Brunswick: Rutgers University Press

Parke, David B. 1957. *The Epic of Unitarianism*. Boston: Starr King Press.

Powell, J. Enoch. 1994. *The Evolution of the Gospel*. Yale University Press.

Reumann, John. 1991. *Variety and Unity in New Testament Thought*. Oxford University Press

Roth, Cecil B. Litt., M.A., D. Phil. and Geoffrey Wigoder, D. Phil. (editors-in-chief). 1975. *The New Standard Jewish Encyclopedia*. W. H. Allen.

*Bukhari-Al Sahih*

Sale, George. 1734. *The Koran*. London: C. Ackers.

Scofield, C. I., D.D. (Editor). 1970. *The New Scofield Reference Bible*. New York: Oxford University Press

Shakespeare, William. *The Merchant of Venice*.

Shaw, George Bernard. 1944. *Everybody's Political What's What?*

Stanton, Graham N. 1989. *The Gospels and Jesus*.

.Oxford University Press

*Strong's Exhaustive Concordance of the Bible*. .١٩٨٠ .World Bible Publishers

Toland, John. 1718. *Tetradymus; bound with, Nazarenus: or, Jewish, Gentile and Mahometan Christianity*. London.

Tugwell, Simon OP. 1989. *The Apostolic Fathers*. Harrisburg, Pennsylvania: Morehouse Publishing.

Twain, Mark. *Following the Equator*. daehn'dduP" Wilson's New Calendar."

Wakefield, Gilbert, B.A. *An Enquiry into the Opinions of the Christian Writers of the Three First Centuries Concerning the Person of Jesus Christ*. 1824. Editor's dedication.

Wallace, Robert, F.G.S. 1850. *Antitrinitarian Biography*. London: E.T. Whitfield.

Weiss, Johannes. 1909. *Paul and Jesus*. (Translated by Rev. H. J. Chaytor). London and New York: Harper and .Brothers

Wells, H. G. 1921. *The Outline of History*. Fourth Edition. Volume 2. Section XXXI – "Muhammad and Islam". New York: The Review of Reviews Company.

Werblowsky, R. J. Zwi and Geoffrey Wigoder (editors in chief). 1997. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*. Oxford University Press.

Wrede, William. 1962. *Paul*. Translated by Edward Lummis. Lexington, Kentucky: American Theological Library Association Committee on Reprinting.

Zahrnt, Heinz. 1817. *The Historical Jesus*. (Translated from the German by J. S. Bowden). New York: Harper and Row.